الجمهورية الجزائرية الديمقراطية الشعبية

وزارة التعليم العالي والبحث العلمي

جامعة جيلالي ليابس/ سيدي بلعباس

كلية الآداب واللغات والفنون

قسم: اللغة العربية وآدابها

اللسانيات التداولية ونظام الخطابة

رسالة مقدمة لنيل شهادة الماجستير في الأدب العربي

تخصص: نظرية الأدب والمناهج النقدية المعاصرة

إعداد الطالب:

مولود اباعلال

إشراف الأستاذ:

– د. بوجمعة عمارة

لجنة المناقشة

■ أ.د. مونسي حبيب	أستاذ التعليم العالي	جامعة سيدي بلعباس	رئيسا
■ د. بوجمعة عمارة	أستاذ محاضر –أ–	جامعة سيدي بلعباس	مشرفا ومقررا
■ أ.د. غربي شميسة	أستاذة التعليم العالي	جامعة سيدي بلعباس	عضوا مناقشا
■ د. الزين فتيحة	أستاذة محاضرة –أ–	المركز الجامعي عين تموشنت	عضوا مناقشا
■ د. كبير الشيخ	أستاذ محاضر –أ–	المركز الجامعي عين تموشنت	عضوا مناقشا

السنة الجامعية: 2016–2017

بسم الله الرحمن الرحيم

شكر وتقدير

أقدم جزيل الشكر والامتنان إلى أستاذي الفاضل الدكتور "**بوجمعة عمارة**"، الذي لم يدخر جهدا في إرشادي وتوجيهي، جزاه الله في الدارين خير الجزاء.

وأتقدم بشكري الجزيل في هذا اليوم إلى أساتذتي الموقرين في لجنة المناقشة رئاسة وأعضاء لتفضلهم علي بقبول مناقشة هذه الرسالة.

كما أشكر الأساتذة الذين درسوني في ما بعد التدرج على كل ما قدموه لنا، وكل الشكر والتقدير لإداريي وأساتذة وعمال قسم اللغة العربية وآدابها بجامعة الجيلالي اليابس بسيدي بلعباس، وإلى كل من علمني في مشواري الدراسي، حفظكم الله وبارك في علمكم وأدبكم.

أ.مولود

الإهداء

أهدي ثمرة هذا العمل إلى من ربياني صغيرا،

إلى من يخجل القلم واللسان من أن يفيهما حقهما من الوصف والتعبير، إلى مصدر إلهامي وقوتي في الحياة،

إلى **والدي الكريمين**، باركَ الله في عمرهما.

إلى **إخوتي**.

إلى **زوجتي** التي بذلت جهدها في مساعدتي.

إلى ابنتي "**سارة**" وابني "**محمد أشرف**" .

إلى كل من شجعني وأعانني :"**أصدقائي ورفاقي**".

والى زملائي في الماجستير أقول لهم: نعم الرفقة رفقتكم، لن أنساكم.

أ.مولود

مقدمة

مقدمة

شهدت الدراسات اللسانية في مستهل القرن العشرين تحولا كبيرا وتطورا سريعا، وبانتقال الفلسفة البنيوية إلى اللسانيات الحديثة، أصبح المنهج البنيوي لمؤسسه دي سوسير أكثر المناهج تأثيرا وانتشارا بارتكازه على الدراسة العلمية الموضوعية للغة، والعناية بالبنية اللغوية والنظام اللساني للبنية، وبذلك تم استبعاد المعنى وعلاقة اللغة بالمجتمع والعالم الخارجي، مما دفع بعض اللغويين بالقول أن ما أنجزه البنيويون لا يعدو أن يكون سوى دراسة لبعض جوانب اللغة، وأن دراسة اللغة في ذاتها ولذاتها أدى إلى عزلها عن الواقع، وأهمل جانبها الاستعمالي الفعلي. فظهرت اتجاهات لسانية أخرى حديثة اهتمت بالعناصر التي استبعدتها البنيوية كالدراسات الوظيفية التي تهتم بدراسة اللغة وهي تؤدي وظيفتها التواصلية، وترى أن اللغة ظاهرة بشرية متكاملة لا ينبغي إغفال وإهمال أبعادها الثقافية والاجتماعية والنفسية. وكان من نتائج تطور هذه الدراسات ظهور اللسانيات التداولية كعلم جديد للتواصل لا تكتفي بوصف وتفسير البنية اللغوية وتتوقف عند شكلها، ولكنها تدرس الظواهر اللغوية في مجال الاستعمال فتأخذ على عاتقها تحليل عمليات الكلام ووصف وظائف الأقوال اللغوية وخصائصها، ومن ثم دمج مشاريع معرفية متعددة في دراسة ظاهرة التواصل اللغوي وتفسيره .

فالتداولية هي أداة للتفسير والنقد معا يمكن الاستعانة بها في فهم وتحليل نصوص وخطابات من أجناس أدبية مختلفة ومنها الخطابة التي هي فن قولي بالأساس يلجأ فيه الخطيب إلى استمالة الجمهور والتأثير فيهم وإقناعهم، ويرجع ظهورها كعلم له قواعده الى الحضارة اليونانية القديمة حيث لاقت رواجا كبيرا وأصبحت صناعة مؤثرة في المجتمع،كما عرفها الرومان في عصر الحرية، وهي عند العرب ذات مكانة عظيمة تنافس الشعر لما لها من

تأثير على النفوس حيث وظفوها في حروبهم ومفاخراتهم ومنافراتهم، وهي فن يحمل العديد من الخصائص التداولية إذا عرفنا بأن الخطابة تتداخل مع البلاغة التي هي تداولية في صميمها كما يقول "ج. ليتش" زيادة على أنها فن تواصلي بالأساس، وهذا ما نلمسه في تعريف شوبنهاور للخطابة: حيث يجعلها ملكة مشاركة الآخرين لآرائنا وطريقة تفكيرنا وإيصال عواطفنا إليهم وجعلهم يتعاطفون معنا ولا يتحقق ذلك إلا بغرس أفكارنا في أذهانهم بواسطة الكلمات، كما نرى أنها تفيد الاشتراك عند العرب من المخاطبة (المفاعلة) وهو تعريف يتجه نحو وظيفة الخطابة، التي هي خطاب يستجيب لمختلف قضايا التداولية ومباحثها خاصة إذا ما تعلق الأمر بالحجاج الذي يرتبط بالخطابة منذ الأزل سواء عند الغرب أم عند العرب, وهو أحد أهم أركان التداولية .

موضوع الرسالة :

وقد اخترت أن يكون بحثي موسوما بـ: "اللسانيات التداولية ونظام الخطابة " وقمت فيه بمحاولة دراسة الخطابة العربية القديمة كنموذج في الدرس التطبيقي خاصة الخطابة السياسية لما تتوفر عليه من ثراء وتنوع في الخصائص التداولية، فهي توصف بأنها خطاب التأثير على الآخر ودفعه الى أن يعمل ويفكر ويعتقد،حيث انتقيت خطب حادثة السقيفة في عصر صدر الاسلام كمدونة استثمر فيها بعض النظريات التداولية لكشف ملابسات ومقاصد وأغراض ما يتصل بهذا الحدث الهام في حياة الأمة الإسلامية، ثم انتقيت خطبة الحجاج بن يوسف الثقفي لمقاربتها وفق الجانب الخطابي والبلاغي الاستعاري لتسليط الضوء على إشكالية علاقة الأسلوب بالحجاج.

دواعي اختيار الموضوع :

يرجع اختياري لهذا الموضوع إلى دواع ذاتية وأخرى موضوعية، تمثلت الذاتية في توجيهي من قبل أستاذي المشرف إلى هذا الاتجاه، ومع اطلاعي على بعض الدراسات

المنجزة في هذا المجال أصبح الدافع أكثر عمقا، كما لا أخفي إعجابي بالتراث العربي القديم الذي لم يفارقني عبر مراحل الدراسة.

أما فيما يخص الدوافع الموضوعية، فهي قلة الدراسات المنجزة حول تداولية الخطابة، خاصة ما تعلق بالكتب، إضافة إلى أن الخطابة فن تداولي تواصلي في أساسه مما يشجع على خوض غمار هذا البحث.

طرح الاشكالية :

حاولت الإجابة عن بعض الإشكاليات من قبيل: أين تكمن علاقة الخطابة بالتداولية ؟، وأين تظهر الأبعاد التداولية في هذا الفن،سواء في الجانب التواصلي والتفاعلي، أو على مستوى أفعال الكلام والتقنيات الحجاجية المستعملة؟. وهل حقيقة كانت الخطابة العربية القديمة خطابة إقناع لا امتاع؟ ومن هنا انطلقنا إلى إشكالية هل للأسلوب وظيفة جمالية فقط أم له دور في دعم القصد الحجاجي في الخطاب؟ وهل يمكن أن نوفق في المزج بين الآليات الحديثة والخطاب التراثي القديم في سبر أغوار هذه السلسلة الخطابية واكتشاف فحواها من خلال دراستها وفق المقاربة التداولية ؟.

خطة البحث :

قسمت البحث إلى مقدمة وثلاثة فصول وخاتمة. فبعد المقدمة, تناولت في **الفصل الأول** مبحثا لسانيا من البنيوية الى التداولية، وفيه تطرقت الى تعريفات اللغة عند بعض اللغويين أمثال ابن جني والأمريكي سابير sapir ودي سوسير وتشومسكي، تم انتقلت إلى تعريف اللسانيات وميزتيها العلمية والموضوعية ثم موضوع اللسانيات وأقسام اللسانيات العامة: التاريخية والمقارنة والوصفية، ذاكرا أهداف البحث ومستويات التحليل اللسانيين، وبعدها انتقلت إلى اطلالة على المبادئ العامة للسانيات عند دو سوسير وتشومسكي، ثم نقد الاتجاهين البنيوي والتوليدي التحويلي وبروز الاتجاهات الوظيفية والاجتماعية في دراسة

اللغة التي تعتبر التداولية امتدادا واستكمالا لها. ثم الانتقال الى ماهية اللسانيات التداولية من خلال ضبط المصطلح والمفهوم مشيرا الى قدم المصطلح وتعدد التسميات في الترجمة العربية، وفي نشأتها بحثت عن جذورها الأولى فوجدت أنها غربية المنشأ ترجع الى السيمياء البراغماتية عند "ش س بيرس" وطورها تلميذه "ش موريس" الذي عد مؤسسها الحقيقي متأثرا بالفلسفة التحليلية في دراسة اللغة، وقد تمثلت جوانب البحث التداولي في الإشاريات ومتضمنات القول (الافتراض المسبق والأقوال المضمرة) ثم الاستلزام الحواري والأفعال الكلامية، ومع نهاية القرن العشرين توسعت التداولية لتشمل الملفوظية والحجاج الذي يعد ركنا من أركانها، وقد ركزت فيه على الحجاج عند بيرلمان وتيتيكا (الخطابة الجديدة)، ونظرية الحجاج اللغوي عند ديكرو وأنسكومبر، وذلك راجع لأني سأعتمدهما في الدراسة التطبيقية، وقد بينت علاقة التداولية بتخصصات أخرى مثل علاقتها باللسانيات واللسانيات البنيوية ثم بعلم الدلالة والنحو الوظيفي واللسانيات الاجتماعية والنفسية والتعليمية وبتحليل الخطاب واللسانيات النصية،أما المبحث الأخير في الفصل الأول فكان التداولية والخطابة مبينا صلة الخطابة بالتداولية من وجوه متعددة سواء عند الغرب أو في التراث العربي . أما **الفصل الثاني** فقد خصصته للخطابة (دراسة نظرية تاريخية)، وقد بدأته بإبراز العلاقة بين النص والخطاب من خلال مفهوم كل منهما في التراث العربي وفي الدراسات الحديثة، ثم عرضت آراء اللغويين والباحثين فيما يقارب أو يباعد بينهما مستحضرا رأي أعلامهما (فان ديك وروبرت دي بوغراند) علم النص و(هاليداي وحسن رقية) تحليل الخطاب. ثم انتقلت الى مفهوم الخطابة لغة واصطلاحا، ويعزى أقدم تعريف لها إلى فلاسفة اليونان وخاصة أرسطو الذي ميز بينها وبين الشعر، ويمكن القول أنها فن مشافهة الجمهور وإقناعه واستمالته. ثم قمت برحلة تاريخية شائقة مع الخطابة واستوقفتني عند اليونان أولا هامسة في أذني أنهم من استنبطوا قواعدها وشيدوا أركانها وأقاموا بنيانها واعتنوا بها تنظيرا وتطبيقا، ثم واصلنا الرحلة فألحت علي أن أقف برهة عند الرومان لما شهدته عندهم من تطور عندما طالب الشعب بالحرية قبل الميلاد،

لكن سرعان ما زال الصراع فعادت إلى الخمود من جديد، لكن الرحلة لم تتوقف هنا بل أرشدتني الى أن هناك أمة أعتنت بها عناية بالغة واحتفت بها احتفاء عظيما، فوليت وجهنا شطر بلاد العرب فكانت الخطابة فيهم فطرية ولهم ضرورية، فمكثت مع العرب أتقصى أخبارها عبر محطات متعددة من الجاهلية الى العصر الحديث . وبعد هذه الرحلة الممتعة ارتأيت أن أبين أجزاء الخطبة حيث أن لها عبر التاريخ خطة موحدة عند جميع الأمم تزيد أو تنقص حسب الحاجة، ثم شرحت أنواعها، وعناصر بنائها أو المراحل التي تمر بها الخطبة (أصولها)، وفي كل ما ذكرت كنت أرجع الى أرسطو الذي يعد الأب الحقيقي لعلم الخطابة، وكان لا بد أن أمر الى الركن الأهم فيها وهو الخطيب مبينا عدته وصفاته (شروط الخطابة ومقوماتها)، ثم أهمية الخطابة وفائدتها فهي حاجة نفسية وظاهرة اجتماعية، كما تطرقت إلى علاقة الخطابة بغيرها من العلوم (علم المنطق، علم النفس، علم الاجتماع) وكان آخر عنصر في هذا الفصل علاقة الخطابة بالحجاج مشيرا في هذا السياق الى أن نشأتها عند الاغريق كانت استجابة لحاجة حجاجية .وفي التراث العربي تجلت هذه الصلة في مشروع الجاحظ بربطه الخطابة بالإقناع من خلال العناية التي أفردها لوظيفتي الفهم والإقناع في القول الخطبي، وبحسب بيرلمان وتيتيكا: فإنه لا حجاج بدون وجود جمهور يرمي الخطاب الى جعله يقتنع ويسلم ويصادق على ما يعرض عليه. وفي **الفصل الثالث** وقبل المرور الى الجانب التطبيقي قمت بتسليط الضوء على مفهوم التواصل اللغوي بين ثلاثة مراحل هي التأصيل عند العلماء العرب والتأسيس عند "دي سوسير" والتنظير عند "جاكبسون" مركز على الوظيفة التواصلية للغة، وبما أنني اخترت للدراسة خطبا سياسية كان علي أن أشير الى نظرية الاتصال التي نشأت في المحاورات السياسية والقضائية عند اليونان، ثم تعريف الاتصال السياسي الذي يقوم على التفاعل بين الطرفين، وبعده تناولت مفهوم الخطاب السياسي ومعرفة العرب بالخطابة السياسية قديما، أما الدرس التطبيقي فقسمته الى قسمين: القسم الأول لدراسة خطب حادثة السقيفة وفق آليات المقاربة التداولية، ثم القسم الثاني وقمت فيه

بمقاربة خطبة الحجاج بن يوسف وفق الجانبين الخطابي الإقناعي والبلاغي الإمتاعي . فتناولت في القسم الأول دراسة خطب حادثة السقيفة التي ألقيت في يوم وفاة النبي صلى الله عليه وسلم، وكان موضوعها الصراع بين الأنصار والمهاجرين حول من يخلف رسول الله عليه الصلاة والسلام، وهو موضوع خطير يتوقف على نجاحه أو إخفاقه مستقبل الأمة جمعاء، وبعد ذكر المناسبة درست السياق وعناصره المتمثلة في : الزمان الذي أثار بعض التساؤلات، خاصة وأن رسول الله لم يدفن بعد وكبار المسلمين يختصمون في مسألة خلافته، ثم المكان المتمثل في سقيفة بني ساعدة معقل الخزرج قبيلة سعد بن عبادة مرشح الأنصار بالإجماع في البداية، ثم المرسل وهم خطباء الأنصار وخطباء المهاجرين والمرسل اليه وهم جمهور الحاضرين في السقيفة وغالبيتهم الساحقة من الأنصار, والموضوع الذي سبق ذكره والقصد الذي كان مشتركا بين الفريقين وهو التفاوض على السلطة بنية الاستحواذ عليها . أما آثار الخطاب والاستجابات المرتبطة به فتمثلت في النتائج المادية والخطابية للخطبة، وتتضمن استجابة الجمهور والتغييرات سواء في القيم والسلوكيات أو المادية على أرض الواقع، مبينا بعد ذلك وضعيات المتخاطبين وتبادل أدوار الكلام، ثم انتقلت إلى الأفعال الكلامية في السلسلة الخطابية (حسب تصنيف"سيرل")، وقد تراوحت بين الإخباريات والتوجيهات والإلتزاميات، ثم التقنيات الحجاجية (حسب تصنيف"بيرلمان" و"تيتيكا") في الحدث الخطابي وهي نوعان : أولا: طرائق الوصل وتتضمن الحجج شبه المنطقية التي تعتمد البنى المنطقية والحجج شبه المنطقية التي تعتمد العلاقات الرياضية والحجج المؤسسة على بنية الواقع والحجج المؤسسة لبنية الواقع . وثانيا : طرائق الفصل. أما الجزء الرابع والأخير فعنوانه الحدث الخطابي في ضوء نظرية الحجاج اللغوي، واعتمدت فيه على مرتكزات هذه النظرية التي تقوم على القرائن (الروابط) الحجاجية والسلم الحجاجي. أما القسم الثاني فكان محاولة مقاربة الخطبة وفق الإقناعي الخطابي والإمتاعي البلاغي، حيث اخترت خطبة الحجاج بن يوسف الثقفي لأهل الكوفة أنموذجا مناسبا لإبراز ازدواجية الصورة الفنية ودور الأسلوب في دعم القصد الحجاجي

من خلال تأثيره وسحره على المخاطب، وبدأت في هذا الجزء ببيان ماهية الخطابة والشعرية والمسار التاريخي لكل منهما عند اليونان والعرب، ثم انتقلت لعنصر آخر وفيه نقاط الالتقاء بين الخطابية والشعرية، والعنصر الذي يليه خصصته لازدواجية الصورة المجازية كالاستعارة والتشبيه والكناية حيث ركزت على الدور المزدوج الجمالي والحجاجي لها بالتطبيق على خطبة الحجاج بن يوسف الشهيرة التي جمع فيها بين الإقناع والإمتاع. وتشكلت الخاتمة من جملة النتائج المتوصل إليها، ويليها ملحق للخطب المدروسة.

الدراسات السابقة :

لقد استفدت كثيرا من خلال مطالعتي لبعض الدراسات السابقة التي تناولت الخطابة عموما مثل كتاب "البيان والتبيين" للجاحظ وكتاب "جمهرة خطب العرب" لأحمد زكي صفوت . ومنها ما تناولها وفق المقاربة التداولية ، كدراسة عماد عبد اللطيف في تحليل الخطاب التراثي المنشورة في مجلة الخطاب، وبعض رسائل الماجستير مثل "بلاغة الخطابة وآلياتها التداولية --الخطابة القضائية أنموذجا-" من إعداد الطالبة الباحثة عائشة قدوري، ورسالة أخرى بعنوان "أفعال الكلام في نهج البلاغة" للطالبة الباحثة أحلام صولح وغيرها.

المنهج :

قاربت موضوعات الفصل الأول مستضيئا بالمنهج الوصفي في دراسة اللسانيات التداولية، ومستنيرا بالمنهج التاريخي في مباحث الفصل الثاني الذي يتلائم مع نشأة الخطابة وتطورها، أما الفصل الثالث فقاربت مواضيعه في ضوء المنهج التحليلي في مقاربة تداولية لخطب حادثة السقيفة في صدر الاسلام .

الصعوبات :

غير أن البحث في الموضوع لم يخل من بعض الصعوبات لعل أهمها: اتساع الدرس التداولي بسبب تعدد مصادره المعرفية، وطغيان الجانب الفلسفي في دراسة الاتجاه التداولي والقصور في اللغة الأجنبية، وباستثناء الرسائل الجامعية المتوفرة فاني وجدت ندرة في المراجع التي تناولت الخطابة وفق المقاربة التداولية حيث لم أعثر إلا على مرجعين هما:"بلاغة النص التراثي" إشراف محمد مشبال و" لغة الخطاب السياسي –دراسة لغوية في ضوء نظرية الاتصال–" لمحمود عكاشة .

الأهداف:

تأتي أهمية هذا البحث من خلال سعيه إلى توظيف بعض الآليات التداولية من خلال استظهار قيمتها داخل الخطاب والكشف عن غرضها التداولي.

ولعل هذا المسعى سيسمح لي بتحقيق بعض الأهداف ومنها : الإسهام في إثراء المكتبة العربية والدرس التداولي العربي خاصة ما تعلق بالدرس التطبيقي الذي يعد مطلبا لكل الباحثين، ونظرا للحاجة الملحة إلى معرفة وسائل الخطاب والإقناع فقد أضحى الحجاج مطلبا أساسيا في كل عملية اتصالية تستدعي البيان والإفهام والإقناع فالمجتمع يتجه يوما بعد يوم نحو علم التواصل والحجاج إضافة إلى سيادة وسائل الإعلام في ثقافتنا التي جعلت الخطابة ممارسة إبداعية للإقناع.

المصادر والمراجع :

من المصادر والمراجع التي استعنت بها :"البيان والتبيين" للجاحظ الذي أرى أنه المعين والزاد المعرفي والعلمي لدارس الخطابة خاصة والأدب عامة، و"أسرار البلاغة" لعبد القاهر الجرجاني، وكتاب "الخطابة لأرسطو" بتحقيق عبد الرحمن بدوي وهو من الأهمية بمكان

حيث يعد صاحبه المنظر الأول لعلم الخطابة ، وقد اعتمدت في المتن موضوع الدراسة على كتاب "جمهرة خطب العرب" لأحمد زكي صفوت، كما استفدت في تناول هذا البحث من مراجع أخرى متعددة منها: "كتاب "في اللسانيات التداولية" لخليفة بوجادي، و"التداولية عند العلماء العرب" لمسعود صحراوي, وكتاب "آفاق جديدة في البحث اللغوي المعاصر" لمحمود أحمد نحلة، و"المقاربة التداولية" لفرانسواز أرمينكو. وكتاب عبد السلام عشير "عندما نتواصل نغير" و"في بلاغة الخطاب الإقناعي" لمحمد العمري، و"الحجاج في الشعر العربي" لسامية الدريدي و"بلاغة النص التراثي" إشراف محمد مشبال، و"لغة الخطاب السياسي" لمحمود عكاشة و"مجلة الخطاب" الصادرة عن مخبر تحليل الخطاب بجامعة تيزي وزو, و"الصورة الفنية في التراث النقدي والبلاغي عند العرب" لجابر عصفور وغيرها من المراجع القيمة.

وختاما أحمد الله العزيز المعين على ما وفقني إليه، وأتقدم بخالص الشكر لأستاذي المشرف الدكتور بوجمعة عمارة على رعايته العلمية وتواصله المحمود فجازاه الله عني خير الجزاء كما أوجه شكري إلى أساتذتي الذين درسوني إلى غاية الماجستير وكل الشكر والتقدير إلى السادة الأساتذة أعضاء لجنة المناقشة على ما سيقدمونه من قراءة علمية لإفادتنا بآرائهم القيمة وتوجيهاتهم السديدة ، ولا أنسى كل من قدم لي يد العون والمساندة.

الطالب اباعلال مولود

سيدي بلعباس 25-05-2016

الفصل الأول

اللسانيات التداولية

الفصل الأول: اللسانيات التداولية

توطئة

أولا: مبحث لساني من البنيوية إلى التداولية

1-تعريف اللغة

2-تعريف اللسانيات

3-المبادئ العامة للسانيات عند دي سوسير وتشومسكي

ثانيا: التداولية (النشأة والمفهوم)

1- المصطلح

2- المفهوم

3-نشأة التداولية

4-جوانب البحث التداولي

5-علاقة التداولية بتخصصات أخرى

6-التداولية والخطابة

توطئة:

بعد أن وضع فرديناند دي سوسير (1857-1913) أسس اللسانيات في بداية القرن العشرين والانتشار الواسع لمفاهيمها الأساسية، باتت البنيوية اللسانية المرجع الأساسي في كل الدراسات اللغوية، وأصبح النقد الأدبي مدينا لها بالشيء الكثير، لكن إذا كانت اللسانيات علما حدد مفاهيمه، ووضع أطرا ثابتة يقتدى بها، فإن الفكر البشري لا يتوقف عند حدود معرفية مهما بلغت من الكمال[1]. فقد شهدت دراسة اللغة تطورا في ظل المناهج المختلفة حيث انتقلت من علم اللغة الذي يكاد يخلص للنظام اللغوي (من سوسير إلى تشومسكي) إلى علم لغة يركز على الاتجاه الاتصالي والوظيفي والتداولي الذي يعد من أحدث الاتجاهات اللغوية التي ظهرت وازدهرت على ساحة الدرس اللساني الحديث والمعاصر، وتقوم التداولية في جوهرها على رفض ثنائية: اللغة/الكلام (Langue/Parole) التي نادى بها رائد اللسانيات الحديثة دي سوسير (F. de Sussure) القائلة بأن اللغة وحدها دون الكلام هي الجديرة بالدراسة العلمية حيث نجده يقول في هذا الإطار: «سيكون موضوع اهتمامي علم اللغة فقط (دون علم الكلام) وإذا استخدمت مادة تدخل في موضوع الكلام من أجل توضيح مسألة ما، فسأحاول أن أبقي على

1- ينظر: سيلفان أورو وجاك ديشان وجمال كولوغي، تر: د. بسام كوسة، فلسفة اللغة، مركز دراسات الوحدة العربية، بيروت، لبنان، ط1، 2012، ص ص 7-8.

الخطوط التي تميز هذين الفرعين»[1]. كما تأتي التداولية «كردة فعل على معالجة "تشومسكي" للغة يوصفها شيئا تجريديا أو قصرها على كونها قدرة ذهنية بحتة»[2].

وعلى ذلك فإنها تعنى بالبحث في العلاقات القائمة بين اللغة ومتداوليها من الناطقين بها فتأخذ على عاتقها تحليل عمليات الكلام ووصف وظائف الأقوال اللغوية وخصائصها لدى التواصل اللغوي.

1- فردينان دي سوسير، تر: د. يوئيل يوسف عزيز، علم اللغة العام، سلسلة كتب شهرية تصدر عن دار آفاق عربية، بغداد العراق، د.ط، 1985، ص 38.

2- عبد الهادي بن ظافر الشهري، استراتجيات الخطاب مقاربة لغوية تداولية، دار الكتاب الجديد، بيروت، ط1، 2004، ص 21.

أولا– مبحث لساني من البنيوية إلى التداولية

إن الحديث عن اللغة بدأ في عصور ضاربة جذورها في أعماق التاريخ، ولكن كان في شكل تأملات فلسفية حول نشأة اللغة وأسبقية اللغة أو الفكر والعلاقة بين الدال والمدلول وأقسام الكلام ...الخ. أما الدراسات اللغوية التي تبنت مناهج علمية فقد ظهرت في العالم الغربي في أواخر القرن التاسع عشر الميلادي، واللسانيات كباقي العلوم الأخرى تنهل من منابع الدراسات القديمة بالبحث والتطوير ومحاولة إحيائها[1]، وإعادة صياغة بعض جوانبها ونظرا إلى أن اللغة هي موضوع اللسانيات ، كان من المهم أن نتطرق إلى تعريف اللغة واللسانيات معا.

1–تعريف اللغة:

«تعد اللغة الطبيعية نظاما علاميا مميزا من بين الأنظمة العلامية الأخرى، فهي تختلف عن لغات الحيوانات ، ولغات الإشارة الجسيمة ولغة الصم ، و البكم ، ولغة المرور»[2]، وهناك عدة تعريفات للغة أتى بها بعض مشاهير النحاة و اللسانيين، لقد عرف العالم العربي ابن جني (ت 392 هـ) اللغة بأنها أصوات يعبر بها كل قوم عن أغراضهم.

وفي نظر الأمريكي "سابير" (Sapir): هي نظام بشري غير غريزي لتبليغ الأحاسيس والرغبات بواسطة رموز (Symbols) مستحدثة بطريقة إدارية

1- ينظر: أحمد مومن، اللسانيات نشأة وتطور، ص V.

2- محمد محمد يونس علي، مدخل إلى اللسانيات، ص 25.

وقد ذهب بلوش وتراجر (Bloch and Trager) إلى القول بأنها نظام من الرموز الصوتية الاعتباطية يتم بواسطتها التعاون بين أفراد مجموعة اجتماعية معينة[1].

وقد فرق دو سوسير بين اللغة الملكة (Langage) واللغة المعينة (Langue) أو المكتسبة كالعربية أو الإنجليزية مثلا في نظام مكتسب متجانس، إنها نظام من العلامات قوامه اتحاد المعنى بالمبنى . والجديد الذي أضافه دو سوسير في تعريف اللغة هو عنصر النظام[2]، ويرى الدكتور محمد محمد يونس علي في كتابه مدخل إلى اللسانيات بأن اللغة: «نظام من العلامات المتواضع عليها اعتباطا التي تتسم بقبولها للتجزئة، ويتخذها الفرد عادة وسيلة للتعبير عن أغراضه ولتحقيق الاتصال بالآخرين وذلك بوساطة الكلام و الكتابة»[3]، وفي رأيه أن هذا تعريف شامل وجامع ودقيق استقاه من تعريفات اللغويين القدامى والمحدثين[4].

أما اللساني الأمريكي تشومسكي (Chamsky) فقد عرف اللغة بقوله: «من الآن فصاعدا سأعد اللغة مجموعة (متناهية أو غير متناهية) من الجمل، كل جملة محدودة الطول ومتكونة من مجموعة محدودة من العناصر»[5]. «ونلاحظ أن

1-ينظر: أحمد مومن، اللسانيات نشأة وتطور، ص ص V، VI.

2 -ينظر:محمد محمد يونس علي، مدخل إلى اللسانيات، ص 26.

3-المرجع نفسه، ص 26 .

4 -ينظر : نفسه، الصفحة نفسها.

5 -أحمد مومن، اللسانيات نشأة وتطور، ص VI.

تشومسكي لم يذكر أي شيء عن الوظيفة التواصلية للغة ولا عن الطبيعة الرمزية لعناصرها ولكنه شدد على خصائصها البنيوية وإمكانية دراستها من وجهة رياضية محضة. وبشكل عام فإن هذه التعريفات تنظر إلى اللغات على أساس أنها أنظمة من الرموز وضعت خصيصا لتسهيل عملية الاتصال»[1].

2-تعريف اللسانيات:

كما هو شائع بين أوساط الدارسين للغة، فإن اللسانيات هي الدراسة العلمية والموضوعية للسان البشري، ويتجلى من خلال هذا التعريف أن اللسانيات هما: العلمية والموضوعية، فما المقصود بهما؟

1. **العلمية:** نسبة إلى العلم وهو بوجه عام إدراك الشيء كما هو عليه في الواقع وبوجه خاص هو إتباع الطرق والوسائل العلمية أثناء الدراسة والبحث كالملاحظة والاستقراء والوصف والتجربة ...الخ.

2. **الموضوعية:** كلمة مشتقة من الموضوع ويقصد بها كل ما يوجد في العالم الخارجي في مقابل العالم الداخلي، أو هي بتعبير آخر؛ التجرد من الأهواء والميولات الشخصية أثناء الدراسة والبحث[2].

1- أحمد مومن، اللسانيات نشأة وتطور، ص VI.

2-ينظر: أحمد حساني، مباحث في اللسانيات، ديوان المطبوعات الجامعية، الجزائر، 1994، ص ص 14-15.

وقد جاء في معجم اللسانيات لجون دي بوا أن: «اللسانيات هي العلم الذي يدرس اللغة الإنسانية دراسة علمية تقوم على الوصف ومعاينة الوقائع بعيدا عن النزعة التعليمية والأحكام المعيارية»، وتتميز اللسانيات عن علوم اللغة عند الغربيين قبل القرن التاسع عشر بجملة من الخصائص جون ليونز (J. Lyous) فيما يأتي:

أ- أن اللسانيات تتصف بالاستقلالية وهذا ما يؤكد علميتها بينما النحو التقليدي Grammaire كان يتصل بالفلسفة والمنطق.

ب- تعني اللسانيات باللغة المنطوقة قبل المكتوبة وباللهجات، ولا تفضل الفصحى عليها خلافا لعلوم اللغة التقليدية.

ج- تهدف اللسانيات إلى إنشاء نظرية لسانية تتصف بالشمولية، إذ يمكن على أساسها دراسة مختلف اللغات ووصفها.

د- تدرس اللسانيات اللغة ككل متكامل وذلك ضمن تسلسل متدرج من المستوى الصوتي إلى المستوى الدلالي مرورا بالمستويين الصرفي والنحوي[1].

- **موضوع اللسانيات:**

قال دي سوسير في تحديد موضوع اللسانيات: «إن موضوع علم اللغة الوحيد والحقيقي هو اللغة التي ينظر إليها كواقع قائم بذاته ويبحث فيها لذاتها»[2].

1- ينظر: أحمد محمد قدور، مبادئ اللسانيات، دار الفكر، دمشق، ط3، 2008، ص 16.

2- ف. دي سوسير، محاضرات في الألسنة العامة، ص 24.

«**منهاجها**: تعتمد اللسانيات في دراستها للغة على ثلاثة معايير علمية هي:

أ- الشمولية: ومعناها دراسة كل ما يتعلق بالظاهرة اللسانية دونما نقص أو تقصير.

ب- الانسجام: ويقصد به عدم وجود أي تناقض أو تنافر بين الأجزاء في الدراسة الكلية.

ج- الاقتصاد: ويراد به دراسة الظواهر اللغوية بأسلوب موجز ومركز مع التحليل الدقيق والميداني» [1].

- « **أقسام اللسانيات العامة:**

قسم علماء اللسان الدراسة اللغوية إلى ثلاثة أقسام هي كما يلي:

1. **اللسانيات التاريخية**: وهي دراسة الظاهرة اللغوية عبر المراحل الزمنية المختلفة مع تباين أسباب التغيرات التي تطرأ عليها وذلك إما داخل لغة معينة بواسطة الأفراد وإما خارج اللغة عن طريق الاحتكاك بلغات أخرى.

2. **اللسانيات المقارنة**: هي دراسة صلات القرابة بين اللغات ودراسة النظريات والتقنيات المستعملة في المقارنة لإيجاد القواسم المشتركة بينها أو للتمكن من الوصول إلى اللغة الأم أو الأصلية التي انحدرت منها هذه اللغات.

1- سند تكويني أ ت أ، السنة1، اللغة العربية وآدابها، اللسانيات، الإرسال 1، ص 3.

3. **اللسانيات الوصفية**: وهي أهم قسم في الدراسات اللسانية؛ ذلك لأنها تختص بدراسة اللغة وتحليل وظيفتها، وكذلك استعمال هذه اللغة من قبل الجماعة اللغوية في حيز زمني معين: في الحاضر حين يتعلق الأمر باللغات التي تركز بالدرجة الأولى على النطق ، وفي الماضي حين يتعلق الأمر باللغات المكتوبة سواء أكانت ميتة (كاللاتينية) أو حية (كالإغريقية وغيرها) »[1].

- **أهداف البحث اللساني**: « يمكن حصر الأهداف التي تسعى الدراسة اللسانية إلى تحقيقها فيما يلي:

1- تسعى اللسانيات إلى معرفة أسرار اللسان من حيث هو ظاهرة إنسانية عامة في الوجود البشري.

2- استكشاف القوانين الضمنية التي تتحكم في بنيته الجوهرية.

3- البحث عن السمات الصوتية والتركيبية والدلالية الخاصة للوصول إلى وضع قواعد كلية.

4- تحديد خصائص العملية التلفظية وحصر العوائق العضوية والنفسية والاجتماعية التي تعوق سبيلها »[2].

1- سند تكويني أ ت أ، السنة1، اللغة العربية وآدابها، اللسانيات، الإرسال 1، ص ص 3- 4.

2- أحمد حساني، مباحث في اللسانيات، ص 15.

- **مستويات التحليل اللساني**: موضوع اللسانيات الوحيد هو اللسان الذي يتبدى في ثلاثة مظاهر (أصوات ، تراكيب ، دلالات) ومن هنا فإن التحليل اللساني يظهر في ثلاثة مستويات أيضا وهي:

المستوى الصوتي: ويتفرع إلى:

أ) علم الأصوات العام (Phonetique): يدرس الجانب الفيزيولوجي والفيزيائي.

ب) علم الأصوات الوظيفي (Phonologie): يدرس الأصوات اللغوية من حيث هي عناصر وظيفية.

المستوى التركيبي: يرتبط بدراسة العلائق الوظيفية للبنية التركيبية المحورية في لسان ما.

المستوى الدلالي: يتعلق بدراسة الدلالات اللغوية في لسان ما[1].

3- المبادئ العامة للسانيات عند دي سوسير وتشومسكي:

أ- لسانيات دي سوسير:

يكاد يكون هناك إجماع من قبل اللغويين على أن اللسانيات -كدراسة علمية للغة- لم ترسخ وتستقر إلا بعد ظهور كتاب دي سوسير "دروس في اللسانيات

1- ينظر: أحمد حساني، مباحث في اللسانيات ، ص 16.

العامة". وهو في نظرهم بعد مؤسس اللسانيات في الثقافة الإنسانية المعاصرة دون سواه.

وقد كان لهذا العالم السويسري الفضل في كونه أول من دعا إلى دراسة المنهج الوصفي في اللسانيات من حيث هو بديل عن المنهج التاريخي في رصد الظاهرة اللسانية والكشف عن أنظمتها ووظيفتها، وتطور هذا التفكير المنهجي على يد تلاميذ دي سوسير والمتأثرين بآرائه العامة في نقد الدراسات السالفة ليخرج في شكل جديد اصطلح على تسميته بالبنيوية (Structuralisme) وتعني في أصلها اللغوي البناء، ولها دلالات مختلفة في الفرنسية منها: النظام، والتركيب، والهيكلة والشكل والواقع أن المعنى الدقيق لكلمة (Structure) لم يتم تحديده إلا في 1926 على يد مدرسة "براغ" اللسانية، ويفيد المصطلح معنى الترتيب الداخلي للوحدات التي تكون النظام اللساني، ولقد تعرض عدد من الباحثين اللسانيين لهذا المصطلح، منهم جورج مونان (George Monane) الذي يرى أن كلمة بنية ليست لها أية رواسب أو أعماق ميتافيزيقية فهي تدل عنده على البناء بمعناه العادي[1].

« وقد تفرع عن المنهج البنيوي الذي أرسى قواعده سوسير مدارس عديدة في أوروبا وأمريكا تختلف في الاتجاه أحيانا، ولكنها تلتقي –عموما– في حدود الفهم

1– ينظر: نعمان بوقرة، "المدارس اللسانية المعاصرة"، ص 75.

العام لمنهج سوسير ومن أشهرها: مدرسة براغ، ومدرسة كوبنهاغن، والمدرسة البنيوية الأمريكية »[1].

إن الهدف الأساسي للنظرية اللسانية البنيوية هو دراسة اللغة موضوع اللسانيات في ذاتها ولذاتها، أي دراستها دراسة وصفية آنية، وسنعرض الآن أهم المبادئ التي استخلصها دي سوسير من دراساته للغة والتي ساهمت في نشأة هذا الاتجاه البنيوي وهي:

– اللغة نظام؛ حيث لا يمكن تحليل الظواهر اللغوية بعزلها عن غيرها، فهي أجزاء في نسق أكبر[2] ، فالبنية ليست مجرد عناصر متآزرة ولكنها كل يخضع للمبدأ المنطقي القاضي بأولوية" الكل "على الأجزاء فلا يمكن فهم عنصر في البنية خارج الوضع الذي يشغله في الشكل العام[3]

– اللغة ظاهرة اجتماعية؛ وينبغي دراستها وفق هذا المبدأ، دون اللجوء إلى معايير أخرى خارجة عن مادتها البنيوية.

1- محمد الأخضر الصبيحي،" مدخل إلى علم النص ومجالات تطبيقه"، منشورات الاختلاف، الجزائر، ط1، 2008، ص 41.

2- ينظر: خليفة بوجادي،" في اللسانيات التداولية"، ص 18.

3 -ينظر: حبيب مونسي"نقد النقد، المنجز العربي في النقد الأدبي، دراسة في المناهج", منشورات دار الأديب، وهران، 2007،ص 162.

– التمييز بين "اللغة والكلام"؛ وهو تميز لما هو اجتماعي في اللغة وخاضع إلى نظام عام، عما هو فردي ذاتي لا تحكمه قواعد مشتركة[1]. ويقول دي سوسير: «سيكون موضوع اهتمامي اللغة فقط وإذا استخدمت مادة تدخل في موضوع الكلام من أجل توضيح مسألة ما فسأحاول أن أبقي على الخطوط التي تميز بين هذين الفرعين»[2].

– لا تحمل أية علامة معنى مستقلا بذاتها، ما لم تكن داخل نظام، بل تستمد معناها من النظام ككل، شأنها في ذلك شأن قطعة الشطرنج.

– أن دراسة اللغة يجب أن تكون أولا وقبل كل شيء دراسة آنية (Synchronique) وتأتي الدراسة التاريخية في الدرجة الثانية، ويقرر دي سوسير أنه لا يمكن أن تدرس اللغة دراسة علمية في مرحلة معينة، ذلك أن الإنسان يستطيع أن يضع قواعد لغته ويستخرج قوانينها دون الحاجة إلى معرفة تاريخها.

– يتميز وجود اللغة بمحورين ؛ الاستبدال ، وهو المجموعات اللغوية الحاضرة في الذهن ، وهي كيانات منفصلة تمثل القدرة على تبادل الظاهرة اللغوية. والمحور التوزيعي: هو العلاقات التي تربط بين وحدات اللغة أثناء التعبير بها.

– موضوع اللسانيات هو دراسة اللغة ذاتها حيث رتطرق في آخر محاضراته إلى أن الهدف الحقيقي الوحيد لعلم اللغة هو أن اللغة تدرس في حد ذاتها ومن أجل ذاتها.

1- ينظر:خليفة بوجادي، في اللسانيات التداولية، ص ص 18- 19.

2- ف. دي سوسير، علم اللغة العام، ص 38.

– الكلمة وحدة أساسية للتحليل اللساني، لا الجملة[1].

– الطبيعة الاعتباطية للإشارة اللغوية: فالعلاقة بين الدال والمدلول اعتباطية، والتأكيد على الطبيعة الخطية للدال[2].

ب– نظرية تشومسكي التحويلية والتوليدية:

بعد أن سيطرت المدرسة الوصفية البنيوية على الدرس اللساني في الغرب وبعد إيغالها في الشكلية جعل بعض اللغويين الأمريكيين يضيقون ذرعا بها، وبدا لهم الدرس اللغوي على هذا النحو سطحيا جدا وقاصرا عن الوصول إلى حقيقة الظاهرة اللغوية وهذا ما جعل تشومسكي يوجه انتقادات عنيفة للسانيات البنيوية ممهدا بذلك لظهور منهج جديد وهو ما يسمى بـ "المنهج التوليدي التحويلي" الذي تدعم بظهور كتاب تشومسكي (البنى التركيبية) سنة 1957م، وبداية من هذا التاريخ أخذت ريح هذا المنهج تهب على أوروبا وكل أنحاء المعمورة[3]، وأصبح التاريخ الألسني يتكلم عن الألسنية ما قبل النظرية التوليدية التحويلية والألسنية ما بعد النظرية التوليدية التحويلية، ويختلف تشومسكي عن غيره من البنيويين الأمريكيين في أنه محسوب على التيار العقلاني في دراسة اللغة، فالمادة اللسانية عند وسيلة لا غاية في ذاتها فهو منطقي عقلاني وهم وصافون تجريبيون، فاللغة في نظره

1- ينظر: خليفة بوجادي، في اللسانيات التداولية، ص ص 19-20.

2- ينظر: ف. دي سوسير، علم اللغة العام ص ص 86- 89.

3- ينظر: محمد الأخضر الصبيحي، مدخل إلى علم النص، ص 43.

إبداع وليست قوانين ثابتة وبنى جامدة كما عرضها الاتجاه السابق فهي تصنيف لعدد لا متناه من الجمل انطلاقا من عدد متناه من الكلمات ومثال ذلك الطفل الذي يستطيع تكوين عدد لا محدود من الجمل بفضل عدد من الجمل المسموعة ويرجع سبب ذلك إلى الاستعداد الفطري والكفاءة اللغوية فحرص أكثر على الاهتمام بالجوانب الباطنية الذاتية التي أهملها التوزيعيون، ومن أهم المفاهيم التي يعرض في نظريته:

– ينبغي الربط بين النحو والمعنى خلافا للاتجاهات التي تفصل بينهما.

– يعتمد في دراسته للغة على شطر من الموروث التوزيعي وعلى المفاهيم المنطقية الرياضية في النحو، واستعمل الرموز توخيا للدقة.

– يميز بين الكفاءة و الأداء؛ فالكفاءة هي المعرفة الضمنية التي يملكها مستخدم اللغة، وتستخدم بالفطرة، أما الأداء فهو تحقيق هذه الملكة وإنجازها.

– ينبني على هذا المفهوم السابق نوعان للبنية في نظره؛ البنية العميقة: وهو أصل الجملة الذي يحمل دلالة المتكلم، والبنية السطحية: وهي ما يظهر أثناء التعبير، وتكتنفها الإضافة والحذف والتقديم والتأخير، ويقوم السامع بتحويلات عدة للوصول إلى قصد المتكلم الذي تحمله البنية العميقة . ومهمة اللساني هي كشف هذه التحويلات ومدى قدرة كل من المتكلم والسامع على ممارستها.

– يرى أن للغات خواص مشتركة ؛ كأن تحتوي على جمل نموذجية تتفرع عنها جمل أخرى يشترط فيها السلامة النحوية ، والاستحسان أي استيفاء قواعد اللغة

وتماشيها مع المدلولات المستخدمة ، وهنا تكمن إبداعية اللغة موضوع النحو التوليدي[1].

جـ–نقد الاتجاهين البنيوي والتوليدي التحويلي:

– الاتجاه البنيوي:

يرى الدكتور حبيب مونسي في سياق حديثه عن تراجع بريق البنيوية والبنيويين « أن دائرتهم فقدت خصوصيتها، واستنفدت توهجها وغاب عنها البريق الذي كان لها، وأنها في وصفيتها تدور مثلما يدور حمار الطواحين بليدا في دائرة لا يقع فيها الحافر حذو الحافر، وكأنها في دورتها الأولى اكتشفت جزءا من الحقيقة الأدبية فظنت أنها اكتشفت سر الأدب كله، وأنه بيدها مثالا من العلمية يرفع عنها كلفة التقول الانطباعي والحكم القيمي »[2]

إن تمسك البنيوية بالعناصر الداخلية في النص الأدبي جعل المناهج تتجاوزها فيما بعد ووجهت إليها انتقادات عدة، حتى من روادها أنفسهم نحو (رولان بارط)، (جوناثان،) وغيرهما،

ومن ذلك أنها:

1–ينظر: خليفة بوجادي، في اللسانيات التداولية، ص 36 وما بعدها.

2 -حبيب مونسي، " النقد الأدبي و مزاعم الحداثة، الأدب واللسانيات "، روضة الآداب، مدونة أ د حبيب مونسي الإلكترونية.

– تنظر إلى النص والجملة بعدهما بنيتين ثابتتين، خلافا للنظرة الوظيفية لجملة مثل (حضر زيد مبتسما) تختلف دلالتها بحسب أحوال عدة: كالتقديم والتأخير، والحذف ...

– جعلت دراسة النص الأدبي داخلية مغلقة مما لم يسمح بتحليل قضايا عديدة بقيت عالقة، فجملة مثل (فلان كثير الرماد) أو مثل (هل عندك ساعة؟) تلقى بعض الحرج في التحليل البنيوي ... وهذا ما تعالجه اللسانيات التداولية فيما بعد.

– لم تستطع إنارة النص الأدبي وبحث مقولاته، ويرجع ذلك في نظر الدارسين إلى انشغالها بآليات الدلالة ونظمها عن ماهيتها، وانحباسها في اللغة، لأن النموذج اللغوي ليس بالضرورة موافقا للأنظمة غير اللغوية.

– تمثل قطيعة بين البنية النحوية وبين استعمالها في الواقع أو في النص الأدبي ولا تهتم بالعلاقة بينهما، وهي المهمة التي ستضطلع بها التداولية وتسمح بملاحظها[1].

– الاتجاه التوليدي التحويلي:

لم تسلم هذه المدرسة من الانتقادات حيث تعاملت في نموذجها التحليلي للغة مع لغة مثالية، وأبنية مثالية في مواقف مثالية وهو النقد الذي توجهه الاتجاهات الوظيفية والاجتماعية في دراسة اللغة حيث نجد اللسانيات الوظيفية تهتم أكثر بالوجهة الوظيفية للجملة لاهتمامهم بدراستها ضمن مفهوم التواصل.

1- ينظر: خليفة بوجادي، "في اللسانيات التداولية"، ص ص 30- 31.

– ترى أن دراسة اللغة في مستوياتها الجزئية الصوتية والصرفية والنحوية والدلالية تفقدها طابعها التواصلي الذي يميزها.

– دعت إلى عدم إغفال أبعاد اللغة الثقافية والاجتماعية والنفسية وطورت في هذا المجال مفهوم سياق الحال[1]. ومن ثمرات الدراسات الوظيفية، النحو الوظيفي وموضوع اللسانيات في نظره هو وصف القدرة التواصلية لدى المتكلم والسامع.

– ويرى أحمد المتوكل أنه يمكن تقسيم النظريات اللسانية المعاصرة باعتبار تصورها لوظيفة اللغات الطبيعية إلى: نظريات لسانية "صورية" ونظريات لسانية وظيفية (تداولية) حيث تدخل في المجموعة الأولى النظريات اللسانية التي تعتبر اللغات الطبيعية أنساقا مجردة يمكن وصفها بمعزل عن وظيفتها التواصلية، في حين أن المجموعة الثانية تشمل النظريات اللسانية التي تعتمد كأحد مبادئها المبدأ الآتي: اللغات الطبيعية بنيات تحدد خصائصها (جزئيا على الأقل) ظروف استعمالها في إطار وظيفتها الأساسية، وظيفة التواصل. ويمكن التمثيل للمجموعة الثانية، بما يسمى بالتداولية التي تمثل تطورا لما كان يدعى "الدلالة التوليدية" والنظرية الوظيفية الأمريكية والأوروبية والنحو الوظيفي[2].

1- ينظر: خليفة بوجادي، "في اللسانيات التداولية"، ص ص 38-39.

2- ينظر: أحمد المتوكل، "الوظائف التداولية في اللغة العربية"، منشورات الجمعية المغربية للتأليف والترجمة والنشر, دار الثقافة، الدار البيضاء، المغرب، ط1، 1985، ص 8.

– وتعد الدراسات التخاطبية (التداولية) امتدادا واستكمالا لجهود المدرسة الوظيفية وتأتي نتيجة لشعور المهتمين بها بإخفاق النموذج التقليدي للتخاطب لكونه يتعامل مع التخاطب في عزلة عن السياقات الفعلية التي تستخدم فيها اللغة وقصر وظائف اللغة على عملية الإبلاغ وإهمال الأصول التخاطبية المفسرة لمقاصد المتكلم[1].

–كما تفتر ض البراغماتية (التداولية) وجود توقعات بين المتخاطبين وأصول خطابية تحكم سلوكهم و استنتاجاتهم، ومن الواضح أنها تعني بالأداء وليس بالكفاية خلافا للتوليديين وقد عرف عن التداولية تشكيكها في قصر اللسانيات على دراسة الكفاية اللغوية بعيدا عن الاستخدام والسياق.

– لقد جاءت البراغماتية بعد مراحل من الدراسات الصورية أو البنائية للمعنى التي عرف بها التوليديون خصوصا ولعل روبين لاكوف (Robin Lakof) من أوائل التوليديين الذين شككوا في إمكان دراسة المعنى معزولا عن السياق[2].

– توالي الانتقادات للدراسات التي تجعل من الجملة وحدة للتحليل اللغوي,و رفض اللسانيين الاجتماعيين لفكرة المتحدث المثالي عند تشومسكي[3].

ويمكن القول: أن الدرس اللساني الحديث شهد تطورات واسعة مست مجال التركيب والدلالة وتعدتها إلى التداول باحثة عن كل الملابسات التي لها تعلق

1-ينظر: محمد محمد يونس علي، "مدخل إلى اللسانيات"، ص98.

2- ينظر: المرجع نفسه، ص102.

3-ينظر: نفسه، ص103.

بالملفوظ من أجل تحقيق فهم جيد له ، وإدراك لكيفية اشتغال وحداته ومختلف التعالقات التي تحكمها ، ونتيجة لهذا لم يعد الاتجاهان البنيوي والتوليدي التحويلي الاتجاهين المهيمنين على ساحة الدراسات اللسانية، إذ أتاحت المعرفة المعاصرة نماذج لسانية تحليلية حاولت إكمال النقص أو الزوايا التي لم تطرقها الدراسات السابقة، ويعد التوجه الوظيفي والتداولي أبرز هذه النماذج[1].

1- ينظر:عز الدين لعناني ، تحولات الدرس اللساني، مجلة الممارسات اللغوية، جامعة تيزي وزو، العدد 30، 2014،ص 77.

ثانيا: التداولية (النشأة والمفهوم)

1- المصطلح:

رغم أن التداولية مبحث لساني جديد إلا أن المصطلح ضارب في القدم وله استعمالاته في اللاتينية (Pragmaticus) وفي الإغريقية (Pragmaticos) بمعنى العمل أو الفعل (Action)، وقد ارتبط توظيفه في العصر الحديث في بداية ظهوره بالفلسفة الأمريكية البراغماتية*، ويصحب هذا المصطلح في اللغة الفرنسية (Pragmatique) معنيان أساسيان "محسوس" و "ملائم للحقيقة" أما في اللغة الإنجليزية فإن كلمة (Pragmatic) تدل غالبا على ماله علاقة بالأعمال والوقائع الحقيقية وكل هذه المفاهيم لا تخرج عن مقتضيات الحقل التداولي[1]. ويتفق الدكتور عبد الملك مرتاض مع هذا الطرح القائل بنسبة المصطلح إلى اللاتينية والإغريقية، كما يرى أن هذا المفهوم المتداول بين الناس ليس على نحو من الوضوح الأبلج[2]،

* - مصطلح البراغماتية مستعار من الفلسفة الواقعية والتجريبية، فقد نشأ في كنف الفلسفة، ثم انتقل إلى علم اللسان وأول من استخدمه في اللسان الفيلسوف تشارلز ساندروز بيرس (1839-1914) في النصف الثاني من ق 19م في كتبه وبحوثه في علم العلامات أو علم السيمياء وتناوله فلسفيا في مقال "تثبيت الاعتقاد" ومقال "كيف نجعل أفكارنا واضحة" وتبعه وليم جيمس (1842-1910) الذي استعمل المصطلح بمفهومه الفلسفي فقط، وتبع تشارلز موريس (1901-1979) أستاذ "بيرس" فطور علم العلامات وجعله علما عاما واستخدم المصطلح البراغماتي بمفهومه الاصطلاحي الخاص في الدراسات اللسانية في حديثه عن علاقة العلامات بمؤوليها في كتابه "أسس نظرية العلامات" المنشور 1938. ينظر: محمود عكاشة،" النظرية البراغماتية اللسانية (التداولية)، دراسة المفاهيم والنشأة والمبادئ"، مكتبة الآداب، القاهرة، ط1، 2013، ، ص ص 9- 10 .

1- ينظر: عبد الحليم بن عيسى، المرجعية اللغوية في النظرية التداولية، دورية الدراسات الأدبية، العدد 1، ماي 2008، جامعة وهران، ص 9.

2- ينظر: عبد الملك مرتاض، نظرية البلاغة، دار القدس العربي، ط2، 2010، ص 155.

ويكتنفه الكثير من الغموض. ويتبين هذا الرأي معظم الباحثين في هذا المجال مثل "مانغونو"[1] و "فرانسواز أرمينكو"[2]، وغيرهم.

أما في اللغة العربية فقد تعددت المصطلحات والتسميات ولم تستقر، ومن هنا يجب أن نفرق في المصطلح بين "التداولية" الذي نقصد به هذا الاتجاه للغوي الجديد الذي يعنى بقضايا الاستعمال اللغوي ويقابله المصطلح الفرنسي (Pragmatique) والبراغماتية* (Pragmatisme) أو ما يترجم أيضا "بالذرائعية" أو "النفعية" أو غيرهما كمذهب فلسفي تجريبي علمي[3]. وينسب وضع مصطلح التداولية في العربية للدكتور طه عبد الرحمن مقابلا للمصطلح الأجنبي (Pragmatique) قائلا: «... فإني وضعت هذا المصطلح منذ 1970 في مقابل (Pragmatique) التي صادفتها آنذاك بالتمييز بين التركيب والدلالة والتداول على المستوى المنطقي، ... وهي أن التداول أفضل كلمة يمكن استعمالها

1- ينظر: خليفة بوجادي، في اللسانيات التداولية،ص ص 63-64.

2- ينظر: فرانسواز أرمينكو، المقاربة التداولية، تر: سعيد علوش، مركز الإنماء القومي، بيروت، ص 5.

* - البراغماتية (Pragmatisme) الذرائعية أو النفعية: مدرسة فلسفية معروفة تعبر عن نظرية تهتم بالفائدة العملية للفكرة كمعيار صدقها, وتصورها يؤسس مبادئ الحقيقة والأخلاق على مصالح الفرد والزمرة الاجتماعية ويرخص تطبيقه في الحياة العملية وتسخيره المفرط من قبل الامبريالية الأمريكية، ويقول "جيمس ويليام": «الصحيح يكمن في ما هو حقيقي بالنسبة إلى سلوكنا». نعمان بوقرة "المدارس اللسانية المعاصرة "، ص 165.

3- ينظر: عبد الحليم بن عيسى، المرجعية اللغوية في النظرية التداولية، ص ص 9، 10.

لمقابلة لفظة (Pragmatique) ... بينما التداول نجد فيه المعنى التفاعلي، ونجد فيه أيضا معنى الممارسة»[1].

ولقد لاقى هذا المصطلح تداولا في استعمالات الدارسين وأصبح هو المهمين فاستخدمه "أحمد المتوكل" من خلال مؤلفاته العديدة ومدحه "الجيلالي دلاش" بالخفة والسلاسة[2]، بينما يقترح الدكتور عبد الملك مرتاض أن يترجم مصطلح (Pragmatique) "بالتداول" ومصطلح (Pragmatisme) بالتداولية[3]. وهناك من الباحثين العرب من يرى أن لا مقابل في اللغة العربية يحمل دلالة المصطلح الأجنبي ومن الأفضل استخدامه بلفظه الدخيل (البراغماتية) فهي أدق تعبير عن مفهومه وتحمل دلالته في ثقافته الأصلية[4].

2- المفهوم:

يعترف علماء اللغة والباحثون بصعوبة الإلمام بتعريف شامل ودقيق للتداولية لسعة مجالها في المنظومة الفكرية الحديثة، فهي غنية برؤى تعكس التنوع المعرفي الذي نشأ فيه الفكر التداولي، ولعل هذا ما دفع بفرانسواز أرمينكو بالقول: «فبادئ ذي بدء هل علينا أن نقول بالتداولية أو بالتداوليات؟ فالتداولية كبحث في قمة ازدهاره

1- ذهبية حمو الحاج، التحليل التداولي للخطاب السياسي، منشورات مخبر تحليل الخطاب، دار الأمل، العدد الأول، ماي 2006 ، جامعة تيزي وزو، ص 237، 238.

2- ينظر: خليفة بوجادي، في اللسانيات التداولية، ص 65.

3- ينظر: عبد الملك مرتاض، نظرية البلاغة، ص ص 162، 163.

4-ينظر: محمود عكاشة، النظرية البراغماتية اللسانية (التداولية)، دراسة المفاهيم والنشأة والمبادئ، ، ص 15.

لم يتحدد بعد في الحقيقة، ولم يتم بعد الاتفاق بين الباحثين فيم يخص تحديد افتراضاتها أو اصطلاحاتها ...»[1].

ولم تكن فرانسواز وحيدة في هذا الرأي بل إننا نعثر في كتاب فيليب بلانشيه ما يعزز ذلك حيث يرى أنه بالنظر إلى ارتباط التداولية بتخصصات متعددة فلا غرابة ألا ندرك وحدة التداولية، ويدعو للتساؤل عن وجود تداولية بصيغة المفرد، ويفضل اعتبارها تداوليات (des pragmatiques)[2]. وبرغم تعدد مفاهيم التداولية في الدراسات العلمية الحديثة فإنها عموما تعرف كما يلي:

1- «التداولية هي مجموعة من البحوث المنطقية اللسانية، وهي كذلك الدراسة التي تعنى باستعمال اللغة، وتهتم بقضية التلاؤم بين التعابير الرمزية والسياقات المرجعية والمقامية والحديثة والبشرية». فالتداولية من خلال هذا التعريف هي دراسة للاستعمال اللغوي في التواصل، خاصة العلاقات الموجودة بين الجمل والعبارات داخل السياقات والمقامات التواصلية المختلفة (encyclopedia universalis)[3].

1- فرانسواز أرمينكو، المقاربة التداولية، ص ص 09-10.

2- ينظر: فيليب بلانشيه، التداولية من أوستين إلى غوفمان، تر: صابر الحباشة، دار الحوار للنشر والتوزيع، اللاذقية، سوريا، ط1، 2007، ص 18.

3- المرجع نفسه، الصفحة نفسها.

2- كما تحد التداولية بكونها «دراسة للغة بوصفها ظاهرة خطابية وتواصلية واجتماعية في نفس الوقت» (جاك فرانسيس F. Jacques)[1].

3- وتحد أيضا كالتالي: «هي الدراسة أو التخصص الذي يندرج ضمن اللسانيات ويهتم أكثر باستعمال اللغة في التواصل» (ل. سفز L.Sefz)[2].

4- ويرى تشارلز موريس 1938 أنها جزء من السيميائية، وتهتم بدراسة علاقات العلامات بمفسريها[3]، أو مستعمليها بظروف استعمالها وبآثار هذا الاستعمال على البنى اللغوية، وهذا أقدم تعريف وهو واسع يتعدى المجال اللساني (السيميائي) والمجال الإنساني (الحيواني والآلي).

5- "وهي عند رائدها (ج. أوستين Austin) جزء من علم أعم هو دراسة التعامل اللغوي من حيث هو جزء من التعامل الاجتماعي، وبهذا المفهوم ينتقل باللغة من مستواها اللغوي إلى مستوى آخر هو المستوى الاجتماعي في نطاق التأثير والتأثر"[4].

6- أما الدكتور مسعود صحراوي فيعرفها قائلا: «التيار التداولي هو مذهب لساني يدرس علاقة النشاط اللغوي بمستعمليه وطرق وكيفية استخدام العلامات اللغوية

1- فيليب بلانشيه، التداولية من أوستين إلى غوفمان، ص 19.

2 -المرجع نفسه ، الصفحة نفسها.

3- ينظر: محمود أحمد نحلة، آفاق جديدة في البحث اللغوي المعاصر، دار المعرفة الجامعية، مصر، 2002، ص 09.

4- عبد الحليم بن عيسى، المرجعية اللغوية في النظرية التداولية، ص 11.

بنجاح والسياقات والطبقات المقامية المختلفة التي ينجز ضمنها "الخطاب" والبحث عن العوامل التي تجعل من "الخطاب" رسالة تواصلية "واضحة" و "ناجحة" والبحث في أسباب الفشل في التواصل باللغات الطبيعية ...»[1]

7- «التداولية هي دراسة جوانب السياق التي تشفر كليا في تراكيب اللغة، وهي عندئذ جزء من مقدرة المستعمل»[2].. وبهذا فهي" تفتح أبواب دراسة ما لم يقل ودراسة الضمني في الحديث" [3] من خلال إدراك مقاصد المتكلم كما ورد في التعريف الآتي:

8- التداولية: فرع من علم اللغة يبحث في كيفية اكتشاف السامع مقاصد المتكلم، أو هو دراسة معنى المتكلم، فمثلا: إذا قال المعلم في القسم، "الجو بارد جدا" قد يعني أغلقوا الباب والنوافذ، وليس من الضروري أن يقصد مجرد الإخبار فقط، فالمتكلم كثيرا ما يعني أكثر مما يقول وإن كان الأمر كذلك فكيف يمكن للناس أن يفهم بعضهم بعضا[4]؟

1- مسعود صحراوي، التداولية عند العلماء العرب، دراسة تداولية لظاهرة أفعال الكلام في التراث اللساني العربي، دار الطليعة للطباعة والنشر، بيروت، ط1، 2005، ص 05.

2- محمود أحمد نحلة، آفاق جديدة في البحث اللغوي المعاصر، ص 12.

3 - خليفة بوجادي، في اللسانيات التداولية، ص 71.

4- ينظر: محمود أحمد نحلة، آفاق جديدة في البحث اللغوي المعاصر، ص ص 12-13.

9- وبصورة أخرى "هي ذلك النشاط اللساني الذي يهتم بالبعد الاستعمالي أو الانجازي للكلام ويأخذ بعين الاعتبار المتكلم والسياق "[1] "و من ثم فإن أسئلة التداولية الحقة تقع في المتتالية التالية : ماذا نفعل عندما نتكلم؟ ماذا نقول عندما نتكلم؟ من يتكلم؟ ومع من يتكلم؟ ولماذا يتكلم بهذا الشكل وليس بذاك؟ كيف يمكن أن نقول شيئا مغايرا لما كنا نقصده؟ هل يمكن الاطمئنان إلى المعنى الحرفي لكلام ما؟ ما هي الاستعمالات الممكنة للغة؟.."[2]

ولعل التمعن في التعريفات السابقة يوصلنا إلى أن أوجز تعريف وأقربه للقبول هو دراسة اللغة في الاستعمال أو في التواصل لأنه يشير إلى أن المعنى ليس شيئا متأصلا في الكلمات وحدها، ولا يرتبط بالمتكلم وحده، ولا السامع وحده، فصناعة المعنى تتمثل في تداول اللغة بين المتكلم والسامع في سياق محدد (مادي واجتماعي ولغوي) وصولا إلى المعنى الكامن في كلام ما[3].

3-نشأة التداولية:

إذا حاولنا البحث عن الجذور الأولى للتداولية فيمكن القول أنها ظهرت في الغرب ويرجع ظهورها في البداية إلى: السيمياء البراغماتية (Pragmatie Semiaties) التي أرساها "شارلز ساندرس بيرس" وطورها تلميذه "تشارل

1 -حبيب مونسي،" مقاربة مقارنة بين علم المقاصد العربي و أفعال الكلام، التداولية ومقاصد الخطاب الأدبي البراغماتي "، المدونة الإلكترونية : اللسانيات اللغة التواصل والتفاعل مع المجتمع ، ص 1.

2 - المرجع نفسه، ص 1

3- ينظر: نفسه، ص 14.

مويس" وحقق فيها نتائج جعلته رائدها وطور البراجماتية اللسانية وعد مؤسسها الحقيقي متأثرا بالفلسفة التحليلية في دراسة اللغة وقد ظهرت التداولية عنده في تقسيمه على الرموز إلى ثلاثة فروع: علم التركيب وعلم الدلالة والبراغماتية اللسانية (Pragmatic) دراسة علاقة الرموز (العلامات) بمفسريها، وهذا هو الظهور العلمي الأول لموضوع دراسة التداولية اللسانية.[1]

كما يستند الدرس التداولي المعاصر إلى مصادر متنوعة، إذ لكل مفهوم من مفاهيمه الكبرى حقل معرفي انبثق منه فمفهوم الأفعال الكلامية: منبثق من مناخ فلسفي عام هو تيار الفلسفة التحليلية، ومفهوم نظرية المحادثة: منبثق من فلسفة بول غرايس (Grice) أما مفهوم نظرية الملائمة فقد ولد من رحم علم النفس المعرفي.

ولعل أبرز عامل في ظهور البراغماتية اللسانية يرجع إلى ظهور تيار "الفلسفة التحليلية" الذي نشأ في العقد الثاني من القرن العشرين في النمسا على يد الفيلسوف الألماني (غوتلوب فريجة Gottlob Ferega (1848-1925) حيث كانت دروسه في الجامعة الألمانية موردا لطلاب الفلسفة والمنطق ، ويعتبر الاتجاه التحليلي في الفلسفة هو الاتجاه الرئيس والغالب في فلسفة اللغة وفي الفلسفة المعاصر الذي ركز على موضوع اللغة وحاول تغيير مهمة الفلسفة وموضوعها وممارستها، أما القيمة الفلسفية لما جاء به (فريجة) فهي ثمينة في نظر بعض فلاسفة

1 - ينظر :محمود عكاشة، النظرية البراغماتية اللسانية (التداولية)، ص 27، وما بعدها.

اللغة بل ما طرحه يمثل عندهم ثورة أو انقلابا فلسفيا جديدا. فالجدير يتمثل في رؤيته الدلالية، خصوصا تمييزه بين اسم العلم والاسم المحمول* وبين المعنى والمرجع محدثا قطيعة معرفية ومنهجية بين الفلسفتين القديمة والحديثة، كما ربط بين مفهومين تداوليين هامين، هما الإحالة والاقتضاء ولا شك في أن ذلك من نتائج اعتماد "التحليل" منهجا فلسفيا جديدا.

وسار على درب (غوتلوب فريجه) الفيلسوف النمساوي (لودفيغ فيتغنشتاين Wittgenstein 1889-1951) منتقدا مبادئ " الوضعانية المنطقية" ومؤسسا اتجاهاً جديداً سماه فلسفة اللغة العادية، وقوامها «الحديث عن طبيعة اللغة وطبيعة المعنى في كلام الرجل (الإنسان) العادي، وأهم ما يميز فلسفة فيتغنشتاين التحليلية «بحثه في المعنى وذهابه إلى أن المعنى ليس ثابتا ولا محددا ودعوته إلى تفادي البحث في المعنى المنطقي الصارم. وقد تأثر بالتجديد الفلسفي الذي جاء به (فريجه) عدد من الفلاسفة منهم: هوسرل (Husserl) وكارناب (Carnap) وفيتغنشتاين (Wittgenstein) وأوستين (Austin) وسيرل (Searle)

* - ميز الفيلسوف الألماني (غوتلوب فريجة) بين مقولتين لغويتين متباينتين مفهوميا ووظيفيا وهما اسم العمل واسم المحمول، وهذا التمييز من اكتشافات المنطق الحديث لأن أرسطو رغم أنه عرف هذا التمييز كان يخلط بين القضية الحملية وغير الحملية، فقد بين (فريجة) أن الوظيفة الأساسية لاسم العلم هي إشارته إلى شيء فردي معين، بينما الوظيفة الأساسية للمحمول هي دلالته على تصور أي مجموع الخصائص التي تسند إلى اسم العلم أو بعضها. فألفاظ التسوير (كل وبعض) ليس لها معنى حقيقي إذا دخلت على علم بل قد تفسد معناه، وإذا دخلت على محمول أفادت معنى جديدا، فالعلم لا يقبل الكلية أو التبعيض على الحقيقة (كل محمد، بعض محمد، ...) أما المحمول يظل ذا معنى ولو دخلت عليه الأسوار مثل (كل متعلم، كل موظف، بعض الناس). ينظر: مسعود صحراوي، "التداولية عند العلماء العرب "، ص ص 18-19.

وغيرهم. وتجمع بين هؤلاء الفلاسفة مسلمة عامة مشتركة مفادها: أن فهم الإنسان لذاته ولعالمه يرتكز في المقام الأول على اللغة[1].

ويمكن أن نجمل مفهوم "الفلسفة التحليلية" في جملة من المطالب والاهتمامات تتلخص في ثلاثة:

1- "ضرورة التخلي عن أسلوب البحث الفلسفي القديم وخصوصا جانبه الميثافيزيقي.

2- تغيير بؤرة الاهتمام الفلسفي من موضوع "نظرية المعرفة" إلى موضوع "التحليل اللغوي".

3- تجديد وتعميق بعض المباحث اللغوية ولاسيما مبحث "الدلالة" والظواهر المتفرعة منه"[2].

هذا وقد انقسمت الفلسفة التحليلية إلى ثلاثة فروع أو اتجاهات كبرى هي:

- الوضعانية المنطقية بزعامة (رودولف كارناب).
- الظاهراتية اللغوية بزعامة (ارموند هوسرل).
- فلسفة اللغة العادية بزعامة (فيتغنشتاين).

1-ينظر: مسعود صحراوي، التداولية عند العلماء العرب، ص 17 وما بعدها.

2- المرجع نفسه، ص 21.

وهذا الفرع الأخير (فلسفة اللغة العادية) هو الذي نشأت بين أحضانه ظاهرة الأفعال الكلامية، وليست هذه التيارات كلها ذات منهج وظيفي تداولي في دراسة اللغة بسبب اهتمام الوضعانية المنطقية باللغات الصورية المصطنعة واتخاذها بديلة عن اللغات الطبيعية، أما الظاهراتية اللغوية فيؤخذ عليها انغماسها في البحث عن أطر فكرية أعم من الكينونة اللغوية ورغم اعتبارها اتجاه غير تداولي إلا أن الفلسفة الظاهراتية جاءت بمبدأ "القصدية" الذي استثمره الفيلسوف "أوستين" في دراسة ظاهرة الأفعال الكلامية وتبعه تلميذه "سيرل" حينما اتخذه معيارا أساسا لتصنيف "القوى المتضمنة في القول" فلم يتبق إذن إلا تيار فلسفة اللغة العادية الذي أسسه "فينغنشتاين" الذي يعتبر اللغة المادة الأساسية للفلسفة وهي المفتاح السحري كل مشكلات ومغاليق الفلسفة. ولكن تراثه لم يكتسب مكانته الحقيقية إلا بعدما تبناه فلاسفة مدرسته "أوكسفورد" ولاسيما: "ج.ل. أوستين" وتلميذه "سيرل"[1].

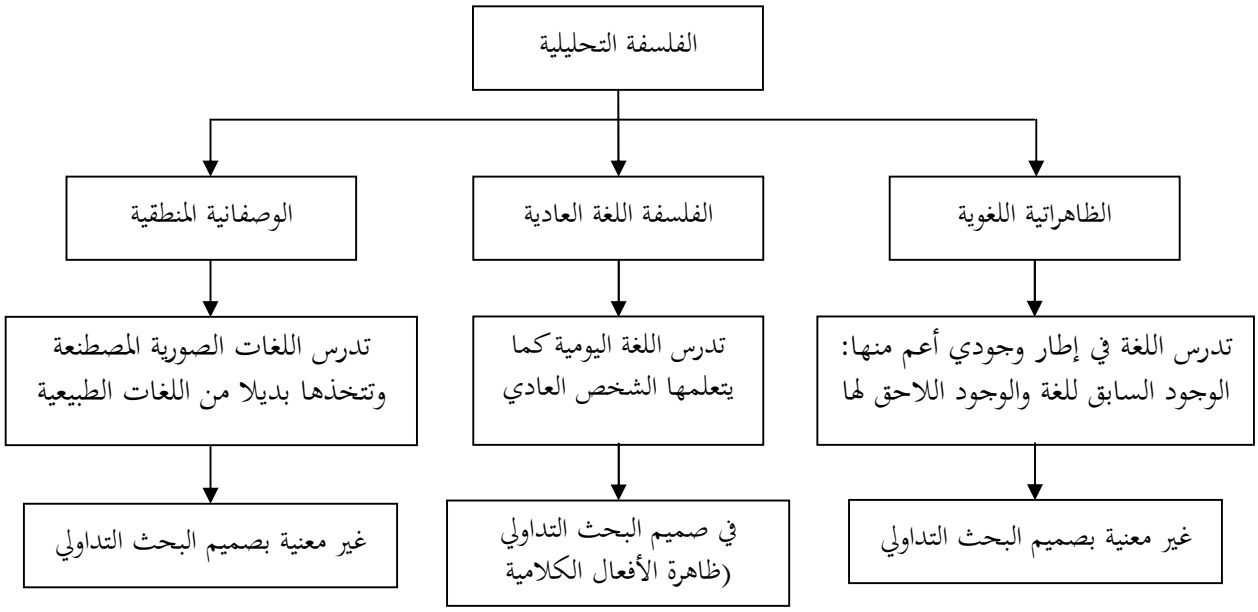

1-ينظر: مسعود صحراوي، التداولية عند العلماء العرب، ص 22 وما بعدها .

ونخلص مما سبق: «أن هذه الظاهرة قد نشأت في مناخ فكري علم ميزته أنه ولى ظهره للميثافيزيقا وانفتح على اللغة دراسة وفهما وتوضيحا هذا، وقد اكتشف فلاسفة التحليل عدة ظواهر لغوية من وجهة نظر تداولية ودروسها وأهمها: الإحالة، والاقتضاء، والاستلزام الحواري ومفهوم "الافتراضات المسبقة" وظاهرة الأفعال الكلامية»[1].

4-جوانب البحث التداولي:

رغم اتساع نظريات الدرس التداولي، إلا أن الباحثين يكاد يجمعون على أنه يقوم على دراسة أربعة جوانب هي: الإشارة، والافتراض المسبق، والاستلزام الحواري، والأفعال الكلامية. ومع نهايات القرن العشرين ازدادت اهتمامات التداولية اتساعا لتشمل موضوعات أخرى لها صلة مباشرة بالاستخدام الفعلي للكلام كالحجاج الذي يعد ركنا من أركان التداولية .

- **الإشارة:** يرى "لفنسون" أن التعبيرات الإشارية تظهر أهميتها البالغة حين يغيب عنا ما نشير إليه، فيسود الغموض ويستغلق الفهم، فنحاول تفسيرها بالاعتماد على السياق المادي الذي قيل فيه ومعرفة المرجع الذي تحيل إليه فإذا قرأت هذه الجملة مثلا: "سوف يقومون بهذا العمل غدا، لأنهم ليسوا هنا الآن". وجدتها شديدة الغموضة لاحتوائها على عدة عناصر إشارية تحتاج إلى تفسير وهي: واو الجماعة، وضمير جمع الغائبين "هم" واسم الإشارة "هذا"، وظرف الزمان غدا، والآن، وظرف

1- مسعود صحراوي، التداولية عند العلماء العرب، ص ص 24-25.

المكـان "هنـا"ن ولا يتضـح معـنى هـذه الجملـة إلا إذا عرفنـا مـا تشـير إليـه هـذه العناصر[1].

"ويـرى أغلـب البـاحثين أن الإشـاريات خمسـة أنـواع: إشـاريات شخصـية، وإشـاريات زمانية وإشـاريات مكانية، وإشـاريات اجتماعية، وإشـاريات خطابية أو نصية"[2].

1- الإشـاريات الشخصـية: وتتمثـل في الضـمائر المنفصـلة والمتصـلة الـتي تشـير إلى المتكلمين والمخاطبين ومن شاركوا في الحوار يضاف إليها شرط الصدق، فإذا قالت امرأة مثلا: "أنـا أم طـارق بـن زيـاد" فـلا يكفـي أن يكـون مرجـع الضـمير هـو تلـك المرأة، بل لابد من التحقق من مطابقة المرجع للواقع، وأن تكون الجملة قيلت في الظروف التاريخية المناسبة[3].

2- الإشـاريات الزمانيـة: تحيـل إلى زمـن أحـداث الخطـاب، والزمـان نوعـان: نحـوي وكـوني خـارجي، فـالزمن النحـوي زمـن الجملـة، والـزمن الكـوني الـذي يفـترض سـلفا تقسيمه إلى فصول وسنوات أشهر وأيام وساعات ...الخ[4].

1- ينظر: محمود أحمد نحلة، آفاق جديدة في البحث اللغوي المعاصر، ص ص 16-17.

2- المرجع نفسه، ص 17.

3- ينظر: نفسه، ص 18.

4- نفسه، ص 21.

3- الإشارات المكانية: وهي عناصر إشارية إلى أماكن يعتمد استعمالها وتفسيرها على معرفة مكان المتكلم وقت التكلم، أو على مكان آخر معروف للمخاطب أو السامع، ومن الإشارات المكانية: هذا، ذلك، والظروف: هنا، هناك، فوق، تحت، ...الخ، ويدخل فيها: أسماء الأماكن، ويرى بعض الباحثين أن "ال" التعريف تدخل في العناصر الإشارية والفرق أن اسم الإشارة يزيد عليها بالدلالة على القرب أو البعد[1].

4- اشاريات الخطاب: قد تلتبس اشاريات الخطاب بالإحالة إلى سابق أو لاحق لذلك أسقطها بعض الباحثين من الاشاريات، ومنهم من ميز بينهما فرأى أن الإحالة يتحد فيها المرجع بين ضمير الإحالة وما يحيل إليه مثل: "زيد كريم وهو ابن كرام أيضا"، فالمرجع الذي يعود إليه "زيد" و "هو" واحد، أما اشاريات الخطاب فهي لا تحيل إلى ذات المرجع بل تخلق المرجع، فإذا كنت تروي قصة ثم ذكرتك بقصة أخرى فقد تشير إليها، فالإشارة هنا إلى مرجع إلى جديد، على أن هذا التمييز ليس حاسما، ذلك بأن الإحالة ضرب من اشاريات النص أو هي أساس فيها[2].

5- الاشاريات الاجتماعية: وهي ألفاظ وتراكيب تشير إلى العلاقة الاجتماعية بين المتكلمين والمخاطبين من حيث هي علاقة رسمية أو علاقة ألفة ومودة، ففي العلاقة

1- ينظر: محمود أحمد نحلة، آفاق جديدة في البحث اللغوي المعاصر، ص ص 21-22.

2- ينظر: المرجع نفسه، ص 24.

الرسمية يكثر استعمال "أنتم" للمفرد المخاطب تبجيلا له أو مراعاة المسافة الاجتماعية بينهما و "نحن" للمفرد المعظم لنفسه، وتشمل الألقاب مثل فخامة الرئيس وجلالة الملك وسمو الأمير وغيرها، وتشمل السيد، الآنسة، حضراتك، ... أما في العلاقة غير الرسمية فهو منفك من هذه القيود جميعا فيستعمل النداء بالاسم المجرد أو باسم التدليل، والتحيات مثل: صباح الخير، صباح الفل، صباح العسل،...الخ[1].

– **متضمنات القول**: مفهوم تداولي إجرائي يتعلق برصد جملة من الظواهر المتعلقة بجوانب ضمنية وخفية من قوانين الخطاب تحكمها ظروف الخطاب العامة كسياق الحال وغيره، ومن أهمها:

أ– **الافتراض المسبق**[*]: حيث يوجه المتكلم حديثه إلى السامع على أساس ما يفترض سلفا أنه معلوم له، وتشكل هذه الافتراضات الخلفية التواصلية الضرورية لتحقيق النجاح في عملية التواصل وهي محتواة ضمن السياقات والبنى التركيبية العامة[2]. لاحظ مثلا الملفوظ "أغلق النافذة"، والملفوظ "لا تغلق النافذة"، ففي كليهما خلفية "افتراض مسبق" مضمونها أن "النافذة مفتوحة".

1– ينظر: محمود أحمد نحلة، آفاق جديدة في البحث اللغوي المعاصر، ص ص 25–26.

[*] – مصطلح (الافتراضات المسبقة) من وضع الفيلسوف الألماني "غوتلوب فريجة". مسعود صحراوي، التداولية عند العلماء العرب، ص 31.

2– مسعود صحراوي، التداولية عند العلماء العرب، ص ص 30–31.

ب- الأقوال المضمرة: هي النمط الثاني من متضمنات القول، وترتبط بوضعية الخطاب ومقامه على عكس الافتراض المسبق الذي يحدد على أساس معطيات لغوية، تقول "أوركيوني": «القول المضمر هو كتلة المعلومات التي يمكن للخطاب أن يحتويها، ولكن تحقيقها في الواقع يبقى رهن خصوصيات سياق الحديث».

مثال: "إن السماء ممطرة"، يعتقد السامع لهذا الملفوظ أن القائل أراد أن يدعوه إلى:

- المكوث في بيته.
- أو الإسراع إلى عمله حتى لا يفوته الموعد.
- أو الانتظار والتريث حتى يتوقف المطر.
- أو عدم نسيان مظلته عند الخروج ...[1].

- الاستلزام الحواري[*]: هو المعنى المستفاد من السياق، ويعد من أهم المبادئ التداولية وهو عند "غريس" قسمان: استلزام عرفي واستلزام حواري، فالعرفي ما تعارف عليه أصحاب اللغة من استلزام بعض الألفاظ دلالات بعينها لا تتغير بتغير السياق والتركيب، أو هي المعاني الاصطلاحية الصريحة التي تلازم الجملة في مقام

1- ينظر: مسعود صحراوي، التداولية عند العلماء العرب، ص 32.

[*] - ترجع نشأة الاستلزام الحواري إلى الفيلسوف (بول غريس 1913-1988) في محاضرته التي ألقاها في جامعة هارفارد عام 1967 في إطار بحثه "المنطق والحوار" الذي حاول فيه التفريق بين ما يقال وما يقصد في الخطابات المختلفة.

معين دون المجازية (المعنى الحرفي) مثل "لكن" مثل "زيد غني لكنه بخيل" التي يستلزم دائما أن ما بعدها مخالف لما يتوقعه السامع أما الاستلزام الحواري فهو متغير دائما بظروف انتاج العبارة اللغوية[1]. فحين يقال: "كم الساعة؟" فإن مقصد المتكلم يختلف حسب السياق الذي وردت فيه الجملة، فقد يكون سؤالا وقد يكون توبيخا للتأخر...

لقد كان ما يشغل "غريس" هو كيف يكون ممكنا أن يقول المتكلم شيئا ويعني شيئا آخر؟ ثم يكون ممكنا أيضا أن يسمع المخاطب شيئا ويفهم شيئا آخر؟ وقد وجد حلا لهذا الأشكال فيما أسماه "مبدأ التعاون" بين المتكلم والمخاطب وهو مبدأ حواري عام يشتمل على أربعة مبادئ فرعية هي:

1- مبدأ الكم: اجعل إسهامك في الحوار بالقدر المطلوب من دون أن تزيد عليه أو تنقص منه.

2- مبدأ الكيف: لا تقل ما تعتقد أنه غير صحيح، ولا تقل ما ليس عندك دليل عليه.

3- مبدأ المناسبة: اجعل كلامك ذا علاقة مناسبة بالموضوع.

4- مبدأ الطريقة: كن واضحا ومحدودا، فتجنب الغموض وتجنب اللبس و/أو جزور كلامك.

1- ينظر:محمود أحمد نحلة، آفاق جديدة في البحث اللغوي المعاصر، ص 33.

هذه هي المبادئ التي بها يتحقق التعاون بين المتكلم والمخاطب وصولا إلى حوار مثمر[1] وناجح وللتوضيح نورد هذا المثال وهو موازين زوج وزوجته:

الزوج: أين مفاتيح السيارة؟

الزوجة: على المائدة.

فمبدأ التعاون هنا متحقق، فالزوجة أجابت إجابة واضحة (الطريقة)، وكانت صادقة (الكيف)، واستخدمت القدر المطلوب من الكلمات دون زيادة أو نقصان (الكم) وأجابت إجابة ذات صلة وثيقة بإجابة زوجها (المناسبة) ولذلك لن يتولد عن قولها أي استلزام لأنها قالت ما تقصده[2].

ويتم الحصول على ظاهرة الاستلزام الحواري إذا تم خرق إحدى القواعد الأربعة السابقة، فيحاول المخاطب البحث عن المعنى الحقيقي المتخفي متجاوزا المعنى الصريح ليفهم قصد المخاطب، فالحوار الآتي بين الأم وولدها:

الأم: هل اغتسلت ووضعت ثيابك في الغسالة؟

الولد: اغتسلت.

ففي هذا الحوار خرق وانتهاك لمبدأ الكم لأن الأم سألته عن أمرين فأجاب عن واحد وسكت عن الثاني؛ أي أن إجابته أقل من المطلوب ويستلزم هذا أن

1- محمود أحمد نحلة، آفاق جديدة في البحث اللغوي المعاصر، ص 34.

2- ينظر: محمود أحمد نحلة، آفاق جديدة في البحث اللغوي المعاصر، ص 35.

تفهم الأم أنه لم يضع ثيابه في الغسالة ولم يجب بنعم حتى لا تشمل الإجابة شيئا لم يقم به ولم يرد أن يواجهها بتقاعسه عن الأمر الثاني الذي سكت عنه[1].

والاستلزام الحواري عند "غريس" خواص تميزه عن الاستلزام التقليدي (الاصطلاحي) تتمثل في:

أ- أنه يمكن إلغاؤه، ويكون ذلك عادة بإضافة قول من قبل المتكلم يسد الطريق أمام الاستلزام ويحول دونه كقولك "لم أجد كل الطعام" قد يستلزم أنك وجدت بعضه، فتلغي هذا الاستلزام بقولك "الحق لم أجد شيئا من الطعام"[2].

ب- لا يقبل الانفصال عن المحتوى الدلالي؟ أي أن الاستلزام الحواري متصل بالمعنى الدلالي لما يقال ولا علاقة له بالصيغة اللغوية الشكلية للعبارة فلا ينقطع مع استبدال المفردات والعبارات كالحوار الآتي بين الأختين:

1- لا أريدك أن تتسللي إلى غرفتي على هذا النحو.

2- أنا لا أتسلل، ولكن أمشي على أطراف أصابعي خشية أن أحدث ضوضاء، فرغم تغير الصياغة في القول (2) فإن ما يستلزمه القول من عدم الرضا على السلوك لا يزال قائما[3].

1- ينظر: محمود أحمد نحلة، آفاق جديدة في البحث اللغوي المعاصر، ص 36.

2- ينظر:محمود عكاشة، النظرية البراغماتية اللسانية (التداولية)، ص 93.

3-ينظر: محمود أحمد نحلة، آفاق جديدة في البحث اللغوي المعاصر، ص ص 38-39.

جـ- الاستلزام متغير بتغير السياقات التي يرد فيها مثل "السلام عليكم" قد تعني "الاستئذان" في سياق الدخول كما تعني "التوديع" عند الخروج وتلقى على المجلس فتعني "التحية"، وإذا قيلت لشخص مصحوبة بغضب فتعني "المقاطعة والمخاصمة" ...[1].

د- الاستلزام يمكن تقديره، بمعنى أن المتكلم بإمكانه أن يقوم بمجموعة من الاستنتاجات أو العمليات الذهنية بناء على ما سمعه من كلام وصولا إلى الاستلزام المطلوب بعيدا عن المعنى التركيبي لقرينة مانعة من إرادة ذلك المعنى مثل: "فلانة أفعى"، فلا يراد المعنى الحقيقي، بل يراد الغدر والدهاء، أو المرأة الحديدية يراد الحزم والقوة وهي تعابير استعارية[2].

وهكذا نجد أن الاستلزام الحواري عند "غريس" يمثل نظرية متكاملة حاول الباحثون إيضاحها وتطويرها واستكمال جوانب النقص والقصور فيها[3].

- الأفعال الكلامية:

لقد أنكر "جون أوستين" أن تقتصر وظيفة اللغة* على وصف وقائع العالم وصفا يكون إما صادقا وإما كاذبا وأطلق عليه المغالطة الوصفية، ورأى أن هناك نوعا آخر من العبارات لا يصف وقائع العالم ولا يوصف بالصدق ولا بالكذب،

1- ينظر:محمود عكاشة، النظرية البراغماتية اللسانية (التداولية)، ص 93.

2- ينظر: المرجع نفسه، الصفحة نفسها.

3- ينظر:محمود أحمد نحلة، آفاق جديدة في البحث اللغوي المعاصر، ص 40.

كقول رجل مسلم لامرأته: "أنت طالق"، أو يقول: "أوصي بنصف مالي لمرضى السرطان"، أو يقول وقد بشر بمولود: "سميته يحي" فهذه العبارات وأمثالها لا تصف شيئا من وقائع العالم الخارجي ولا توصف بصدق أو كذب، بل إنك إذا نطقت بواحدة منها أو مثلها لا تنشئ قولا، بل تؤدي فعلا، فهي أفعال كلام، أو هي أفعال كلامية.

كما ميز "أوستين" أولا بين نوعين من الأفعال، الأفعال الإخبارية والأفعال الأدائية ثم تبين له أن هذا التمييز غير حاسم، وأن كثير من الأفعال الإخبارية تقوم بوظيفة الأدائية، فرجع إلى السؤال: كيف ننجز فعلا حين ننطق فعلا؟ أو "كيف ننجز أفعالا بالألفاظ؟" [**].

وفي سعيه للإجابة عن هذا السؤال مرة أخرى رأى أن الفعل الكلامي مركب من ثلاثة أفعال، تعد جوانب مختلفة لفعل كلامي واحد و هي [1]:

أ- « الفعل اللفظي (فعل القول Acte Locutoire): وهو يتألف من أصوات لغوية تنتظم في تركيب نحوي صحيح ينتج عنه معنى محدد وهو المعنى الأصلي، وله مرجع يحيل إليه.

ب- الفعل الانجازي (فعل المتضمن في القول Acte Illocutoire): وهو ما يؤديه الفعل اللفظي من معنى إضافي يكمن خلف المعنى الأصلي، إنه عمل ينجز بقول ما وهو المقصود من النظرية برمتها.

1- ينظر: محمود أحمد نحلة، آفاق جديدة في البحث اللغوي المعاصر، ص 43 وما بعدها.

جـ- الفعل التأثيري (الفعل الناتج عن القول Acte Perlocutoire): ويقصد به الأثر الذي يحدثه الفعل الانجازي في السامع، وقد فطن "أوستن" إلى أن الفعل اللفظي لا ينعقد الكلام إلا به، والفعل التأثيري لا يلازم الأفعال جميعا فمنها ما لا تأثير له في السامع، فوجه اهتمامه إلى الفعل الانجازي حتى غدا أساس هذه النظرية فأصبحت تعرف به أيضا فتسمى أحيانا "النظرية الانجازية"»[1].

وفيما يلي تلخيص البنية العامة للأفعال الكلامية عند "أوستين" في الشكل التالي[2]:

بنية الفعال الكلامية عند أوستين:

– الفعل الأول: فعل القول وبنيته كالآتي:

فعل صوتي (إنتاج الأصوات)
+ فعل تركيبي (إخضاع الأصوات لنظام نحوي معين)
+ فعل دلالي (ربط الأصوات بالدلالة)

فعل القول Acte locutoire

الفعل المتضمن في القول: وهو القيام بفعل ما ضمن قول شيء Acte illocutoire
الفعل الناتج عن القول: وهو مجموع الآثار المترتبة عن الفعل السابق Acte perlocutoire

1- محمود أحمد نحلة، آفاق جديدة في البحث اللغوي المعاصر ، ص ص 45- 46.

2- مسعود صحراوي، التداولية عند العلماء العرب، ص 43.

– **الفعلان الثاني والثالث**: الفعل المتضمن في القول، والفعل الناتج عن القول:

النتيجة: الفعل الكلامي الكامل، وبنيته كالآتي:

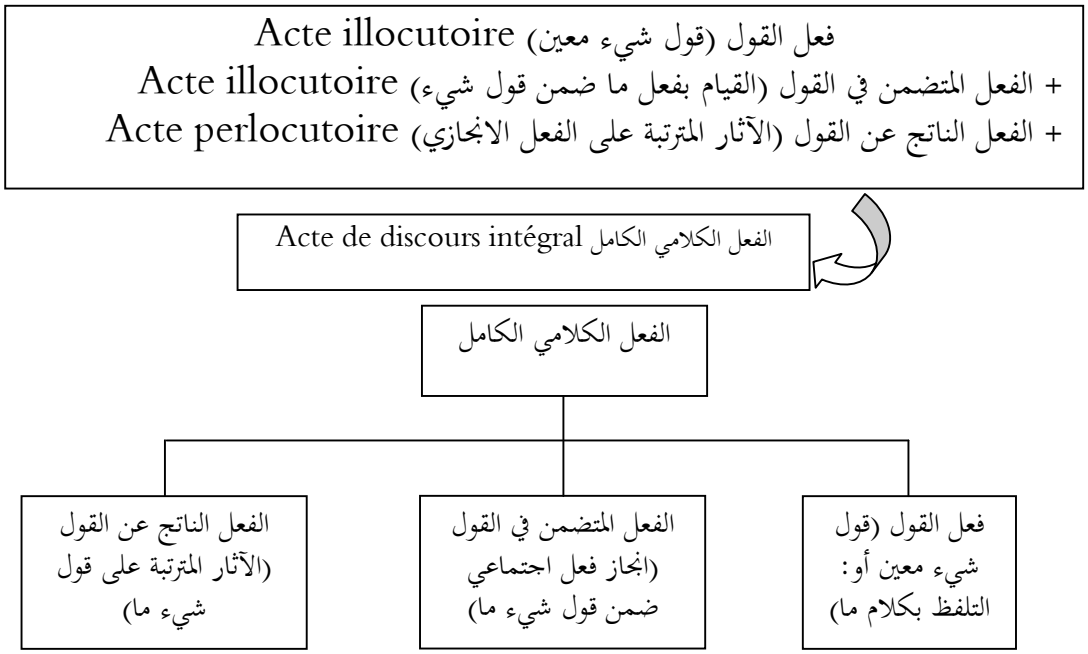

كما قدم "أوستين تصنيفا للأفعال الكلامية على أساس من قوتها الانجازية يشتمل على خمسة أنواع، ولم يتردد في القول بأنه غير راض عن هذا التصنيف:

– أفعال الأحكام: المتمثلة في حكم القاضي أو الحكم: حكم، وعد، ...

– أفعال القرارات: كاتخاذ قرار كالإذن والطرد والحرمان والتعيين ...

– أفعال التعهد: تعهد المتكلم بفعل شيء ما مثل الوعد، والضمان والتعاقد، والقسم، ...

– أفعال السلوك: وهي تكون عادة رد فعل لحدث ما كالاعتذار والشكر والمواساة والتحدي

– أفعال الإيضاح: تستخدم لإيضاح وجهة النظر أو بيان الرأي مثل الاعتراض والتشكيك والإنكار والموافقة والتصويب والتخطئة ...[1].

وبعد استفادة "سورل" من دروس أستاذه "أوستين" اقترح بعض التعديلات وطور نظرية الأفعال الكلامية، كما ألح على انقسام الفعل اللغوي والطابع الخاص الذي تنطوي عليه بعض الأفعال المسماة بـ "غير المباشرة" "indirects"[2].

وفيما يلي موجز لأهم ما جاء به "سورل":

1- نص على أن الفعل الانجازي هو الوحدة الصغرى للاتصال اللغوي، وأن للقوة الانجازية دليلا يسمى دليل القوة الانجازية يبين لنا نوع الفعل الانجازي الذي يؤديه المتكلم بنطقه للجملة يتمثل في الانجليزية في نظام الجملة والنبر والتنغيم وعلامات الترقيم في الكتابة وصيغة الفعل وما يسمى الأفعال الأدائية.

2- الفعل الكلامي عنده أوسع من اقتصاره على مراد المتكلم بل أيضا مرتبط بالعرف اللغوي والاجتماعي.

1-ينظر: محمود أحمد نحلة، آفاق جديدة في البحث اللغوي المعاصر، ص 46.

2-ينظر: الجيلاني دلاش، مدخل إلى اللسانيات التداولية، ديوان المطبوعات الجامعية، الجزائر، 1992، ص 25.

3- طور "سورل" شروط الملائمة عند "أوستين" فجعلها أربعة وهي: شروط المحتوى القضوي، الشرط التمهيدي، شرط الإخلاص، والشرط الأساسي.

وقدم "سورل" الدليل على أنه من الممكن بهذه الشروط الأربعة التمييز الميسور بين الأفعال الكلامية المختلفة، فخذ مثلا تطبيق هذه الشروط على فعل الالتماس.

1- المحتوى القضوي: فعل مستقبلي موجه إلى السامع.

2- الشرط التمهيدي:

أ- المستمع قادر على أن يؤدي الفعل.

ب- ليس من السامع أن الفعل سوف ينجز في ظروف طبيعية أولا.

3- شرط الإخلاص: المتكلم يريد حقا أن يؤدي السامع الفعل.

4- الشرط الأساسي: يعد محاولة لحث السامع على أداء الفعل[1].

الأفعال الكلامية عند "سورل":

أعاد "سورل" تقسيم الأفعال الكلامية وميز بين أربعة أقسام:

- فعل التلفظ: (الصوتي والتركيبي).
- الفعل القضوي: (الإحالي والجملي).

1- ينظر: محمود أحمد نحلة، "آفاق جديدة في البحث اللغوي المعاصر"، ص 47 وما بعدها.

– الفعل الانجازي: (على نحو ما فعل أوستين).

– الفعل التأثيري: (على نحو ما فعل أوستين).

وسرعان ما عاد أن اقترح خمسة أصناف لها:

1- الإخباريات Assertifs (تبلغ خبرا وهي تمثيل للواقع) وتسمى أيضا التأكيدات والأفعال الحكمية وكلها تحتمل الصدق أو الكذب.

2- الأوامر (التوجيهات) Directifs (تحمل المخاطب على فعل معين) ويدخل فيها: الأمر، النصح، الاستعطاف، التشجيع، ...

3- الالتزاميات Commissifs (أفعال التعهد) حين يلتزم المتكلم بفعل شيء ما ويدخل فيها، الوعدية، والوصية[1].

4- التصريحات (التعبيريات) Expressifs وغرضها الانجازي التعبير عن الموقف النفسي بشرط الإخلاص ويدخل فيه الشكر والتهنئة والاعتذار والمواساة.

5- الانجازيات (الإعلانيات) Dédaration أو (الإدلاءات) وتكون حين التلفظ ذاته فإن أديت مثلا فعل إعلان الحرب أداء ناجحا، فالحرب معلنة ولا تحتاج إلى شرط إخلاص[2].

1- ينظر: خليفة بوجادي، في اللسانيات التداولية،ص ص 99-100.

2- ينظر: محمود أحمد نحلة، آفاق جديدة في البحث اللغوي المعاصر، ص 50.

كما استطاع "سورل" أن يميز بين الأفعال الانجازية المباشرة والأفعال الانجازية، غير المباشرة، فبين أن الأفعال الانجازية المباشرة هي ما طابقت قوتها الانجازية مراد المتكلم؛ أي ما يقوله مطابق لما يعنيه، أما الأفعال الانجازية غير المباشرة فهي ما خالفت قوتها الانجازية مراد المتكلم، وذكر "سورل" لمثال الآتي للأفعال الانجازية غير المباشرة عندما قال رجل لامرأته على المائدة هل تناوليني الملح؟ فهذا فعل انجازي غير مباشر، إذ قوته الانجازية الأصلية تدل على الاستفهام الذي يحتاج إلى جواب، لكن مراد المتكلم هو طلب مهذب يؤدي فعل انجازي مباشر هو "ناولني الملح" فالسامع يصل إلى مراد المتكلم من خلال ما ذكر من مبدأ التعاون الحواري عند "غرايس" وبما أسماه "سورل" إستراتيجية الاستنتاج[1].

«ويفترض "سورل" أن الانتقال من الفعل اللغوي المباشر إلى الفعل اللغوي غير المباشر يتم عبر سلسلة من الاستدلالات قوامها المعرفة المتقاسمة (اللغوية وغير اللغوية) بين المتخاطبين»[2]. ولاحظ سورل أيضا أن أهم البواعث إلى استخدام الأفعال الغير مباشرة هو التأدب في الحديث، هذا ويلاحظ بعض الباحثين أن كل الأفعال الكلامية أفعال غير مباشرة فيما عدا الأفعال الأدائية الصريحة فنحن نتواصل بها أكثر من تواصلنا بغيرها[3]. والى جانب الأفعال الكلامية التي عدت التأسيس

1- ينظر: محمود أحمد نحلة، آفاق جديدة في البحث اللغوي المعاصر، ص ص 50-51.

2- أحمد المتوكل، اللسانيات الوظيفية -مدخل نظري-، دار الكتاب الجديدة المتحدة، 2010، ص 31.

3- ينظر: محمود أحمد نحلة، آفاق جديدة في البحث اللغوي المعاصر، ص 51.

الفعلي للتداولية فإن الحجاج يعتبر ركنا أساسيا من أركانها فهو ضرورة انسانية في الاقناع والتواصل .

الحجاج : Argumentation

هو مجال غني من مجالات التداولية يشترك مع العديد من العلوم الأخرى، يعد ضمن الحقل التداولي لكنه انبثق من حقل المنطق والبلاغة الفلسفي، يرتبط مفهومه بالفعل، ويشترك عند أرسطو بين الخطابة والجدل، وهو حسب المعجم الفلسفي: سلسلة من الأدلة تفضي إلى نتيجة واحدة، أو هو طريقة عرض الحجج وتقديمها. أما الحجة فقد عرفت في معجم اللساتيات ل"جورج مونان " بأنها العناصر غير اللساتية المشاركة في التعبير والتي لها علاقة مع محل الجملة الذي هو النواة.[1]

وقد شهدت الخطابة تراجعا في القرن التاسع عشر بسبب ظهور تيارين معارضين لها، أولهما التيار الوضعي (le positivisme) الذي رفضها باسم الحقيقة العلمية، وثانيها التيار الرومانطيقي الذي رفضها باسم الصدق، حيث رفع " فيكتور هيغو " شعار " السلم للنحو، الحرب على الخطابة "، ولم تشهد الأبحاث حول الخطابة استفاقتها المثيرة الا في القرن العشرين وتحديدا مع الستينات، اذ أصبح الحديث شائعا حول خطابة جديدة (une novelle rhétorique)، وتلخص مباحث الحجاج حديثا في الأعمال التالية :

1 -ينظر : خليفة بوجادي، " في اللسانيات التداولية"، ص ص 105- 106.

1-الخطابة الجديدة : (الحجاج عند بيرلمان وتيتيكا)

لقد شكل ظهور كتاب "مصنف في الحجاج" traité de l'argumentation لمؤلفيه "بيرلمان " Perelman وتيتيكا Tyteca سنة 1958 فتحا جديدا وأساسيا في عالم الخطابة الجديدة . ويعرف بيرلمان الحجاج بأنه جملة من الأساليب تضطلع في الخطاب بوظيفة حمل المتلقي على الاقتناع بما يعرض عليه أو الزيادة في حجم الاقتناع، وغاية الحجاج الأساسية هي الفعل في المتلقي على نحو يدفعه إلى العمل، وهو بهذا ينزل الحجاج في صميم التفاعل بين الخطيب وجمهوره [1] .

والحجاج حسب "بيرلمان و تيتيكا" على ضربين، الأول تمثله البلاغة البرهانية، ويقوم على البرهنة والاستدلال يعتمد فيه على العقل وهو خاص بالفيلسوف وجمهوره ضيق وغايته بيان الحق. والثاني حجاج أوسع من السابق يهتم بدراسة التقنيات البيانية التي تسمح باذعان المتلقي، وغرضه دغدغة عواطف السامعين واثارتهم. وان كانت الخطابة الديدة تمثل النظرة البلاغية والمنطقية للحجاج، فان نظرية الحجاج اللغوي قد انغرست في أديم لساني تداولي بحت.[2]

1 -ينظر: سامية الدريدي، " الحجاج في الشعر العربي ، بنيته وأساليبه "، عالم الكتب الحديث، اربد، الأردن، ط2، 2011، ص 19 وما بعدها .

2 ينظر: خليفة بوجادي، " في اللسانيات التداولية "، ص 107.

2-الحجاج اللغوي :(ديكرو Ducrot و انسكومبر Anscomre)

إن الحديث عن الحجاج اللغوي يقتضي منا التوقف عند كتاب "الحجاج في اللغة" 1983 الذي عرضا فيه مفهوم الحجاج وآلياته، وهو يختلف عن مفهوم بيرلمان وتيتيكا، فهو حجاج يقوم على اللغة بالأساس، بل يكمن فيها ولا يخرج عنها، بينما عرف بيرلمان الحجاج باعتباره مجموعة أساليب وتقنيات في الخطاب تكون شبه منطقية أو شكلية أو رياضية. ويرى ديكرو وأنسكومبر أن الحجاج باللغة يجعل الأقوال تتابع وترتبط على نحو دقيق فتكون بعضها حججا تدعم وتثبت بعضها الآخر، أي أن المتكلم يجعل قولا ما (ق1) حجة لقول آخر (ق2) هو بلغة الحجاج نتيجة قد تكون صريحة أو مضمرة فيكون على المتلقي استنتاجها لا من مضمون هذه الأقوال الإخبارية بل اعتمادا على بنيتها اللغوية فحسب .[1]

مثال : « أنا متعب، إذن أنا بحاجة إلى الراحة

الجو جميل، لنذهب إلى النزهة

الساعة تشير إلى الثامنة لنسرع»[2]

وما يلاحظ مما سبق أن الباحثين ركزا على الدور الحجاجي الذي يلعبه الكساء اللغوي لهذه الوقائع، فانتهيا الى أن اللغة تحمل في طياتها بعدا حجاجيا

1 -ينظر:سامية الدريدي، "الحجاج في الشعر العربي" ، ص ص 22-23.

2 -أبو بكر العزاوي ، "اللغة والحجاج"، العمدة في الطبع، ط1، 2006، ص 17.

كامنا في صميم بنيتها الداخلية مسجلا فيها وليس عنصرا مضافا اليها، ومن ثم فمعنى الأقوال لا ينفصل عن طابعها الحجاجي. فالحجاج ظاهرة تداولية وهو انتاج متواليات من الأقوال بعضها بمثابة الحجج وبعضها بمثابة النتائج، وبهذا الاعتبار فالحجاج تؤديه مكونات لغوية هي روابط أو عوامل أو صيغ، وفضلا عن محتواها الاخباري، تصلح لاعطاء توجيه حجاجي للقول، وتنهض نظرية الحجاج في اللغة على جملة من المفاهيم تفسر اشتغالها وهي (العلاقة الحجاجية والمواضع الحجاجية والاتجاه الحجاجي والقوة الحجاجية والسلم الحجاجي) [1].

5-علاقة التداولية بتخصصات أخرى:

«كانت اللغة تدرس في القرن التاسع عشر ضمن علوم الفلسفة والمنطق والاجتماع والنفس عدت من مقدمات البحث فيها حتى دعا "دو سوسير" إلى استقلالها عنها في صدر القرن العشرين ثم عادت الدراسات اللغوية إلى هذه العلوم ثانية، وظهرت فروع لسانية جديدة متأثرة بهذه العلوم، منها: علم اللغة الاجتماعي وعلم اللغة النفسي وغيرهما، وقد تأثرت البراغماتية اللسانية ببعض هذه الفروع المعرفية»[2].

1 -ينظر : عبد اللطيف عادل، "بلاغة الاقناع في المناظرة" ص ص 95- 98.

2- محمود عكاشة، النظرية البراغماتية اللسانية (التداولية)، ص 34.

أ- علاقتها باللسانيات واللسانيات البنيوية:

يشترك الدارسون في قولهم: أن التداولية تهتم بالكلام الذي هو غير اللسان، وحسب فردينان دو سوسير اللغة تختلف عن الكلام في أنها شيء يمكن دراسته بصورة مستقلة. فاللسانيات البنيوية تهتم أساسا بدراسة نظام اللغة دون الاعتداد بنوايا المتكلم وسياق التلفظ، مما جعل البعض تعد التداولية: "لسانيات الكلام" مقابل "لسانيات اللغة"، وهذا ما قد يحصر حدود التداولية ويقوض كثيرا من امتداداتها، فضلا على أن الكلام غير معزول عن اللغة إلا افتراضا فهو مظهر من مظاهر تحققها ودراسته هي دراسة الواقع الفعلي للغة، والتداخل واضح بينهما، وهناك من يرى أن التداولية تتموقع خارج النظرية اللسانية بناء على ما قدمه تشومسكي في مفهوم الكفاءة والأداء مثل "فرانسوا لاترافارس" والذي اعترف بصعوبة التمييز بينهما[1]. ونجد هذه الحيرة عند "جاك موشلر وآن ريبول" في قولهما: «حين نخبر زملاءنا اللسانيين بأننا "تداوليون" فعادة ما نثير لديهم صمتا دالا! فبأي شيء يمكن للتداولي إذن أن يعنى؟ أهو لساني أم فيلسوف أم عالم نفس»، وسبب هذه الأسئلة في نظرهما يرجع إلى ما ذكرناه من تركيز النظريات اللسانية على دراسة النظام (الصوتمية، والصرف، والتركيب، والدلالة) وعدم إعطاء الاهتمام والعناية

1- ينظر:خليفة بوجادي، في اللسانيات التداولية، ص 123 وما بعدها.

لاستعمال النظام اللغوي، أما السبب الثاني فهو عجز اللسانيين عن تحديد ميدان التداولية في مقابل فروع اللسانيات الأخرى[1].

"ويمكن تلخيص مهمة اللسانيات في دراسة طرق التنظيم بين مجموع الأصوات ومجموع المعاني، بين الشكل والمعنى بتعبير أوجز ، ولكن البعد التداولي في دراسة اللغة يتجاوز منوال (الشكل والمعنى) إلى مجالات أخرى لا يحكمها هذا المنوال نحو الملفوظية والحجاج ومظاهر الاستدلال في اللغة والتضمين والاقتضاء وغيرها، حيث تحكم هذه الموضوعات حالات خاصة ومقتضيات تجعلها متجاوزة لوصف علاقة شكلها بمعناها "[2]، ويرى د. مسعود صحراوي أن التداولية ليست مكونا من مكونات اللسانيات البنيوية لأن التداولية ليست هي المرحلة الأخيرة للتحليل اللساني، وليست نظرية للخطاب، كما أن اللسانيات نظرية للجملة، فتقابلها أو تكملها، كما أن التداولية ليست سلة لمهملات اللسانيات، بل هي أداة لتبسيط اللسانيات، فالظواهر التي تدرسها التداولية ليست مهملة ولا متروكة بالضرورة، فهي تقوم بإزالة الغموض عن عناصر التواصل اللغوي وشرح طرق الاستدلال ومعالجة الملفوظات[3]. لنأخذ المثال: "لقد زادوا في قيمة الضرائب" ملفوظ لا تقدم اللسانيات البنيوية فيه أي قاعدة تفسر الضمير الذي اسند إليه الفعل "زاد" وتعين المرجع الذي

1- ينظر: جاك موشلر وآن ريبول: القاموس الموسوعي للتداولية، تر: مجموعة من الباحثين بإشراف عز الدين المجدوب، منشورات دار سيناترا، المركز الوطني للترجمة، تونس، ط2، 2010، ص 23.

2- خليفة بوجادي، في اللسانيات التداولية، ص 126.

3-ينظر: مسعود صحراوي، التداولية عند العلماء العرب، ص ص 27- 28.

يحال عليه في الواقع الخارجي عن اللغة، أما في التداولية فتوجد عدة آليات في هذا الشأن وهذا ما يجعل لها بعض المميزات عن اللسانيات البنيوية كالاتصال المباشر ومباشرة العالم الخارجي، ومن القواعد التي تمدنا بها العالم الخارجي أن ليس لأحد الحق في زيادة الضرائب إلا السلطات القانونية المخولة بذلك[1].

ب- علاقتها بعلم الدلالة:

إن علاقة التداولية بعلم الدلالة -التي هي فرع من فروع علم اللسان الحديث- يشوبها كثير من الغموض، فهي تتداخل مع علم الدلالة في معرفة المعاني الحرفية والمعاني السياقية وهما وإن اشتركا في الموضوع (دراسة المعنى) فقد يختلفان في العناية ببعض مستوياته[2]، هذا «ويصنف علماء اللغة علم الدلالة ضمن القدرة (معرفة اللغة) ويصنفون التداولية ضمن الأداء أو الانجاز (استخدام اللغة)»[3].

وإذا كانت التداولية تربط المعنى بالاستخدام وتحدد ما يسمح بنجاح الملفوظ أو إخفاقه فهذه نقطة تنفصل فيها التداولية عن علم الدلالة، لأن استخدام المعنى مختلف عن المعنى، مثال: "في هذه الأرض حيات سامة"، فالمعنى الحقيقي هو ظاهر اللفظ أما استخدامه فمختلف قد يتجاوز مفهوم (الحيات السامة) الحقيقة إلى

1-ينظر: مسعود صحراوي، التداولية عند العلماء العرب، ص 29.

2- ينظر: خليفة بوجادي، في اللسانيات التداولية، ص 128.

3- جون لاينز، اللغة والمعنى والسياق، تر: د. عباس صادق الوهاب، مر: د. يوئيل عزيز، دار الشؤون الثقافية العامة، وزارة الثقافة والإعلام، بغداد، العراق، ط1، 1987، ص 32.

المجاز، وقد يتجاوز استخدام هذا المعنى من الإبلاغ (المعنى الحقيقي) إلى التحذير[1]. فالدلاليات –إذن– تدرس الكلام مستقلا عن السياق في حين تدرس التداوليات المنجز اللغوي في سياقه التواصلي وليس بمنعزل عنه، وفي هذا المعنى يرى "بالمر": أن بنا حاجة إلى التمييز بين المعنى الاعتيادي للكلمة أو الجملة، ومعناها في ظروف محددة خاصة. وقد يكون هذا تمييز بين علم الدلالة والتداولية، ويسمح لنا هذا التمييز بأن نقول شيئا ونعني آخر، ويمكن التصريح أخيرا أن المقام ومراعاته هو المعيار الأساسي للتفريق بين ما هو دلالي وما هو تداولي[2].

جـ– علاقتها بالنحو الوظيفي:

يهتم النحو الوظيفي بوظيفة اللغة الأساسية (التواصل) وموضوع اللسانيات في نظره هو وصف القدرة التواصلية لدى المتكلم والسامع مما جعل بعضهم يعده نظرية في التركيب والدلالة من وجهة نظر تداولية[3]، بل إن من الدارسين من جعل (الوظيفة) في عموم معناها تقابل التداولية ومنهم أحمد المتوكل الذي قسم النظريات اللسانية المعاصرة باعتبار تصورها لوظيفة اللغات الطبيعية إلى: نظرية لسانية (صورية) ونظريات لسانية وظيفية (تداولية)، والنظرية الوظيفية تعتمد مبدأ أن اللغات الطبيعية بنيات تحدد خصائصها ظروف استعمالها في إطار وظيفتها

1- ينظر: خليفة بوجادي، في اللسانيات التداولية، ص 129.

2- ينظر: خالد جليل (مقال)، التداولية في البحث اللغوي والنقدي، ص 122.

3- ينظر: خليفة بوجادي، في اللسانيات التداولية، ص 40.

الأساسية، وظيفة التواصل، ويعتبر النحو الوظيفي (Fonctional grammar) الذي اقترحه (سيمون ديك) في نظر أحمد المتوكل نظرية وظيفية تداولية، ويمتاز على غيره من النظريات التداولية بنوعية مصادره فهي محاولة لصهر بعض من مقترحات نظريات لغوية ونظريات فلسفية (أفعال الكلام) خاصة[1].

«ويذهب سيمون ديك إلى أبعد من ذلك حين يقترح أن يدرج النحو الوظيفي ضمن نظرية تداولية أوسع أو نظرية لغوية شاملة تجمع نظريات التواصل اللغوي المختلفة»[2].

د- علاقتها باللسانيات الاجتماعية:

نشأت اللسانيات الاجتماعية كرد فعل على اللسانيات التي تجاهلت المكون الاجتماعي للغة، فقد عنيت أولا بمشكل اللغة بوصفها وضعا يناسب طبقات اجتماعية واقترحت في ذلك أن تدرس استنادا إلى مباحث أفعال الكلام[3].

وقد ساهمت التداولية في علم اللسان الاجتماعي في تحليل المحادثة والحوار والخطاب والأدوار الاجتماعية ودورها في تحديد صيغ المخاطبة[4]. ومن خلال هذا يبدو أن للتداولية تداخلا كبيرا مع اللسانيات الاجتماعية.

1- ينظر: أحمد المتوكل، "الوظائف التداولية في اللغة العربية"، دار الثقافة، الدار البيضاء، المغرب، ط1، 1985، ص ص 8، 9

2- خليفة بوجادي، في اللسانيات التداولية، ص 127.

3- ينظر:الجيلاني دلاش، مدخل إلى اللسانيات التداولية، ص ص 45، 46.

4-ينظر: محمود عكاشة، النظرية البراغماتية اللسانية (التداولية)، ص 35.

هـ- علاقتها باللسانيات النفسية:

«استفادت التداولية من علم النفس وعلم اللسان النفسي، فقد استعانت بعلم النفس الإدراكي في معالجة إنتاج اللغة وأثرها وتطور مفاهيم القوة الإنجليزية والتضمينات والافتراضات المسبقة، واستفادت من علم نفس النمو في اكتساب الطفل اللغة، ودور السياق في اكتساب اللغة وفهمها»[1].

و- علاقتها باللسانيات التعليمية:

للسانيات التداولية الأثر الأكبر في صناعة التعليم (سواء اللغة الأم أو الأجنبية) Didactique التي أخذت تعنى بالمتعلم ومقام التبليغ، أي تزويد المتعلمين بالأدوات التي تمكنهم من التحرك بواسطة الكلام تحركا يلائم المقام والمقاصد المراد تحقيقها، فأن يعرب المرء من اعترافه بالجميل لطرف ما معناه إجراء فرز دال سلسلة من التأديات والانتباه إلى ردود فعل الطرف المقابل، إن مفهوم التبليغ هو الذي يجب أن يكون الأسبق والمحرك وليس اللغة فهي وسيلة واحدة ضمن وسائل أخرى وليست غاية، إن نتائج اللسانيات التداولية قد سمحت بمراجعة جذرية لمناهج التعليم والتدرج والاختبارات ومراقبة المعلومات ونمذجة التمارين، إن جميع المؤلفين يؤكدون ويلحون على ثلاثة أبعاد أساسية لتحديد التعليم، البعد المعرفي، والبعد العاطفي، والبعد التداولي. فالبعد المعرفي هو توفير معلومات عن المجال الذي تستخدم فيه اللغة، والبعد العاطفي هو الترغيب والتشجيع بقصد حمل

1- محمود عكاشة، النظرية البراغماتية اللسانية (التداولية)، ص 35.

المرء على التخاطب دون عوائق نفسية، والبعد التداولي تكوين الاستعدادات اللغوية وتطويرها قصد التبليغ الأمثل والحصول على فعالية اجتماعية أكبر[1].

ز- علاقتها بتحليل الخطاب واللسانيات النصية:

لتحليل الخطاب علاقة وطيدة بالتداولية وإذا كان له تحديدات متنوعة فإنه يوجد تحديد واسع جدا هو "تحليل استعمال اللغة" كما هناك تعريف آخر وهو "دراسة الاستعمال الفعلي للغة من قبل ناطقين حقيقيين في أوضاع حقيقية" وفي البلدان الأنجلوسكسونية يعدون الخطاب نشاطا تفاعليا أساسيا[2].

«ويسعى تحليل الخطاب إلى ربط الملفوظات بسبيقاتها ولا يوجد إجماع حول طبعة مقومات السياق، ومع ذلك توجد نواة من المقومات مجمع عليها: المشاركون في الخطاب، الإطار الزمكاني، الغاية، وهي تتمفصل بشكل مستقر عبر مؤسسات لغوية محددة بوصفها عقودا* للكلام أو أنواع خطاب»[3].

1- ينظر: الجيلاني دلاش، مدخل إلى اللسانيات التداولية، ص 46 وما بعدها.

2- ينظر: دومينيك مانغونو، المصطلحات المفاتيح لتحليل الخطاب، تر: محمد يحياتن، منشورات، ط1، 2008، ص 09.

* - يستخدم هذا المفهوم للتأكيد على أن المشاركين في التلفظ يجب أن يقبلوا بشكل ضمني عددا محددا من المبادئ التي تجعل التخاطب ممكنا وعددا من القواعد التي تسيره، فكل نوع من الخطابات يقابله عقد خاص به، فيوجد مثلا عقد بين الأستاذ وتلميذه داخل القسم وهو عقد تضمنه المؤسسة المدرسية وهكذا ... (ينظر: المرجع نفسه، ص 30).

3- نفسه،ص ص 27، 28.

واللغة في الخطاب لا تعد بنية اعتباطية بل نشاطا لأفراد مندمجين في سياقات معينة، وبما أنه يفترض تمفصل اللغة مع معايير غير لغوية، فإن الخطاب لا يمكن أن يكون موضوع تناول لساني صرف[1]، وهذا ما يثبت علاقته بالتداولية. كما: "ترد التداولية وتحليل الخطاب في غير موضع بوصفها مترادفين أو مصطلحين مختلفين لمفهوم واتجاه واحد، وترد التداولية أحيانا بوصفها نوعا من تحليل الخطاب[2].

ح- علاقتها باللسانيات النصية:

يؤكد جل علماء النص على ضرورة أن نأخذ بعين الاعتبار البعد التداولي للنص، وذلك انطلاقا من أن لكل نص رسالة معينة يريد الكاتب إيصالها للمتلقي، وأن ذلك يتم في ظروف معينة، كما يرون أيضا أن أحد معايير الحكم على النص بالقبول هي مدى ملاءمته للسياق الذي يرد فيه، ويرى "فان ديك" ضرورة أن يتسع مجال النحو ليشمل الأبعاد التداولية للنص.

هناك بعض الحدود اللغوية التي تتطلب معلومات سياقية أثناء التأويل مثل: هنا، الآن، أنا، أنت، هذا، ذلك، من أجل تأويل هذه العناصر حين ترد في خطاب ما من الضروري معرفة على الأقل من هو المتكلم ومن هو المستمع وزمان

1- ينظر: دومينيك مانغونو، المصطلحات المفاتيح لتحليل الخطاب، ص 38.

2- مزيد بهاء الدين، تبسيط التداولية، ص 86.

ومكان إنتاج الخطاب، وهكذا أصبح اللغويون ينظرون إلى المقامية كأحد أهم العناصر التي تقوم عليها النصية[1].

إن علماء النص مثل "فان ديك" و "روبرت دي بوغراند" يؤكدان على ضرورة "أن يدرس النص مقترنا بسياقه"، وهذا ما يلتقيان فيه مع رائدي تحليل الخطاب "هالداي" و"رقية حسن" واللذين يريا بأن النص لا يعرف بأنه توالي أو تسلسل عدد من الجمل (وهذا ليس حتميا) ولا أيضا بأنه وحدة لغوية تتجاوز مستوى الجملة، وإنما يعرف بأنه: وحدة لغوية في الاستعمال، وهو ما يقتضي في نظرهما أن نأخذ بعين الاعتبار ارتباط الخطاب بسياقه (مقام التلفظ، مرجعية الخطاب، ...)[2].

«والنص من وجهة نظر تداولية، فهو كل ثقافي يحيل على معطيات ذات أصول متنوعة ليست لسانية فحسب، لهذا السبب يعرف مثله مثل الخطاب، حسب الرؤية التداولية بأنه: استعمال ملفوظات في تركيباتها لانجاز أفعال اجتماعية، ويؤدي الخطاب ثلاث وظائف هي:

– وظيفة قضوية (ما تقوله الكلمات).

– وظيفة انجازية (ما ننجزه بالكلمات من اتهام، أوامر، أو طلب معلومة، ...الخ): وتنشأ علاقة بين المتفاعلين بواسطة هذا الفعل الانجازي.

1- ينظر: محمد الأخضر الصبيحي، مدخل إلى علم النص، ص 97 وما بعدها.

2- ينظر: المرجع نفسه، ص 75.

– وظيفة تأثيرية (الهدف المتوخى): أي التأثير في المخاطب أو البحث عن التأثير فيه»[1].

6–التداولية والخطابة:

إذا كان الكلام جوهر الإنسان تكون الخطابة بما هي صناعة كلامية، وسيلة من وسائل الدفاع عن إنسانية للإنسان باعتبارها صناعة كلامية نافعة تدافع عن الحق والعدل والفضيلة، وتسعى إلى الإقناع وتضمن حصانة المدينة ومؤسساتها[2].

إن الخطابة حسب أرسطو: "قدرة أو كفاءة أو ملكة" مهمتها البحث والكشف عن وسائل الإقناع الكامنة في كل موضوع والتنظير لها، ومن هذه الوسائل: الايتوس، والباتوس، واللوغوس، والضمير والمثال والمواضع الخاصة والمشتركة[3]. وقد كشف الدكتور محمد العمري الأصول التداولية للبلاغة العربية في القراءة التي أنجزها الفلاسفة المسلمون للتراث الأرسطي، خاصة كتاب "فن الخطابة" الذي فرض هيمنته على البلاغيين والمحدثين والذي ينبني على أسس تداولية أساسها: تقسيم أنواع الخطابة حسب مقامات المخاطبين ومراعاة أحوالهم النفسية وبيان الأقيسة الخطابية فضلا عن الأسلوب وترتيب أجزاء القول، وقد رسخ

1- ألفا أوصمان باري، مقال تحليل الخطاب: أسسه النظرية، تر: لحسن بوتكلاي، مجلة البلاغة وتحليل الخطاب، المغرب، العدد 5، 2014، ص 136.

2- ينظر: إدريس جبري، حكايات من أجل الإقناع في كتاب "بلاغة الحجاج، الأصول اليونانية" للحسين بنو هاشم، مجلة البلاغة وتحليل الخطاب، عدد 06، 2015، المغرب، ص 60.

3- ينظر: المرجع نفسه، ص 61.

الفلاسفة بهذا الكتاب الطابع التداولي المميز للخطابة وهو الوضوح والاعتدال[1].

"إن المظهر الجديد البارز لخطابة أرسطو، كما عبر عن ذلك هو نفسه هو بناء نظرية الخطابة التي تتشكل نواتها الصلبة من تحليل الحجاج الخطابي بمعناه المحصور: (إن جسد البرهان الخطابي هو القياس المضمر، والمضمر هو صورة من البرهنة), يمثل الحجاج إذن النواة المركزية في أي جنس من الخطابة"[2]." والغرض من الحجاج كما هو معروف هو الإقناع والتأثير و التداول والتواصل و التخاطب، ومن ثم فالحجاج فعالية تداولية جدلية ديناميكية فعالة تستلزم وجود أطراف تواصلية بينها قواسم حجاجية مشتركة"[3]

ومن بين البلاغيين العرب القدماء يظل الجاحظ أحد أبرز من عالجوا الخطابة العربية القديمة خاصة في كتابه "البيان والتبيين" حتى وإن وصفها بعض النقاد بأنها كانت في شكل ملاحظات جزئية متناثرة[4]، ومن أبرز الموضوعات التي رصدها الجاحظ وعالجها في مقاربته الأصلية للخطابة العربية نذكر منها ما يلامس البعد التداولي مثل: ما جاء في صحيفة بشر بن المعتمر في تعليم الخطابة التي أوردها الجاحظ وفيها: «وإنما مدار الشرف على الصواب وإحراز المنفعة مع موافقة الحال،

1- محمد العمري، البلاغة العربية أصولها وامتدادها،افريقيا الشرق،المغرب، دط، 1999، ص 272 وما بعدها.

2- محمد الولي،" بناء الخطبة وترتيب الحجج عند أرسطو", مجلة البلاغة وتحليل الخطاب، عدد 04، 2014، ص ص 60- 61.

3 -جميل حمداوي، نظريات الحجاج، الموقع الإلكتروني شبكة الألوكة, ص 26 www.alukah.net.

4- ينظر: عماد عبد اللطيف، بلاغة النص التراثي مقاربات بلاغية حجاجية، إشراف: د. محمد مشبال، دار العين للنشر، القاهرة، ط1، 2013، ص 20.

وما يجب لكل مقام من المقال ...»[1]. بحيث يرمي إلى أن المعنى لا يشرف بأن يكون من معاني الخاصة ولا يتضع أن يكون من معاني العامة، وإنما ما وافق الصواب وأحرز منفعة وفائدة مع مراعاة المخاطب لحال السامع ومراعاة ظروف وملابسات الخطاب فلكل مقام مقال، فنظرة الجاحظ إلى اللغة تتأسس على المنفعة وهذا بعد تداولي. ومما أورده الجاحظ مناقشة العلاقة بين مناسبة الخطبة وموضوعها من ناحية أخرى وطولها من ناحية أخرى[2]. ومراعاة المقام ودواعي الاستشهاد ومواضعه[3]، وتخير الألفاظ[4]. وفي كل ما ذكر هو إبراز لتداولية الخطابة.

كما تناول الجاحظ أبعادا مختلفة لقضية مراعاة حال المخاطب مشيرا إلى ضرورة مراعاة الخطيب لحال السامع كمكانته الاجتماعية والعلمية[5].

وقد ذكر بيرلمان في كتابه L'empire rhétorique الصفحة الرابعة عشر 14 أنه ونظرا للدور الذي تلعبه بلاغة الخطابة في التأثير في الرأي العام الوطني والدولي وتوجيهه بادرت الولايات المتحدة منذ عقود إلى إعادة الاعتبار لها بجعلها

1- الجاحظ، البيان والتبيان، تحقيق وشرح: عبد السلام هارون، دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع، ط2، ج1، ص 135.

2-ينظر: المصدر نفسه، ج1، ص 116.

3- ينظر:نفسه، ج1، ص 118.

4- ينظر: نفسه، ج1، ص 44.

5- ينظر: نفسه ، ج1، ص 100.

مادة مستقلة في شعبة خاصة بفن التواصل وخطاب الإقناع[1]. وبالنظر لكل ما سبق ذكره وإذا ربطنا هذه المقولة لبيرلمان وتاريخ الخطابة عند اليونان قديما والمكانة التي تبوأتها بفضل دورها الإقناعي الذي يتلاءم مع الحياة اليونانية القائمة على نظام ديمقراطي يلعب فيه الإقناع دورا مهما سواء في المجالس الاستشارية أو المحاكم أو المحافل فإننا نستنتج أن الخطابة تداولية بطبيعتها ولا يمكن للمجتمع أن يستغني عنها قديما أو حديثا لحاجة الخطاب إلى الإقناع والتأثير وهذا من صميم الخطابة.

1- ينظر:محمد العمري، "في بلاغة الخطاب الإقناعي، مدخل نظري وتطبيقي لدراسة الخطابة العربية، الخطابة في القرن الأول أنموذجا"، إفريقيا الشرق، المغرب، ط2، 2002، ص 14.

الفصل الثاني

الخطابة (المفاهيم، النشأة والتطور)

الفصل الثاني:الخطابة (المفاهيم ، النشأة والتطور)

أولا: النص والخطاب

1- مفهوم النص

2- مفهوم الخطاب

3-بين النص والخطاب

ثانيا: الخطابة (دراسة نظرية في المفاهيم والنشأة والتطور)

1-الخطابة لغة واصطلاحا

2-الخطابة (نظرة تاريخية)

3-أجزاء الخطبة: (ترتيب أجزاء القول) (TAXIS)

4-أجناس الخطابة (أنواعها)

5-عناصر بناء الخطابة (أصولها)

6-مقومات الخطابة

7-أهمية الخطابة وفائدتها وغايتها

8-علاقة الخطابة بغيرها من العلوم

9-الخطابة والحجاج

أولا: النص والخطاب

يحتل مفهوما النص والخطاب صدارة الدراسات اللغوية والنقدية الحديثة لما شهده المصطلحان من تداخل كبير الحد يصعب التمييز بينهما. فما مفهوم كل منهما؟ وفيما يلتقيان وأين يفترقان ؟

1-مفهوم النص:

أ-مفهوم النص في التراث العربي:

ورد في لسان العرب بمعنى الرفع والإظهار والاستقصاء والمنتهى: نص الحديث ينصه نصا: رفعه. وكل ما أظهر، فقد نص، ووضع على المنصة لأجل الظهور والشهرة، ونص الرجل نصا إذا سأله عن شيء حتى يستقصي ما عنده. ونص كل شيء منتهاه.[1] وهو عند الفقهاء: «نص القرآن ونص السنة أي ما دل ظاهر لفظهما عليه من الأحكام»[2]. ومن خلال ماسبق فالنص هو الرفع والإظهار أما صوتا مسموعا كحدث كلامي، أو إنتاجا مخطوطا مرئيا تظهره الكتابة.[3] وهو عند الشريف الجرجاني: «النص ما لا يحتمل إلا معنى واحدا، أو ما لا يحتمل

1 -ينظر : ابن منظور، "لسان العرب"، ج7، ص ص 97، 98

2 -الأزهر الزناد، "نسيج النص" بحث فيما يكون به الملفوظ نصا، المركز الثقافي العربي، بيروت، الدار البيضاء، ط1، 1993، ص 12

3 -ينظر: بشير أبرير، "مفهوم النص في التراث اللساني العربي", مجلة جامعة دمشق، المجلد 23، العدد الأول، 2007، ص 85

التأويل »[1]وبما أنه يرفض التأويلات واستخراج المعاني المتعددة لذلك عمل الأصوليون بالقاعدة الفقهية لا اجتهاد مع النص.

ب–مفهوم النص في الدراسات الحديثة :

لا تخرج معظم الدراسات الحديثة في تعريفها للنص عن ما ورد في المعاجم والكتب اللغوية الغربية لكلمة "نص" (Textus) اللاتينية التي تحمل معنى "النسيج"وهو نفس المعنى في معجم "لاروس العالمي"أي ترابط الكلمات مع بعضها كترابط الخيوط وتشابكها وتماسكها [2]، وهذا مايوضحه "فاولر" في تعريفه للنص بأنه:«بنية في أصلها متوالية من الجمل المترابطة فيما بينها تشكل استمرارا ونسيجا على صعيد تلك المتوالية»[3]، وعند هاليداي وحسن رقية تشكل كل متتالية من الجمل نصا شريطة أن يكون بين هذه الجمل أو بين بعض عناصرها علاقات تتم بين عنصر أو آخر وارد في جملة سابقة أو لاحقة (علاقة قبلية وعلاقة بعدية)[4]، وفي اللسانيات الحديثة ورد مفهوم النص في معجم اللسانيات: «نسمي نصا مجموع الملفوظات اللغوية التي يمكن إخضاعها للتحليل: فالنص إذا عيينة من السلوك

1 –محمد الأخضر الصبيحي، "مدخل إلى علم النص"، ص 17 .

2 –ينظر : المرجع نفسه، الصفحة نفسها.

3 –سعيد يقطين، "انفتاح النص الروائي"، المركز الثقافي العربي، الدار البيضاء، بيروت، ط1، 1991، ص 13.

4 –ينظر محمد خطابي، "لسانيات النص" مدخل إلى انسجام الخطاب، المركز الثقافي العربي، الدار البيضاء، بيروت، ط1، 1991، ص 13

اللغوي الذي يمكن أن يكون مكتوبا أو منطوقا»[1]. ومن التعريف المعجمي واللساني ننتقل إلى التعريف الأدبي الذي غلب عليه الطابع البنيوي في البداية إذ أجمعت كل تعاريف النص أنه بنية لغوية قائمة بذاتها، وأنها ذات مدار مغلق، فهو عند "رولان بارط" ليس وثيقة لمعرفة الأديب أو عصره، وإنما النص في حد ذاته هدف، فليس جوهره في الرسالة التي يحملها، وإنما في أدبيته ونظامه، وهو "عند تودروف" يمكن أن يكون النص جملة أو كتابا بأكمله، إن أهم ما يحدده هو استقلاليته وانغلاقه . وعلى عكس التعريفين السابقين فإن جوليا كريستيفا ترى أن الكاتب يقوم بإعادة توزيع نظام اللغة بإقامة علاقات بين الكلام التواصلي الذي يهدف إلى الإبلاغ المباشر، وبين الملفوظات القديمة والمعاصرة . وبهذا فهي تخرج النص من الإطار الشكلاني المغلق إلى فسحة المجتمع والتاريخ مؤكدة على رسالته وعلاقته بالنصوص الأخرى "ما يسمى بالتناص"[2].

وقد ظهرت آراء جديدة أخرى خرجت عن البنيوية الشكلانية ذات الاتجاه الداخلي الباطني للنص ترى أنه وحدة كبرى لا تتضمنها وحدة أكبر منها تتكون من أجزاء مختلفة تقع على مستوى أفقي من الناحية النحوية وعلى مستوى عمودي من الناحية الدلالية، وقد اعتمدت هذه الآراء الجديدة في نظرية النص على السياق الاتصالي وما يتضمنه علميا حسب رأي "سميث"، وترى أن النصوص ليست سوى مجموعة من الرموز اللغوية المعبرة وأن وظيفتها إنما هي الاتصال الاجتماعي، فلم يعد

1 –محمد الأخضر الصبيحي، "مدخل الى علم النص"، ص 17.

2 –ينظر : المرجع نفسه، ص 20 وما بعدها .

ينظر إلى النص بالمفهوم التقليدي من خلال مكوناته الداخلية بل ارتقى إلى مفهوم جديد انطلاقا من الوظيفة التي يؤديها[1].

2-مفهوم الخطاب :

أ-الخطاب في التراث العربي :

جاء في لسان العرب « والخطاب والمخاطبة : مراجعة الكلام، وقد خاطبه بالكلام مخاطبة وخطابا، وهما يتخاطبان»[2]، لا يخرج مفهوم الخطاب في الإجمال عند العرب القدامى عن المكالمة أو الحديث أو اللغة المستخدمة بين اثنين, أي لغة التفاعل[3] .

وقد برز هذا المعنى عند التهانوي "الكلام الموجه نحو الغير للإفهام"، فكل كلام يوجهه المتكلم للمخاطب قصد إفهامه أمرا ما يعد خطابا [4]، وذكر لفظ الخطاب في القرآن الكريم في مناسبات عديدة ومنها قوله تعالى ﴿ **وَإِذَا خَاطَبَهُمُ الْجَاهِلُونَ قَالُوا سَلَامًا**﴾ [5], وفي قوله جلا وعلا ﴿ **إِنَّ هَذَا أَخِي لَهُ تِسْعٌ وَتِسْعُونَ نَعْجَةً**

1 -ينظر : نعمان بوقرة "المصطلحات الأساسية في لسانيات النص وتحليل الخطاب"، ص ص 42، 43.

2 -ابن منظور، "لسان العرب" ج1، ص 361.

3 -ينظر : محمود عكاشة "لغة الخطاب السياسي"، ص 34.

4 -ينظر : نعمان بوقرة، "المصطلحات الأساسية في لسان النص وتحليل الخطاب"، ص 13.

5 -سورة الفرقان، الآية 13.

وَلِيَ نَعْجَةٌ وَاحِدَةٌ فَقَالَ أَكْفِلْنِيهَا وَعَزَّنِي فِي الْخِطَابِ﴾[1]، ويقول الحق تبارك وتعالى ﴿ **رَبّ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَا الرَّحْمَن لَا يَمْلِكُونَ مِنْهُ خِطَابًا﴾**[2]، وفي كل هذه الآيات وغيرها يصب الخطاب في نفس المعنى المذكور.

ب- الخطاب في الدراسات الحديثة:

وأما في الدراسات اللغوية الحديثة، فانه إن كان دو سوسير (De Saussure) قد أقصى مسألة الخطاب من مجال الدراسة اللسانية البنيوية البنيوية فانه صار محط اهتمام كثير من الدارسين الذين اجتهدوا في وضع مفهوم له فتعددت دلالاته وتنوعت فجعلوه مرادفا للنص تارة ومرادفا للملفوظ تارة أخرى[3]. ومن وجهة نظر اللسانيات فان الخطاب لا يمكن أن يكون سوى مرادف للملفوظ، ولا يمكن أن يكون موضوع تناول لساني صرف، وهذا ما جاء به زليج هاريس (Zellig Harris) أول من اهتم بدراسة الخطاب من الغربيين حيث عرفه بأنه : «ملفوظ طويل أو متتالية من الجمل تكون مجموعة منغلقة يمكن من خلالها معاينة بنية سلسلة من العناصر بواسطة المنهجية التوزيعية وبشكل يجعلنا نظل في مجال لساني محض»[4]، "ويعرف إميل بنفنست (E . Benveniste) الخطاب بأنه:«

1 -سورة ص، الآية 23.

2 -سورة النبأ، الآية 37.

3 -ينظر: ألفا أوصمان باري،"تحليل الخطاب : أسسه النظرية"،تر : لحسن بوتكلاي، مجلة البلاغة وتحليل الخطاب، العدد 5، 2014، ص ص 133- 134.

4 -محمود عكاشة،"لغة الخطاب السياسي"، ص ص 36- 37.

كل تلفظ يفترض متكلما ومستمعا، وعند الأول هدف التأثير على الثاني بطريقة ما، فالخطاب يستلزم وجود متكلم ومتلق بينهما تواصل»[1].

وبهذا التعريف فإن "بنفنيست" تجاوز حد الملفوظ (énoncé) إلى مفهوم جديد هو التلفظ (énonciation) ويعني الفعل الذاتي في استعمال اللغة، إنه فعل حيوي في إنتاج نص ما كمقابل للملفوظ الذي يعد الموضوع اللغوي المنجز والمنغلق والمستقل عن الذات التي أنجزته، وهكذا يتيح التلفظ دراسة الكلام ضمن مركز نظرية التواصل ووظائف اللغة[2] وربط الخطاب بشروط إنتاجه. ويتضمن هذا التعريف الإنجاز القولي والإنجاز الفعلي للخطاب وما يتعلق بهما، كما يدخل فيه المخاطب والمخاطب والقصد من التواصل والأدوات المستخدمة في التأثير، ويدخل تحت مصطلح الخطاب كل الأنواع الكلامية كالخطاب الشفوي اليومي والخطاب المكتوب والمذكرات[3]، ولم يخرج جيفري ليتش (G.Lich) عن هذا المفهوم في تعريفه للخطاب، فهو على رأيه تواصل لساني ينظر اليه بوصفه اجراء بين المتكلم والمخاطب، أي فاعلية تواصلية هدفها تحقيق غاية اجتماعية [4].

1 – محمود عكاشة،"لغة الخطاب السياسي"، ص 37.

2 –ينظر: المرجع نفسه، الصفحة نفسها.

3 –ينظر : نفسه، ص ص 37– 38.

4 –ينظر: نعمان بوقرة،"المصطلحات الأساسية في لسانية النص وتحليل الخطاب"، ص 15.

فالهدف الأساسي من استعمال الكلام هو إيصال رسالة ما إلى شخص معين أو مجموعة من الأشخاص، ولا تتوقف ماهية الخطاب عند المتكلم أو المخاطب، فلا بد لحدوثه من توفر الظروف الداخلية والخارجية المتعلقة بكل خطاب، فبالرغم من أن الخطاب يتوسل اللغة في غاياته، فان جوهره في حقيقة الأمر ليس لغويا انه مجموعة من النوايا التي تتحقق بوساطة اللغة [1].

3-بين النص والخطاب :

لطالما انشغل الدارسون بمحاولة التمييز بين مصطلحي "النص" و"الخطاب" ورفع اللبس والغموض بين مفهوميهما، «يكاد يجمع أغلب اللغويين أن النص يمثل المظهر الشكلي المجرد للخطاب، بينما يعني هذا الأخير الممارسة الفعلية الاجتماعية للنص »[2]ويقول الأزهر الزناد في هذا: «وبعضهم يقرق بين "نص" هو كائن فيزيائي منجز، و"خطاب" هو موطن التفاعل والوجه المتحرك منه، ويتمثل في التعبير والتأويل»[3]، بينما يولي بول ريكور (P. Recoeur) أهمية كبيرة للكتابة حيث يرى أن النص هو كل خطاب تم تثبيته بواسطة الكتابة [4]، وهو نفس رأي "ليتش وشورت" اذ يصنفان النص على المستوى الخطي (graphique) فهو ما نقرأ

1 -ينظر : نعمان بوقرة،"المصطلحات الأساسية في لسانية النص وتحليل الخطاب"، ص 15.

2 -محمد الأخضر الصبيحي، "مدخل الى علم النص"، ص 73.

3 -الأزهر الزناد، "نسيج النص"، ص 15.

4 -ينظر : محمود عكاشة، "لغة الخطاب السياسي"، ص 44.

وهو تلك البنية السطحية الخطية[1] . ومن الذين عرفوا الخطاب على أنه النص جوليا كريستيفا (Julia Kristeva) حيث تجمع بينهما قائلة : « فالنص الأدبي خطاب يخترق حاليا وجه العلم والايدولوجيا والسياسة لمواجهتها وفتحها وإعادة صهرها، ومن حيث هو خطاب متعدد ومتعدد اللسان أحيانا ومتعدد الأصوات غالبا ... »[2]، ثم تعود فتحاول الفصل بينهما من خلال قولها: «هناك حقيقة معينة تحكم وتؤسس كل ما هو ملفوظ، وهي أن اللغة دائما علم، والخطاب دائما معرفة بالنسبة لمن يتلفظ بالكلام أو ينصت له داخل السلسلة التواصلية»[3].

وقد يتضح الفرق أكثر بين المفهومين بإجراء مقارنة بين علم النص وتحليل الخطاب حيث يعرف الأول بأنه الدراسة اللغوية الهادفة إلى الكشف عن القواعد والمعايير التي تميز النص عن اللانص، ويعرف أنه العلم الذي يصف النظام الداخلي للنص، بينما يعرف الثاني بأنه دراسة النص في علاقته مع ظروف إنتاجه [4]، وعليه فتحليل الخطاب يتجاوز تحليل النص، كما أن النص قد نجده طويلا أو قصيرا بينما يوصف الخطاب بالطول . ومن المفارقات أن أكبر علماء النص وتحليل الخطاب لا يفرقون إلا في النادر بين المصطلحين حيث يلحون في أبحاثهم على ضرورة أن

1 –ينظر : سعيد يقطين، "انفتاح النص الروائي"، المركز الثقافي العربي، دط، 1988، ص 12.

2 –جوليا كريستيفا، "علم النص"، تر : فريد الزاهي، مراجعة : عبد الجليل ناظم، دار توبقال للنشر، المغرب، ط2، 1997، ص ص 13- 14.

3 –المرجع نفسه، ص 44.

4 –ينظر : محمد الأخضر الصبيحي،"مدخل الى علم النص"، ص 73.

تشمل الدراسة الجانبين معا (النص والسياق) وعلى رأس هؤلاء "فان ديك" و"روبرت دي بوغراند" (علم النص) و"هاليداي" و"حسن رقية" (تحليل الخطاب) اللذان يريان بأن النص ليس فقط تسلسل الجمل ولا وحدة لغوية تتعدى الجملة، وانما يعرف بأنه (وحدة لغوية في الاستعمال)، وهو ما يقتضي في نظرهما الأخذ بعين الاعتبار ارتباط الخطاب بسياقه [1] . إن الفرق الوحيد بين علم النص وتحليل الخطاب حسب "فان ديك" هو أن ما يطلق عليه العالم الأنجلو ساكسوني "تحليل الخطاب"يقابله في بعض الدول الأوربية وفي فرنسا خاصة مصطلح "علم النص"[2] .

1 -ينظر: محمد الأخضر الصبيحي،"مدخل الى علم النص"، ص ص 74- 75

2 -ينظر : المرجع نفسه، ص 76

ثانيا: الخطابة (دراسة نظرية في المفاهيم والنشأة والتطور)

يرجع الاهتمام المتزايد منذ القدم بصناعة الخطابة وممارستها لدى الأفراد، في إطار البحث عن الكيفية المناسبة لتوصيل الأفكار إلى الآخر والبحث عن مختلف الوسائل المساعدة في التبليغ التي تحقق المقاصد والأهداف الكلامية وسنسعى إلى فهم هذه المقاصد وقراءتها من خلال استثمار بعض الآليات التداولية وإذا كانت الخطابة من البحوث التي تتناولها ميادين معرفية أخرى كعلاقتها بالمنطق والفلسفة واللسانيات، فإنه ينبغي لنا توضيح بعض المفاهيم التي تعيننا في تناول مواضيع البحث بدء بمفهوم الخطابة ونشأتها وأجناسها وأقسامها وهيكلها وأهميتها.

1-الخطابة لغة واصطلاحا:

اشتق لفظ (الخطابة) من المادة اللغوية (خ ط ب) التي تدل على معان كثيرة في المعاجم العربية. فقد ورد في لسان العرب عند ابن منظور (ت 711هـ): «الخطب: الشأن أو الأمر» وقال أيضا: «وخطب المرأة يخطُلها خطبا وخِطبة بالكسر...»[1]. وقال: «والخطاب والمخاطبة: مراجعة الكلام، وقد خاطبه بالكلام مخاطبة وخطابا وهما يتخاطبان». وورد في اللسان: «والخطبة مصدر الخطيب، وخطب الخاطب على المنبر، واختطب يخطب خطابة، واسم الكلام الخطبة ...». وذهب أبو إسحاق إلى أن الخطبة عند العرب الكلام المنثور المسجع، ونحوه.

1- أبو الفضل جمال الدين محمد بن مكرم ابن منظور، لسان العرب، مج1، دار صادر، بيروت، د ط، د ت، ص 360.

التهذيب: «والخطبة مثل الرسالة التي لها أول وآخر».كما ورد أيضا عند ابن منظور: «ورجل خطيب: حسن الخطبة، وجمع الخطيب خُطَبَاء»[1]. ووردت في أساس البلاغة: «خطب: خاطب أحسن الخطاب، وهو المواجهة بالكلام، وخطب الخطيب خطبة حسنة، وخطب الخاطب خِطْبة جميلة ...»[2].

أما في الاصطلاح فقد حظيت الخطابة باهتمام الفلاسفة والمناطقة والأدباء منذ القديم، ولعل أقدم تعريف لها يعزى إلى الفلاسفة اليونانيين، فقد كانت أول أمرها تلتبس بالشعر، فسعى أرسطو (384، 385- 322 ق.م) إلى التمييز بينهما فوضع كتابا في الشعر وآخر في الخطابة "فن الخطابة" حيث يعرفها بقوله: «فالريطورية* قوة تتكلف الإقناع الممكن في كل واحد من الأمور المفردة»[3]. ويعني بالقوة "الصناعة"، وبهذا فهي صناعة تتفضل على سائر الصنائع؛ وذلك أن كل صناعة إنما هي معلمة أي مبرهنة ومقنعة في الجنس الذي تنظر فيه، لا في جميع الأجناس، مثال ذلك: أن الطب إنما يُعلّم عن طريق البرهان ويمنع في الصحة

1- أبو الفضل جمال الدين محمد بن مكرم ابن منظور، لسان العرب ، ص 361.

2- أبو القاسم جار الله محمود بن عمر بن أحمد الزمخشري، تحقيق: محمد باسل عيون السود، ج1، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، ط1، 1998، ص 255.

* -«فقولنا "قوة" نعني به ملكة نفسانية تصدر عنها أفعال إرادية وهي أوكد من القدرة ... وقولنا "تتكلف" يفهم منه معنيان: أحدهما أنها تتعاطى فعلاً لا عن إرادة مؤثرة بل عن إرادة مستكرهة؛ وليس هذا هو الغرض في هذا المعنى. ويقال "تتكلف" ويراد به أنها تتعاطى فعلاً بأبلغ قصد لاتمامه؛ وهذا هو الغرض. وقولنا " الاقناع الممكن " هو تفسير الفعل الذي تتكلفه، ومعناه ما يمكن من الإقناع. ولا يلتفت إلى تفسير آخر».ابن رشد, تلخيص الخطابة، ص 28.

3- أرسطو طاليس، "الخطابة"، الترجمة العربية القديمة، تحقيق وتعليق: عبد الرحمن بدوي، دار القلم، بيروت، لبنان، 1979، ص 09.

والمرض وفي أنواعها، وأما الخطابة فهي تتكلف الإقناع في جميع الأشياء في أي مقولة كانت وأي جنس كان، ولذلك ليست تنسب إلى جنس خاص[1].

ويرى محمد العمري أنه بهذا التعريف وما استنتجه من بحث في وسائل الإقناع والتأثير صار "أرسطو" أستاذا لمن بحث بعده في موضوع الخطابة من القدماء واكتست نظريته في التأثير حسب الاحتمال، وما يقبله الجمهور أو يرفضه أهمية كبيرة عند المحدثين، وهو بذلك يقيم الخطابة على الأسس التي حاربها أفلاطون، أي على أسس الاحتمال والإمكان حسب الأحوال[2].

ويرى أحمد محمد الحوفي أن الخطابة أشمل من أن تنحصر في الإقناع، وإنما لابد من جمهور يستمع، وإلا كان الكلام حديثا أو وصية، كما لابد من مشافهة وإلا كان الكلام فنا من فنون الكتابة، إضافة إلى توفر عوامل الاستمالة، وإلا كان الكلام الملقى مجرد محاضرة، ولابد من إقناع وذلك بتوضيح الخطيب رأيه للسامعين وتأييده بالبراهين وعليه يمكن القول أن الخطابة فن مشافهة الجمهور وإقناعه واستمالته[3].

1- ينظر: أبو الوليد بن رشد (520-595هـ)، تلخيص الخطابة، تحقيق وشرح: د. محمد سليم سالم، الكتاب الرابع عشر، يشرف على إصدارها محمد توفيق عويضة، القاهرة، 1967، ص 29.

2-ينظر:محمد العمري، في بلاغة الخطاب الاقناعي، ص 19.

3- ينظر: أحمد محمد الحوفي، فن الخطابة، دار نهضة مصر للطباعة والنشر والتوزيع، القاهرة، 1996، ص ص 5-6.

2-الخطابة (نظرة تاريخية):

يكاد يكون تاريخ الخطابة مقارنا لتاريخ الإنسان نشأ بنشأته، وارتقى برقيه، فاختلاف الناس في آرائهم ومعتقداتهم يدفعهم إلى الجدال ومحاولة بعضهم إقناع البعض الآخر واستمالتهم، فإذا حدث هذا فهذه خطبة، والتسلح لا يشمل الوسائل المادية بل يتعداه إلى الوسائل السليمة كالإقناع والاستمالة.

وقد رويت لنا الخطب منذ بدء التاريخ، ففي آثار المصريين خطب مدونة بالهيروغليفية للملوك ورجال الدين، وللأشوريين خطب كتبت باللغة المسمارية، والكتب السماوية تروي لنا خطبا للأنبياء في دعوتهم.

والمتتبع لتاريخ الخطابة يرى أن من أهم عوامل رقيها وازدهارها أن يكون للأمة حظ من الحرية في الفكر والقول، واليونان خير شاهد على ذلك[1].

أ-الخطابة في الثقافة الغربية (عند اليونان والرومان):

أول من كتب في علم الخطابة اليونان، بل هم مستنبطو قواعده ومشيدو أركانه ومقيموا بنيانه فقد قويت فيهم رغبة القول في عصر (بيركليس Pericles)[*] (ق 5ق.م) إذ صار يأسرهم القول البليغ دون سواه، وقد وصل التسابق البياني أوّج

1- ينظر: طه حسين وأحمد أمين وعبد الوهاب عزام ومحمد عوض، التوجيه الأدبي، وزارة المعارف العمومية، المطبعة الأميرية بالقاهرة، 1948، ص ص27- 28.

*- بركليس (490 ق.م-429 ق.م) سياسي وحاكم وخطيب يوناني أثيني عمل على إعلاء شأن أثينا وجعلها عاصمة لليونان.

نشاطه فاتجه الناس إلى تعلم الخطابة والدربة عليها والتمرين على الإلقاء، لذلك أخذ العلماء يستنبطون قواعد الخطابة وقوانينها بملاحظة الخطباء وطرق تأثيرهم وأسباب فشل بعضهم[1].

وجاء بعد أرسطو بمدة طويلة عصر اشتهرت فيه الخطابة عند الرومان وقد بدأت عندهم ضعيفة محدودة لضعف الحرية، فلما أخذت الآداب اليونانية تنتشر عندهم، وأخذ الصراع يشتد بين الشعب والطبقة الارستقراطية لنيل الحرية، بدأت الخطابة الرومانية في النهوض، وقد نبغ خطباء منهم "كاتون" المعروف بالنقاد (232-174 ق.م) ثم "يوليوس قيصر" (100-44 ق.م) القائد الروماني الشهير، ثم إمام الخطابة اللاتينية "شيشرون" (106-43 ق.م)[2].

وفي القرن الثاني الميلادي تحولت أهمية الخطابة إلى الناحية الدينية، وذلك للصراع الشديد بين الوثنية والعقيدة المسيحية، فظهر خطباء يدافعون عن الدين الجديد ويدعون إليه، حتى إذا انتشرت النصرانية على الوثنية وال الصراع بينهما، وعادت الديكتاتورية إلى سطوتها، عادت الخطابة في العهد الروماني إلى الخمود كما بدأت وانحصرت موضوعاتها[3].

1- ينظر: محمد أبو زهرة، الخطابة أصولها وتاريخها في أزهر عصورها عند العرب، دار الفكر العربي، القاهرة، د ط، د ت، ص ص 9- 10.

2- ينظر: لويس شيخو، كتاب علم الأدب، ج2، في الخطابة، ص 229.

3- ينظر: طه حسين وأحمد أمين وغيرهم، التوجيه الأدبي، ص ص 50-51.

وقد خلف الخطباء الرومان بعض الآثار في علم الخطابة يرجع بعضها ل "شيشرون "كما ألف "كونتليان" (42-95م) كتابا سماه "تهذيب الخطيب"، وألف "لنجينوس الحمصي" (240-273م) كتابا سماه "المفلق"[1].

ب-الخطابة عند العرب:

كان للعرب في الخطابة نصيب وافر أتاحه جوهم وأحوال معاشهم وأخلاقهم وآدابهم، فكانت فيهم فطرية ولهم ضرورية وكان لهم بها غاية الاعتناء حتى قال صاحب الريحان والريعان: «أن ما تكلمت به العرب من أهل المدر والوبر من جيد المنثور ومزدوج الكلام أكثر مما تكلمت به من الموزون إلا أنه لم يحفظ من المنثور عشره ولا ضاع من الموزون عشره، لأن الخطيب إنما كان يخطب في المقام الذي يقوم فيه... فإذا انقضى المقام حفظه من حفظه ونسيه من نسيه بخلاف الشعر فإنه لا يضيع منه بيت واحد »[2].

وأكثر استعمال الخطابة عندهم في مواضع التحريض على القتال والتحكم في الخصومات، وتحمل الديات، وإصلاح ذات البين والمنافرات، والوصايا، والوفادة على الملوك والأمراء، وهي عندهم ضربان: طوال وافية وقصار كافية، فلكل مقام مقال، قيل لعمرو بن العلاء، هل كانت العرب تطيل؟ فقال نعم؛ ليسمع منهم فقيل له وهل كانت توجز؟ قال: نعم ليحفظ عنهم. أما صفة الخطيب عند التأدية

1- ينظر: محمد أبو زهرة، الخطابة أصولها وتاريخها، ص 11.

2- نقولا فياض، الخطابة، دار الهلال، مصر، ط2،ص ص 121- 122.

فكان من عادتهم في غير خطب التزويج أن يخطب قائما على منبر أو ربوة أو ظهر راحلة لإبعاد صوته والتأثير بشخصه وإظهار ملامح وجهه وحركات جوارحه، ومن عادة الخطيب أن يقوم متعصبا عمامة معتمدا عللا عصا أو قناة أو قوس، وكانوا يستحسنون من الخطيب رباطة الجأش وأن يكون جهير الصوت متخير اللفظ قوي الحجة نظيف الثياب كريم الأصل، صادق اللهجة أسرع الناس عملا بما يقول. ومن أشهر خطبائهم: كعب بن لؤي، وذو الأصبع العدواني، وقيس بن خارجة بن سنان، وخويلد بن عمرو القطفاني، وعمرو بن بن كلثوم الثغلبي، وسحبان وائل، وقس بن ساعدة الأيادي، وأكتم بن صيفي[1]، وهاشم بن عبد مناف وأبو طالب عم النبي صلى الله عليه وسلم وغيرهم.

ويرجع سبب انتشار الخطابة في ذلك العصر إلى:

1- الحرية التي كان يتمتع بها العربي.

2- المقدرة القوية في استعمال مفردات اللغة وأساليبها.

3- مقدرتهم على الارتجال في المواقف الصعبة التي كانوا يتعرضون لها فتأتي على ألسنتهم العبارات البليغة، والحكم الصائبة[2]، قال الجاحظ في البيان والتبيين:

1- ينظر: الشيخ علي محفوظ، فن الخطابة، وإعداد الخطيب، دار الاعتصام، ص ص 22- 23.

[2] -ينظر: محمود محمد رسلان، الخطابة، نشأتها وميادينها، دار التقوى للنشر والتوزيع، ط2، 2006، ص 213،

«فما هو إلا أن يصرف همه إلى جملة المذهب، وإلى العمود الذي يقصد فتأتيه إرسالا، وتنثال عليه الألفاظ انثيالا»[1].

وعن مكانة العرب الخطابية بين الأمم فإن كثير من الأدباء والعلماء يرون أن العرب يأتون في المرتبة الأولى من البيان والمنزلة السامية في الخطابة كما ذكر الجاحظ حيث أثبت للعرب أن الحكمة كانت تجري على ألسنتهم، بينما الفرس والعجم لم تكن تنقاد لهم إلا عن طول فكرة واجتهاد رأي، إذ يقول: «وجملة القول، إنا لا نعرف الخطب إلا للعرب والفرس...»[2].

بينما يرى آخرون ومنهم محمد أبو زهرة أن العرب وإن كانوا في المرتبة الأولى في البنيان فليس بالضرورة أن تكون الأمم اليونانية والفارسية والهندية دونهم بلاغة وفصاحة، ويرى أنه يجب أن نتصف بالحقيقة فنقول أن خطباء اليونان والرومان لم تكن أكثر خطبهم ارتجالية بل كانت تعد إعدادا، وفي الحق أن الخطيب العربي بعد في الطبقة الأولى بين خطباء الأمم، وأن الخطابة العربية في العصر الجاهلي كانت حية ناهضة لتوافر الدواعي إليها ووجود أصحاب البيان[3]. وبقيت كذلك حتى ظهور الإسلام.

1 – الجاحظ، البيان والتبيين، ج3، ص 28. وتنثال أي تسيل وتتوالى.

2– المصدر نفسه،ج3، ص ص 27– 28.

3– ينظر: محمد أبو زهرة، الخطابة أصولها وتاريخها، ص ص 184– 185.

فقد كان العرب أميين مع وجود نذر يسير من التدوين والكتابة، فكانت الخطابة وسيلة لدعوة العرب إلى الدين الجديد، وإيمانهم به، وإيصال شرائعه إليهم، وارتقى الإسلام بمكانة العقل وأعلى من شأنه، لأنه يقبل الحجة والمنطق القائم على التفكير والقبول العقلي شرط في صحة العقيدة، ومع توسع قاعدة الإيمان غدت الخطابة وسيلة التشريع ورسم الحدود التي تقوم عليها دولة الإسلام، كما وجد الخلفاء والولاة فيها الوسيلة للاتصال مع الرعية وشرح سياسات الدولة كما أنها تعد رابط بين قادة الجند والجنود.

ولما أطلت الفتنة برأسها بعد استشهاد عثمان بن عفان رضي الله عنه وانقسام المسلمين إلى فرق كانت الخطابة وسيلة إيضاح موقف كل فئة، وقد ازدهرت بتأثير العامل الديني مثل خطبة الجمعة والعيدين[1]. واتخذت في صدر الإسلام صبغة غير التي كانت عليها في الجاهلية فأصبحت لغتها أرقى وأصفى، وعلا شأنها لانصراف العرب عن الشعر إليها، «ولم يخرج الخطباء عن مألوفهم من اعتجار العمامة والاشتمال بالرداء واختصار المخصرة، والخطبة من قيام»[2].

ومن أشهر خطباء هذا العصر النبي محمد صلى الله عليه وسلم، وأبو بكر الصديق، وعمر بن الخطاب، وعثمان بن عفان، وعلي بن أبي طالب رضوان الله عليهم.

1- ينظر: فاطمة تجور؛ وعبد الرحمن عبد الرحيم، الأدب في صدر الإسلام، منشورات جامعة دمشق، كلية الآداب والعلوم الإنسانية، 2011/2010، ص ص 255- 256.

2- أحمد الهاشمي، جواهر الأدب في أدبيات وإنشاء لغة العرب، ج2، مؤسسة المعارف، بيروت، ص 109.

وإذا تأملنا النصوص الخطابية في عصر صدر الإسلام نرى أنها امتازت بنبل مقاصدها وسمو أغراضها، فهي قائمة على الدعوة إلى الإسلام وإتباع مبادئه، ومن مميزاتها:

- أنها لم تعد أقوال وحكم متناثرة بل أصبحت ذات موضوع واحد.
- تأثرها ببلاغة القرآن الكريم وخطب رسول الله صل الله عليه وسلم من خلال ترصيعها بالآيات القرآنية وأقوال المصطفى صلوات الله عليه وسلم وافتتاحها بحمد الله والثناء على رسوله الكريم.
- ازدهرت الخطابة الدينية التي ابتعدت عن السجع والمنافرات والمفاخرات.
- بروز الخطابة العسكرية مع كثرة الفتوحات الإسلامية.
- ظهور الخطابة السياسية خصوصا بعد استشهاد عثمان بن عفان رضي الله عنه[1].

ويمكن القول: «أن الخطابة إذا كانت قد لاقت ازدهارا في العصر الجاهلي لزلاقة اللسان وقوة البيان وحسن المنطق، وخلابة الألفاظ وصفاء القريحة في فطرة العرب، فقد صقل الإسلام هذه الفطرة وجلاها وأزال ما ران عليها من غشاوة

1- ينظر: رامي منير، الخطابة عند العرب، دار الفكر العربي، بيروت، لبنان، ط1، 2005، ص ص 29- 30.

الشرك والوثنية والميل إلى الفجور والشرور، وقوى ما في نفوسهم من خير ومعروف وحميد الخصال»[1].

وهكذا واصلت الخطابة سيرها في طريق الازدهار في العهد الأموي إذ كانت لا تزال للعرب فطرتهم وسليقتهم اللغوية، وكانوا من بلاغة المنطق وحسن البيان وجودة الإفصاح والإفهام، بحيث يستطيع متكلمهم أن يبلغ ما يريد من استمالة الأسماع مع الديباجة الرائعة والرونق البديع.

وعطفا على ما ذكرناه من مواهبهم البيانية هناك عوامل أخرى ساعدت على ازدهار الخطابة يمكن أن نردها إلى السياسة والمحافل والدين، فأما من حيث السياسة فقد عرف هذا العصر باضطراب سياسي تميز بصراع عنيف بين الأمويين واللغويين، كما قام الزبيريون يطالبون بالخلافة من جهة والخوارج من جهة أخرى ونهضت القبائل في عصبية متجددة تتناحر وتتفاخر، وفي هذا الصراع كانت الخطابة وسيلة وعدة.

وفي المحافل نجد الوفود المختلفة تقصد قصور الخلفاء والولاة متحدثة في شؤون قومها وانبثقت في هذه الأثناء خطب التهنئة والتعزية، وبجانب السياسة والمحافل نجد

1- محمد عبد السميع جاد وآخرون، محاضرات في علم الخطابة النظرية والعلمية، مطبعة الفجر الجديد، د ط، د ت، ص 22.

العامل الديني بارزا في خطب الجمعة والعيدين وخطب المواعظ المستلهمة لهدي القرآن والسنة[1].

وإلى ذلك فقد واصلت الخطابة تطورها وازدهارها من خلال خطابة الفتوح التي كانت ترافق الجيوش وتبعث الحماسة في صدور المقاتلين، وفي هذا العهد ظهرت خطابة المناظرة ولاسيما عند اشتداد الخلاف بين علي ومعاوية، وبين أهل العراق والشام، ومن أشهرها خطبة الإمام علي في الخوارج وقد خاصموا عبد الله بن عباس رسوله إليهم، وفيها من روعة القول وقوة الحجة ما يعجب[2]، ولعبد الله بن الزبير مناظرة مع الخوارج تدل على قوة منطقه وحدّة ذكائه[3].

ومن أبرز خطباء هذا العصر: الخلفاء الأمويون خاصة معاوية وعمر بن عبد العزيز وولاتهم مثل عتبة بن أبي سفيان والحجاج بن يوسف ومن خصومهم الخطباء نجد: عبد الله بن الزبير وأخوه مصعب، وقطري بن الفجاءة ونافع بن الأزرق[4].

وشهدت الخطابة أواخر الدولة الأموية بعض الفتور لاستقرار الحكم وتراجع نشاط الفرق والأحزاب المعارضة لحكم بني أمية، فلما جاءت الدولة العباسية ولما

1- ينظر: شوقي ضيف، تاريخ الأدب العربي، دار المعارف، ط20، 2002، ص ص 405- 407- 408.

2- ينظر: حنا الفاخوري، الجامع في تاريخ الأدب العربي، الأدب القديم، دار الجيل، بيروت، لبنان، ط1، 1986، ص 359.

3- ينظر: شوقي ضيف، تاريخ الأدب العربي، ص 417.

4- ينظر: رامي منير، الخطابة عند العرب، ص 54.

جاءت الدولة العباسية انبعثت في جسم الخطابة الواهن حركة حياة بسبب احتدام الصراع بين العباسيين وخصومهم العلويين والخوارج، ولم يكن اختلاط العرب بالعجم بعد شديد الأثر على الألسنة فتعددت موضوعاتها واحتفظت بمقومات بقائها ونموها ونشاطها، فهذا العصر هو امتداد للعصر الذي سبقه من حيث بناء الخطبة وشدة إحكامها، فضلا عن كثرة النصوص وكثرة الخطباء المصاقع المفهومين، كما عرف هذا العصر تدوين العلوم، ومنها الخطابة وكان للجاحظ نشاط بارز في البيان والتبيين، ولما فترت دواعي ازدهار الخطابة المذكورة سابقا باستقرار الدول وكثر اختلاط العرب بالعجم وتولي كثير من الموالي قيادة الجيوش وعمالة الولايات والمواسم ضعف شأن الخطابة ولم يبق لها إلا بعض الأصداء في المساجد والجوامع[1].

ومن أشهر خطباء هذا العصر وأقوالهم بيانا وأشدهم تأثيرا وأقدرهم على الإدلاء بالحجة أبو العباس السفاح وأبو جعفر المنصور وهارون الرشيد وابنه المأمون ومحمد النفس الزكية وغيرهم[2].

وقد ظلت الخطابة في أول عصر النهضة على ما كانت عليه في آخر العصر العباسي ضيقة يكاد يقتصر استعمالها في الأغراض الدينية، ثم تنوعت أغراضها لما اتسعت دائرة الأفكار في عهد إسماعيل باشا وبعد قدوم جمال الدين الأفغاني إلى مصر ألتف حوله كثير من رجال الأزهر وأدباء مصر وسوريا وأتخذ لهم أندية كانوا

1- ينظر: حنا الفاخوري، الجامع في تاريخ الأدب العربي، ص 528.

2- ينظر: رامي منير، الخطابة عند العرب، ص ص 89-90.

يتناوبون فيها الخطابة في الأمور الدينية والأخلاقية، ثم انتقلت إلى الشؤون السياسية وفشت بين شبان مصر مع قيام الثورة العُرابية.

ومن خطباء المرحلة: السيد عبد الله النديم والإمام الشيخ محمد عبده وأديب إسحاق، ثم مرن عليها كثير من الوعاظ والأدباء، وأقاموا المجامع الأسبوعية للخطابة في الأخلاق والدين والاجتماع والسياسة[1]، ولم ترجع إلى سابق عزّها ومجدها إلا في عهد مصطفى كامل (ت 1908م) فقد كانت له أمضى سلاح في جهاده وأقوى معين في إيقاظ بلاده من أجل الاستقلال، ثم سعى المحامين إلى التدرب عليها حتى نبع منهم طائفة صالحة، ويعتبر سعد زغلول من أشهر خطباء هذه المرحلة[2] المفوهين.

وبالتأمل في أطوار الخطابة نرى أنها قد ارتقت بفضل ما توافر لها من عوامل ازدهار اختلفت عبر العصور الأدبية،" فحيثما نال الناس حرية القول والفكر وتنازعت الأحزاب على الحكم وعلى النظام الذي يتبع، وشعر الناس بسوء وضعهم وتطلعوا إلى حال خير من حالهم، رقيت الخطابة، وإذا انعدم ذلك كله ضعفت، وترى مصداق ذلك في العصر الأموي والعصر العباسي"[3].

3-أجزاء الخطبة: (ترتيب أجزاء القول) (TAXIS)

1- ينظر: الشيخ علي محفوظ، فن الخطابة وإعداد الخطيب، ص 32.

2- ينظر: أحمد حسن الزيات، تاريخ الأدب العربي، دار نهضة مصر للطبع والنشر، القاهرة، د ط، د ت، ص 480.

3- طه حسين وأحمد أمين وآخرون، التوجيه الأدبي، ص 51.

للخطابة وعبر امتداد التاريخ خطة موحدة عند جميع الأمم قد تزيد أو تنقص بحسب الحاجة، وترجع أصولها التنظيرية إلى "أرسطو طاليس" الذي انقاد إلى التقسيم الرباعي لأجزاء الخطبة وهو: المقدمة والعرض والتدليل والنتيجة وتفصيل القول في هذه الأجزاء يكون كالآتي:

أ- المقدمة (الابتداء، الاستهلال):

الهدف من المقدمة إعداد السامعين إلى الإصغاء وتهيئتهم للاقتناع بما يريد الخطيب وعليها يتوقف قدر كبير من نجاحه لأنها أول ما يطرق السمع من الكلام فإن كان ذلك الابتداء لائقا بالمعنى الوارد بعده كانت الرغبة أشد على مواصلة الاستماع. وقد لا تكون ضرورية فقد يسبق الخطيب خطباء آخرون في نفس الموضوع فلا تكون هناك حاجة لمقدمة جديدة، وقد تكون ضرورية كأن يكون الخطيب مجهولا أو مغمورا وموضوعه لا يثير اهتمام السامعين فيعتمد على المقدمة لعقد الصلة بينه وبينهم ويوضح أهمية موضوعه.[1]

ومن شروط جودتها:

– أن تكون مرتبطة بالموضوع معينة على فهمه «وليكن في صدر كلامك دليل على حاجتك،كما أن خير أبيات الشعر الذي إذا سمعت صدره عرفت قافيته. كأنه يقول: فرق بين صدر خطبة النكاح وبين صدر خطبة العيد،

1- ينظر:طه حسين وأحمد أمين وآخرون، التوجيه الأدبي، ص ص 37- 38 .

وخطبة الصلح... فإنه لا خير في كلام لا يدل على معناك ولا يشير إلى مغزاك ...»[1].

– أن تكون واضحة مناسبة لعقول السامعين موزونة المعاني دقيقة التعبير.

– أن تكون مناسبة مع الخطبة في طولها أو قصرها وفي نوعها وأن يلحظ الخطيب أن المقدمة ليست إلا مفتاحا للموضوع فلا يجهد نفسه فيها حتى إذا أتى للموضوع كَلّ وضَعُفَ واستنفد طاقته وإدراك السامعين الملل[2].

ب– العرض: هو الجزء الذي يلي المقدمة، وهو أهم شيء في الخطبة والجزء الأساسي منها ولا يمكن الاستغناء.

ومن شروط جودته:

وحدة الموضوع والترتيب المنطقي فكل جزء من الموضوع يسلمك إلى ما بعده وهو على علاقة بما قبله ثم الوضوح والابتعاد عن الغموض والتعقيد.

جـ– التدليل: يحتاج الخطيب في عرض الموضوع إلى التدليل عليه في أغلب الأحيان وذلك بتأييد الخطيب دعواه بالأدلة التي يراها وهي نوعان: أدلة منطقية، وأدلة خطابية.

1- الجاحظ، البيان والتبيين، ج1، ص 116.

2- ينظر: طه حسين وأحمد أمين وآخرون، التوجيه الأدبي، ص 39.

– أدلة منطقية: وهي المبنية على مقدمات يقينية ثابتة كالقياس مثلا وينشأ عنها اقتناع ويقين عقلي كأن نقول: كل مجتمع لابد له من عقيدة والجزائريون مجتمع فلابد لهم من عقيدة.

– أدلة خطابية: وهي المبنية على مقدمات ظنية، أو المستندة إلى العُرف الشائع أو أقوال الحكماء والأدباء وتدخل في الأدلة الخطابية بِنيات جاهزة تُحيل إليها النصوص المقدسة والأقوال المأثورة والحقائق التاريخية وينشأ عن هذه الأدلة اقتناع شعوري.

وفي كثير من الأحيان يحتاج الخطيب إلى تفنيد رأي مخالفية (تكذيبهم) بنقص حججهم وبراهينهم ويعمد إلى رأيهم فيزيل أثره من نفوس السامعين وذلك من خلال وسائل التفنيد (المغالطة والإنكار)[1].

كما يمكن الاستغناء عن التفنيد، إذا كانت الخطبة نفسها تتولى ذلك، أو إذا كان الموضوع لا يقوم على أساس المخاصمة.

د– الخاتمة: لها قيمة كبيرة من حيث أن لها الأثر الأخير في نفوس السامعين وبعدها يجني الخطيب الثمرة المرتجاة من خطبته ويتجلى نجاحه في قدرته على الاستمالة والإقناع، وله أن يسلك في الخطبة مسلكين: أحدهما أن يلخص الخطيب فيها آرائه السابقة، والثاني أن يحاول اجتذاب عواطف السامعين أو يجمع بينهما.

1– ينظر: عبد الكريم الجنابي، تاريخ الخطابة العربية إلى القرن الثاني الهجري، مكتبة الثقافة الدينية، القاهرة، ط1، 2005، ص ص 40-41.

ومن شروط جودة الخاتمة:

- أن تكون إجمال لما قيل في العرض والتدليل يزيد الخطبة قوة وإثارة للعواطف.
- أن تكون قوية؛ لأنها الجزء المباشر للنتيجة وحتى لا تضيع الخطبة بسبب فتور الخاتمة وضعفها.
- أن تكون قصيرة ما أمكن، فخير للخطيب أن يختم خطبته والسامعون أميل إلى الاستزادة من أن يختمها وهم أقرب إلى الملل والسآمة[1].

وتجدر الإشارة إلى أنه على الرغم من أن هذه الخطوات الأربعة (المقدمة، العرض، الدليل، الخاتمة) قد لقيت الذيوع على امتداد تاريخ الخطابة، وظهرت باعتبارها خطوات ثابتة، إلا أن تفريعاتها وتشقيقاتها قد ظهرت عند هذا البلاغي أو ذاك فرفعت عددها إلى خمسة وستة وسبعة، فهناك من يعتبر الاستطراد والتفنيد والتقسيم أجزاء من الخطابة، لكن التقسيم الرباعي الذي تبناه أرسطو كان الشائع كما ذكرنا[2].

4-أجناس الخطابة (أنواعها):

«قد حصر أرسطو فنون الخطابة في ثلاثة أقسام: وهي الخطب التثبيتية والخطب القضائية والخطب المشورية؛ وكان تقسيمه تابعا لأوقات المعاني الخطابية.

1- ينظر: طه حسين وأحمد أمين وآخرون، التوجيه الأدبي، ص 41.

2- ينظر: محمد الوالي، بناء الخطبة وترتيب الحجج عند أرسطو، مجلة البلاغة وتحليل الخطاب، ص 51.

فالخطب التثبيتية وهي التي تتعلق بالمدح أو التأبين أو التعزية، وغيرها من الأمور التي تتعلق بحادث ثابت أو حال قائمة. زمنها الحاضر.

والخطب القضائية لأنها تتعلق بأمور حدثت فيما مضى ويتناقش الخصمان في بيان تبعاتها. زمنها الماضي.

وخطب الشورى وهي تتعلق بأخذ الأهبة للمستقبل وإعداد العدة لما يكون فيه كان أكثر معانيها يتعلق بالمستقبل زمن وقوعها.

والحق أن فنون الخطابة تتبع حاجات الأمة وأحوالها وشؤونها والضرورة الدافعة إلى القول الخطابي»[1]. فرغم أنه قد مشى على هذا التقسيم أرباب الخطابة عشرين قرنا، لكن أحوال المعيشة المدنية والسياسية والدينية تغيرت مما دعا إلى تبديله، ولهذا نجد المحدثون يقسمون الخطابة غالبا إلى خمسة أنواع وهي: السياسية والقضائية والعسكرية والدينية والعلمية[2].

– **الخطابة السياسية:** وهي التي تتناول موضوعات سياسية كنظام الحكم والشؤون الخارجية والداخلية للبلاد وما تعلق بأنظمة المالية والزراعة والتعليم والقانون وتلقى في المجالس النيابية وفي المجتمعات الانتخابية أو في المؤتمرات، وقد ازدهرت عند العرب بقيام العصبية بين الهاشميين والأمويين وباقي الفرق والأحزاب السياسية.

1- محمد أبو زهرة، الخطابة أصولها وتاريخها،ص ص 123- 124.

2- ينظر: الشيخ علي محفوظ، فن الخطابة وإعداد الخطيب، ص 69.

– **الخطابة القضائية:** ويقصد بها الخطب التي تلقى في دار القضاء كخطب المحامين أو أعضاء النيابة أمام القاضي في قاعات المحاكم،[1] وفيها يتم الفصل في الخصومات وحل القضايا العالقة ومعرفة الحق من الباطل وتحرّي العدالة الحقيقية.

– **الخطب العسكرية:** كثيرا ما يلجأ قادة الجيوش إلى الكلمة يشعلون بها الجنود حماسة إلى الاستبسال وهذا النوع من الخطابة قديم العهد عند العرب. ومن أبرز هذه الخطب خطبة هانئ بن قبيصة الشيباني في موقعة ذي قار وخطبة الجهاد لعلي رضي الله عنه، وخطبة طارق بن زياد في فتح الأندلس، ونجد عند الغرب خطب عديدة من أشهرها خطبة نابليون في حملة إيطاليا.

– **الخطابة الدينية:** وهي الخطب التي تلقى في دور العبادة للوعظ والإرشاد، ولم تعرف عند الغرب إلا بعد ظهور المسيح عليه السلام، وازدهرت عند العرب مع الإسلام وتشتمل على خطب الجمعة والأعياد وفيها تكون نفوس السامعين أكثر استعدادا للتأثر بالخطيب الديني لما وقر فيها من عظمة الله ومحبة الدين.

– **الخطابة الحفلية:**وتلقى في محفل التكريم أو التأبين أو التهنئة أو الإصلاح أو الزواج أو نحو ذلك، وقد عرفها العرب قديما كخطب المنافرة والمفاخرة وخطب الاستخلاف والولاية[2].

1- ينظر:طه حسين وأحمد أمين وآخرون، التوجيه الأدبي، ص ص 31- 33.

2- ينظر: عبد الكريم الجنابي، تاريخ الخطابة العربية إلى القرن الثاني الهجري،ص310 وص 304.

– **الخطابة العلمية** (المحاضرة العلمية): هي أقل الخطب بلاغة لا تثير العواطف إنما كلام علمي صناعة وبحثا وتركيب بسيط يقرب منال الحقائق العلمية من الأذهان وأول ما ظهرت في فرنسا لعهد الكردينال "رشليو" مؤسس "مجمع الخالدين" مكون من أربعين عضوا من أرباب السيف والقلم ورجال الدنيا والدين، وهي محاضرة وما شاكلها ويسميها الانجليز قراءة أخذا عن الروائي "دكسون" الذي كان يتلو مؤلفاته في حفل من الناس ويدخل في هذا النوع الأندية الأدبية والدروس التعليمية وغيرها[1].

5–عناصر بناء الخطابة (أصولها):

وتعني المراحل التي تمر بها الخطبة من مجرد كونها فكرة في الذهن إلى مرحلة إلقائها أمام المستمعين أو القاضي وذكرها أرسطو قائلا: «إن اللاتي ينبغي أن يكون القول فيهن على مجرى الصناعات ثلاث (إحداهن): الإخبار من أي شيء تكون التصديقات، (والثانية) ذكر اللاتي تستعمل في الألفاظ، و(الثالثة) أن كيف ينبغي أن ننظم أو ننسق أجزاء القول»[2].

1- ينظر: نقولا فياض، الخطابة، ص ص 138- 139.

2- أرسطو، الخطابة، الترجمة العربية القديمة، تحقيق عبد الرحمن بدوي، ص 181.

ثم هناك عنصر الإلقاء الذي اعتبره الدارسون للخطابة بعد أرسطو ومنهم البلاغيون العرب عنصرا مستقلا ويتضمن الحركة والصوت، وهناك عنصر خامس اختلف في نسبته لأرسطو وهو "الذاكرة"[*].

وهذه عناصر لا يختص بها الخطاب عند اليونان واللاتين دون العرب ولا القديم دون الحديث، وإنما الاختلاف في العنصر المهيمن فيها من حضارة لأخرى، فربما كانت للمنطق الأولوية عند اليونان فكان الاهتمام بالحجة في حين نجد أن أكثر ما عرف عند العرب هو الشعر فكانت للأسلوب والعبارة الصدارة. كما أن اختلاف الموضوعات والمخاطبين (المستمعين) يقتضي تقديم وسيلة وتأخير أخرى فما يقدم بين يدي القضاة في الخطابة القضائية يختلف عما يستعمل للتأثير على الجمهور في الخطابة الاحتفالية[1].

– **الإيجاد** (اكتشاف الحجج Eurisis): ينبغي في الخطابة العثور على الموضوع الأساسي والحجج التي تستخدم بغاية الإقناع، وهذه الحجج بالنسبة لأرسطو.

– الحجج غير الصناعية (الجاهزة): وهي التي لا يكون للخطيب دخل فيها فهي خارجة عن نطاق اجتهاده وتصرفه (الشاهد).

[*] – أضاف أرسطو إلى العناصر الثلاثة عنصرا رابعا أسماه: (الأخذ بالوجوه Hypoctisis)، وأطلق عليه بارث "مسرحة القول"، فيما أسماه بدوي بالإلقاء، أما العنصر الخامس الذاكرة (الاستظهار) فيرى هشام الريفي أنه ينسب إلى اللاتين (شيشرون وكانتيليان)، بينما يرى حمادي صمود عكس ذلك.

1- ينظر: محمد العمري، في بلاغة الخطاب الإقناعي، ص ص 20- 21.

– الحجج الصناعية (غير الجاهزة): وتكون من اختصاص الخطيب وتتوقف على مدى فطنته في استخراجها والإدلاء بها في الوقت المناسب (القياس المضمر).

– **الترتيب** (ترتيب أجزاء القول Taxis): يأتي في الخطوة الثانية ترتيب المواد التي حصلت في الخطوة الأولى وهي مواد فكرية وعاطفية وحجاجية مكرسة للإقناع وترتيبها كالآتي: التمهيد، السرد، الحجاج، الخاتمة.

– **الأسلوب** (العبارة Lexis): أو الصياغة اللفظية للخطاب، ويمكن في اختيار الألفاظ وتركيبها، وتراعى فيه الصحة والوضوح والمناسبة للموضوع والصور والإيقاع.

– **الفعل** (الإلقاء Hypocrisis): وهو الانتقال إلى الانجاز وهو ما يصاحب الخطبة من حركات الجسد وتعابير الوجه وغير ذلك.

– **الذاكرة** (الاستظهار Mémoria): وهي عبارة عن خزن الخطاب في الذاكرة وحفظه تمهيدا لإلقائه مرتجلا[1].

6–مقومات الخطابة:

إن لهذا الفن العظيم خصائص ومواصفات لابد من توافرها في عملية الخطابة وأهم ركن فيها هو الخطيب فهو محور الدائرة في العملية الخطابية ومن ثم وجب أن تتوفر فيه بعض الشروط:

1– ينظر: فرانسوا مورو، البلاغة، المدخل لدراسة الصور البيانية، تر: محمد الولي وعائشة جرير، إفريقيا الشرق، الدار البيضاء، المغرب، ط2، 2003، ص ص 11– 12.

عدة الخطيب وصفاته: للخطيب صفات وأخلاق حسنة يتحراها فيستميل بها قلوب السامعين ويجعلها تنصت لما يقول ويمكن إجمالها في الآتي:

أ- سداد الرأي:وهو أصالة العقل وعلمه التام بالقضية وتمييزه لوجوه الأمور ومعضلات المشاكل بحيث يثق السامع بقول الخطيب وينقاد إلى كلامه.

ب- صدق اللهجة: هي صفة يتصف بها الخطيب في كلامه ليثبت للسامعين إخلاص نيته واستقامة عمله وحرصه على الحقيقة.

جـ- التودد من السامعين: ويكون بالحلم والتواضع لهم والوقار والوفاء والأمانة والنزاهة، فيبين الخطيب في مقاله أنه خالٍ من الأغراض لا يسعى إلا لخير الجمهور[1].

د- قوة الملاحظة: أن تكون نظراته إلى سامعيه فاحصة يقرأ من الوجوه خطرات القلوب ليجدد من نشاطهم.

هـ- حضور البديهة: لتسعفه بالعلاج المطلوب إن وجد من القوم إعراضا والدواء الشافي إن وجد اعتراضا.

و- طلاقة اللسان: اللسان أداة الخطيب الأولى فلابد أن تكون الأداة سليمة كاملة.

1- ينظر: لويس شيخو، علم الأدب، الجزء الثاني في علم الخطابة، ص ص 48- 49.

ز- رباطة الجأش: يجب أن يقف الخطيب مطمئن النفس غير مضطرب، حتى يستطيع التأثير فيهم، وإذا كان العكس صغر في نظرهم وذهب كلامه هباءً، وقد جاء في كتاب الصناعتين لأبي هلال العسكري، الحيرة والدهشة يؤثران الحُبسة والحصر وهما سبب الارتياح والإفحام.

ح- القدرة على مراعاة مقتضى الحال: وهذا لُبُّ الخطابة وروحها، فلكل مقام مقال، ولكل جماعة من الناس لسان تخاطب به[1].

وهذه الصفات المذكورة واجبة فلا يعد الخطيب خطيب إذا لم تكن فيه. أما الصفات الآتية فتتفاوت فيها أقدار الخطباء بمقدار ما ينالون مها وهي:

- قوة العاطفة: فلابد أن تكون حماسة الخطيب أقوى من حماسة سامعيه ليغيض عليهم ويروي غلتهم، وإلا أحسوا بفتور نفسه، فضاع أثر قوله[2].

- الاستعداد الطبيعي: هي هبة من الله سبحانه وتعالى يهبها بعض الناس، وإذا وهبها خطيبا قاد الجماهير بفضل استعداده الفطري، فأبو الحسن الرماني يقول أصل البلاغة الطبع، وصُحَار بن عياش العبدي يجيب معاوية وقد سأله ما هذه البلاغة التي فيكم؟ بقوله: شيء تجيش به صدورنا فتقذفه على ألسنتنا.

1- ينظر: محمد أبو زهرة، الخطابة أصولها وتاريخها، ص ص 44-45.

2- ينظر: المرجع نفسه، ص 46.

– **التجمل في الهندام:** كان العرب قبل الإسلام وبعده يلبسون العمائم ويفخمون منظرهم إذا ما خطبوا، فالهندام المنسق يعزز ثقة الخطيب بنفسه ويكسبه في أعين الناس مهابة.

– **سعة الاطلاع:** فالخطابة ليس لها موضوع خاص تبحث فيه بمعزل عن غيره بل ترتبط بكل شيء من شؤون الناس في دينهم ودنياهم، فعلى الخطيب أن يكون ملما بكل صنف من صنوف المعارف.

ومن الصفات المتعلقة بروعة المنظر وجودة الإلقاء:

– الوقفة التي تزيد من الفخامة والعظمة بأن تكون معتدلة وتجنب كثرة الحركة.
– حسن الإشارة: فهي لغة منظورة أو لغة متحركة فإذا اقترنت الإشارة باللغة في موضعها الملائم أثرت تأثيرا عظيما.
– جهارة الصوت وحلاوته: فهو يبهر ويسحر بحلاوة نغماته وصفاء رناته.
– جمال الخلقة: أن يكون مقبول الصورة غير منفر، فالناس مولعون بالقوة والسلامة، رغم أن التاريخ عرف من هم غير ذلك واستطاعوا أن يكون خطباء كالأحنف بن قيس.
– سمو الخلق: فإذا ما كان حسن السمعة أثر في سامعيه لأن حسن السمعة كالمقدمة للاقتناع بقوله[1].

1- ينظر: عبد الكريم الجنابي، تاريخ الخطابة العربية، ص 45 وما بعدها.

7- أهمية الخطابة وفائدتها وغايتها:

تعد الخطابة حاجة نفسية وظاهرة اجتماعية، فالإنسان يولد وهو يستقبل الحياة بما فيها ومن فيها، وميلاده بداية لمرحلة من مراحل الصراع مع نفسه وبيئته في محاولة إثبات ذاته وفي دوامة هذه المعاناة يحاول التعبير في دوافعه وآلامه وآماله بمختلف الصور بالفلسفة أو الشعر، بالصورة أو بالحركة وبالخطابة التي هي أبرز أدوات التعبير جميعا.

والإنسان مدني بطبعه ولابد له من جماعة ينتسب إليها ومن سنن الله في هذا الاجتماع البشري: الاختلاف[1]. قال الله تعالى: ﴿ **وَلَوْ شَاءَ رَبُّكَ لَجَعَلَ النَّاسَ أُمَّةً وَاحِدَةً وَلَا يَزَالُونَ مُخْتَلِفِينَ إِلَّا مَنْ رَحِمَ رَبُّكَ وَلِذَلِكَ خَلَقَهُمْ وَتَمَّتْ كَلِمَةُ رَبِّكَ لَأَمْلَأَنَّ جَهَنَّمَ مِنَ الْجِنَّةِ وَالنَّاسِ أَجْمَعِينَ**﴾[2].

ويرى الدكتور أحمد الحوفي أن اجتماع الناس في مكان واحد وكلامهم بلسان واحد أدى إلى معرفة الخطابة.

فمن الطبيعي أن يختلفوا في رأي وعقيدة، وأن يتنافسوا على غنيمة أو متاع أو سلطة وأن تنشب أمور تستدعي تعاون المجتمع فيتصدى لذلك أحد القادة وكل هذا يحتاج إلى إقناع الناس واستمالتهم بالخطابة، ويذهب ابن رشد إلى جعل

1- ينظر: محمود محمد عمارة، الخطابة بين النظرية والتطبيق، ص ص 12- 13.

2- سورة هود: الآية 118، 119.

الخطابة قاسما مشتركا وجاريا على كل لسان مهما كان مستواه الثقافي ضئيلا، فكل واحد من الناس يوجد مستعملا لنحو من أنحاء البلاغة كالتاجر وهو ينادي لسلعته بشيء من البيان بلغته، وكل ذي رغبة في أمر يجتهد في استعمال ما أمكن من وسائل الإقناع، إنها إذن مظهر من مظاهر الاجتماع ومقياس تقدم الجماعة وعلامة رقيها[1].

وفوائد الخطابة جمة فهي التي تفض المشاكل وتقطع الخصومات وتهدئ النفوس الثائرة وترفع الحق وتخفض الباطل وتقيم العدل وترد المظالم، وهي صوت المظلومين وهي لسان الهداية، ولأمر ما قال موسى عليه السلام: ﴿**قَالَ رَبِّ اشْرَحْ لِي صَدْرِي وَيَسِّرْ لِي أَمْرِي وَاحْلُلْ عُقْدَةً مِنْ لِسَانِي يَفْقَهُوا قَوْلِي**﴾، الخطابة الدعامة التي قامت عليها الثورات الكبيرة كالثورة الفرنسية وهي قوة تثير حمية الجيوش قديما وحديثا ومن الخطباء القواد: يوليوس قيصر، نابليون، علي بن أبي طالب، خالد بن الوليد، طارق بن زياد وغيرهم.

والخطباء هم المسيطرون على الجماعات تصدع الأمة بإشاراتهم وتخضع لسلطانهم وبالجملة فالخطابة طريق إلى التأثير والإقناع حيث لا يفيد البرهان، قال العلامة ابن رشد نقلا عن أرسطو: «ليس كل صنف من أصناف الناس ينبغي أن يستعمل معه البرهان في الأشياء النظرية التي يراد منهم اعتقادها –وذلك إما لأن الإنسان قد نشأ على مشهورات تخالف الحق، فإذا سلك به نحو الأشياء التي نشأ

1- ينظر: محمود محمد عمارة، الخطابة بين النظرية والتطبيق، ص 14.

عليها سهل إقناعه– وإما لأن فطرته ليست معدة لقبول البرهان أصلا وإنما لأنه لا يمكن بيانه له، في ذلك الزمان اليسير الذي يراد منه وقوع التصديق فيه، فهذا الصنف الذي لا يجدي معه الاستدلال المنطقي؛ تهديه الخطابة إلى الحق الذي يراد اعتناقه؛ لأنها تسلك من المناهج، ما لا يسلك المنطق». وهذه مزية عظيمة لا يستهان بها، ويرى ابن سينا في فائدتها: «إن صناعة الخطابة عظيمة النفع جدًّا؛ وذلك لأن الأحكام الصادقة فيما هو عدل وحسن أفضل نفعًا وأعم على الناس من أضدادها فائدة؛ لأن نوع الإنسان يعيش بالتشارك والتشارك محوج إلى التعامل والتحاور، وهما محوجان إلى أحكام صادقة، وهذه الأحكام الصادقة تحتاج إلى أن تكون مقررة في النفوس ممكنة في العقائد، والبرهان قليل الجدوى في حمل الجمهور على الحق، فالخطابة هي المعينة بذلك» انتهى بتصرف[1].

وغاية الخطابة عند الحكماء: الحصول على قوة التمكن من الإقناع، وفضلها عظيم، وشرفها جسيم، إذ فضل العلوم، والصناعات، وشرفها بشرف غاياتها، وللخطابة غاية ذات شأن خطير، وهي إرشاد الناس إلى الحقائق، وحملهم على ما ينفعهم في العاجل والآجل، والخطابة معدودة من وسائل السيادة والزعامة، وكانوا يعدونها شرطًا للإمارة، فهي تكمل الإنسان وترفعه إلى ذرى المجد والشرف، قال العلامة ابن سينا في "الشفاء":«إن الخطيب يرشد السامع إلى ما يحتاج إليه من أمور دينه ودنياه، ويقيم له مراسيم لتقويم عيشه والاستعداد إلى معاده، وحسبها شرفًا أنها

1- ينظر: محمد أبو زهرة، الخطابة أصولها وتاريخها، ص ص 17- 18.

وظيفة قادة الأمم من الأنبياء والمرسلين –صلوات الله وسلامه عليهم أجمعين– ومن على شاكلتهم من العلماء العاملين وعظماء الملوك وكبار الساسة»[1].

8–علاقة الخطابة بغيرها من العلوم:

كان لتنوع موضوعات الخطابة وتشعبها ارتباط قوي بغيرها من العلوم ومنها العلوم الإنسانية التي لها علاقة مباشرة بهذا الموضوع، لأنها تهدف إلى استمالة وإقناع النفس الإنسانية، ومعرفة مقامات المجتمع ولا يتأتى هذا إلا بدراسة العلوم، قال ابن رشد: «إن كل صناعة إنما هي معلمة، أي مبرهنة، ومقنعة، في الجنس الذي تنظر فيه، لا في جميع الأجناس. وأما الخطابة فهي تتكلف الإقناع في جميع الأشياء: في أي مقولة كانت وأي جنس كان.ولذلك ليس تنسب إلى جنس خاص»[2].

أ–علاقة الخطابة بالمنطق:

لم يجانب الفلاسفة القدامي الصواب كثيرا حينما اعتبروا كتاب الخطابة لأرسطو المترجم للعربية آنذاك أنه جزء متمم لعلم المنطق، فابن سينا في الشفاء يجعل الخطابة من أقسام المنطق، وحقيقة أن كتاب الخطابة لأرسطو يبرز فيه المنطق بوضوح تام، ترى الكلام على الحد والرسم والدليل وكيف يتكون القياس الخطابي، ثم ترى فيه الكلام على التصديق الذي يكتفي به في الخطابة، وغير ذلك مما يعد

1– ينظر: علي محفوظ، فن الخطابة وإعداد الخطيب، ص 15.

2– أبو الوليد بن رشد، تلخيص الخطابة، ص 29.

من المنطق، وهو خادم لعلم الخطابة، إذ أن كثير من قوانين الخطابة تعتمد عليه في مبادئه، علاوة على هذا فإن لم يعد المنطق يبحث عن القوانين التي تعصم الذهن عن الخطأ فقط، بل يستنبط أيضا ما يرشد الذهن إلى الأخذ بالقوانين السابقة، فهو يبحث أيضا عن أهواء النفس وخواطرها وأسباب الغلط، وتسلسل الخواطر وكلها أمور تساعد الخطيب على أداء مهمته، وتمد قوانين الخطابة بمناحي التأثير، وطرق الإقناع. فالخطيب يتعامل مع العقل الإنساني إلى جانب مخاطبته القلب فهو يحتاج إلى المنطق حصولا على البرهان ينصر به قضيته ووصولا إلى فكر متسلسل متماسك، يسلك المستمع معه في أفقه فلا يتغلف عنه.

ب– علاقة الخطابة بعلم النفس:

لا يمكن للخطيب الوصول إلى غايته المتمثلة في إقناع السامعين واستمالتهم إلا إذا استطاع مخاطبة إحساسهم وأن يتصل كلامه بشفاف قلوبهم، وهذا مرهون بضرورة علمه بما يثير شوقهم ويسترعي انتباههم ومعرفته بطبائع نفوسهم وأحوالها وغرائزها ولا يكون هذا إلا بعلم النفس فهو دعامة لعلم الخطابة فهو يرشد إلى وسائل الإقناع والتأثير.

والخطيب الذي لا يعرف غرائز النفس واتجاهاتها ورغباتها لا ينجح في امتلاك زمامها ولا تجدي الخطب الرنانة فتيلا إذا ظل باطن الإنسان مجهولا[1].

1 –ينظر: محمد أبو زهرة، الخطابة أصولها وتاريخها، ص ص 7– 8.

جـ-علاقة الخطابة بعلم الاجتماع:

قال الفارابي: «إن الخطيب إذا أراد بلوغ غايته، وحسن سياسة نفسه في أموره فليتوخ طباع الناس وتلون أخلاقهم وتباين أحوالهم»[1]. وقال أفلاطون:«لكل أمر حقيقة ولكل زمان طريقة، ولكل إنسان خليقة، فعامل الناس على خلائقهم والتمس من الأمور حقائقها، واجر مع الزمان على طرائقه»[2]. فيرى محمد أبو زهرة أن هذه قوانين تنفع الخطيب في متصرفاته مع كل طائفة من أهل طبقته ومن دونه ومن فوقه، فعلى الخطيب إذا أراد الانتصار لدعوته الإلمام بأحوال المجتمع وما يلزم لكل فئة أو طبقة اجتماعية من خطاب وهذا أمر جد لازم لكل خطيب، وعليه فمن الواجب أن تكون قوانين الخطابة متصلة بقوانين الجماعات مستمدة منها القوة.

وخلاصة القول أن هذه العلوم الثلاثة (علم المنطق وعلم النفس وعلم الاجتماع) ينابيع صافية استمد علم الخطابة منها قوانينه وعلى ضوئها شق طريقه[3].

9-الخطابة والحجاج:

الإنسان يعيش ضمن جماعة بشرية ومحيطه لا يخلو من نزاعات بين أعضائه وطوائفه سواء على مستوى الأقوال أو الأفعال، وهذا ما يتطلب بناء نماذج خطابية

1 - محمد أبو زهرة، الخطابة أصولها وتاريخها، ص8

2- المرجع نفسه ، الصفحة نفسها.

3- ينظر: نفسه، ص ص 8- 9.

حجاجية كفيلة بتدبير النزاعات، مما يقتضي منه التَّمَرُّس على السبل الكفيلة بالإقناع لرفع الخلاف أو الاختلاف القائم بين الفاعلين، فقد لابست الخطابة البلاغة وارتبطت بها عبر تاريخها الممتد، وانطوت منذ ميلادها الأول على حمولة الإقناع وسطوة التأثير[1]. وإذا عدنا إلى نشأة الخطابة الغربية عند الإغريق نجد أن ميلادها كان استجابة لحاجة حجاجية جماعية ملحة، فقد ألف السفسطائي الصقلي "كوراكس" أول خطابة سماها "بارط" "الخطابة الكوراكسية" وهي بمثابة دليل عملي فيه وصايا تخص مسالك التأثير في القاضي فهي قضائية بالدرجة الأولى[2].

فالقصد الأول للخطابة كان مطالبة بالملكية ودفاعا عنها، وفنا للقول يتوخى الانتصار في خضم صراع حياتي ومنازعات بشرية، ومن المعلوم أن إدعاء الحق والدفاع عنه وبالأحرى نيله، لا يستقيم إلا بالمرافعة والاحتجاج.

واشتهر السوفسطائيون باعتمادهم سلطة الخطابة لنشر آرائهم وإتقان الاحتجاج لها، واعتبروا أن الخطيب البليغ يستطيع أن ينصر الحق كما يستطيع أن ينصر الباطل بقوة حججه، أو براعته بالأقيسة والقضايا الظاهر منها والمضمر، ونجد أن كوراكس صاحب التخطيط النموذجي للخطبة طوال قرون قد أكد على حجاجية الخطابة من خلال تحديده للأجزاء الخمسة الكبرى وهي: الاستهلال،

1- ينظر: د. عبد اللطيف عادل، بلاغة الإقناع في المناظرة، دار الأمان، الرباط، المغرب، ط1، 2013، ص 27.

2- ينظر: هشام الريفي، أهم نظريات الحجاج في التقاليد الغربية من أرسطو إلى اليوم، ص 248.

السرد، الاحتجاج، الاستطراد، الخاتمة فبالاحتجاج تتحقق الاستمالة ويحصل الإقناع[1].

والخطابة لدى أرسطو لا تتحدد ببعدها الامتاعي بل بمهمة الإقناع التي تضطلع بها لذلك عرفها بقوله: «إنها الكشف عن الطرق الممكنة للإقناع في أي موضوع كان». وإنتاج الاعتقاد في الخطابة يرجع عنده إلى أركان ثلاثة هي الخطيب (Ethos) والقول (Logos) والسامعون (Pathos).

فالخطيب حجة مقنعة في الاستدلال الخطبي بأخلاقها وعنصر الثقة فيها. ولابد في الإقناع من التهيئة الانفعالية والاجتماعية للسامعين من أجل استدراجهم وتحقيق انقيادهم واقتناعهم بما يطرحه الخطيب ولا يتحقق الإقناع بالخطيب والسامعين فقط بل يتوقف كذلك على القول الذي يجب بناؤه حجاجيا وتعبئته بالأدلة القادرة على إقامة الاعتقادات أو تغييرها. ولا يلغي أرسطو دور المقومات الأسلوبية والتصويرية في الفعالية التأثيرية للقول، بل إن جمالية القول تعد مساهمة في بناء الإقناع[2].

وفي العصر الحديث ظهر علمان بارزان حاولا إحياء بلاغة الإقناع وهما يطوران نظرية الحجاج استنادا إلى المدونة البلاغية القديمة خاصة عند أرسطو إنهما "شاييم بيرلمان" و"أولبريخت تيتيكا" من خلال مؤلفهما "مصنف في الحجاج" عام 1958 نجدهما يربطان بين الخطابة والحجاج من خلال هذا القول: «الغاية من تقريبنا بين

1- ينظر: د. عبد اللطيف عادل، بلاغة الإقناع في المناظرة، دار الأمان، من ص 28 إلى ص 32.

2- ينظر: المرجع نفسه،ص ص 54-55.

الحجاج والخطابة أن نلح على أنه لا حجاج بدون وجود جمهور يرمي الخطاب إلى جعله يقتنع ويسلم ويصادق على ما يعرض عليه»، ولذلك فالإستراتيجية الحجاجية تبنى على المستمع في نظرية الحجاج كما كان الوضع في الخطابة القديمة، فالرهان قائم على دفعه للإقتناع ومن ثم فبتغيير المستمع يتغير شكل الحجاج[1].

وفي التراث العربي الإسلامي نجد صلة الخطابة بالحجاج وثيقة خاصة عند الجاحظ أول من أفاض الحديث عن الخطبة وتوسع فيها ودور كل طرف من أطرافها: المتكلم والسامع والقول في جعله بليغا مؤثرا مقنعا، حيث ربط الخطابة بأهداف إقناعية، فالقول الخطبي عنده يكون للخصومة والمنازعة ومناضلة الخصوم والاحتجاج على أرباب النحل ومقارعة الأبطال ومحاجة الخصوم ومناقلة الأكفاء ومفاوضة الإخوان، والخطيب مطلوب عنه الإفصاح بالحجة والبصر بها والمعرفة بمواضع الفرصة، وأن يعرف كيف يضطر الخصوم بالحجة ويطبقهم بها، والغاية من ذلك أن تكون الأعناق إليه أميل، والنفوس إليه أسرع، والعقول عنه أفهم، والعلو على الخصم. وعموما، فربط الخطابة بالإقناع تجلى في مشروع الجاحظ من خلال العناية الخاصة التي أفردها الوظيفي الإفهام والإقناع في القول الخطبي ثم من خلال تركيزه على عنصري المقام والمستمع[2]. ويرى الدكتور محمد العمري أن ربط الخطابة بالإقناع عند الجاحظ يرجع إلى أنه انتبه إلى سلطان الكلام وعارضة الاحتجاج وما لهما من مفعول قوي في الاستمالة وجلب انخراط السامعين[3].

1- ينظر: د. عبد اللطيف عادل، بلاغة الإقناع في المناظرة، دار الأمان، ص 86.

2- ينظر:المرجع نفسه، ص ص 61- 62.

3- ينظر: نفسه، ص 64.

الفصل الثالث

الدراسة التطبيقية لخطب مختارة
- مقاربة تداولية-

الفصل الثالث:الدراسة التطبيقية لخطب مختارة-مقاربة تداولية-

أولا: الإتصال والخطاب السياسي

1- مفهوم التواصل بين التأصيل والتأسيس والتنظير

2-نظرية الاتصال

3-الاتصال السياسي

4-مفهوم الخطاب السياسي

5-الخطاب السياسي في التراث العربي

ثانيا: الدراسة التطبيقية:خطب حادثة السقيفة(مقاربة تداولية)

1- مناسبة الحدث الخطابي

2-السياق

3-وضعيات المتخاطبين وتبادل أدوار الكلام

4-الأفعال الكلامية في خطب حادثة السقيفة

5-التقنيات الحجاجية في الحدث الخطابي (خطب السقيفة)

6-الحدث الخطابي (خطب السقيفة) في ضوء نظرية الحجاج اللغوي

ثالثا:الخطابي والبلاغي (الاستعاري) في خطبة الحجاج بن يوسف لأهل الكوفة

1-ضبط مفاهيم : (الخطابة، الشعرية، البلاغة)

2-مسار الخطابية والشعرية عند اليونان والعرب

3-بين الشعرية والخطابية

4-إزدواجية الصورة المجازية الاستعارية

أولا: الإتصال والخطاب السياسي

1- مفهوم التواصل بين التأصيل والتأسيس والتنظير :

أ-مفهوم التواصل في التراث العربي :

ركز العلماء العرب في معرض تعريفهم للغة والبلاغة والبيان إلى خاصية التواصل، ومن هولاء ابن جني (ت 392هـ) في تعريفه للغة:«أما حدها فإنها أصوات يعبر بها كل قوم عن أغراضهم» [1] فالمرسل يعبر عن غرضه بتوجيه رسالة إلى المرسل إليه وهذا ما يبين الطابع الاجتماعي للغة، ويظهر هذا المفهوم عند الجاحظ في تعريفه للبيان: « والبيان اسم جامع لكل شيء كشف لك قناع المعنى وهتك الحجاب دون الضمير حتى يفضي السامع إلى حقيقته، ويهجم على محصوله كائنا ما كان ذلك البيان، ومن أي جنس كان الدليل، لأن مدار الأمر والغاية التي إليها يجري القائل والسامع إنما هو الفهم والإفهام، فبأي شيء بلغت الإفهام وأوضحت عن المعنى، فذلك هو البيان في ذلك الموضع » [2] . فالجاحظ بكلامه عن البيان الذي يرمي به الإبانة بأي طريقة كانت، يكون قد حدد عناصر التواصل متمثلة في (المتكلم والسامع والرسالة والقناة والشفرة) فالرسالة تنتقل من متكلم إلى سامع، وغاية كل منهما الفهم والإفهام عن طريق اللغة، وأما الشفرة فهي (كشف قناع

1 -أبو الفتح عثمان بن جني، "الخصائص"، ج1، تح : محمدعلي النجار، المكتبة العلمية، ط2، د ت، ص 33.

2 -الجاحظ، "البيان والتبيين" ج1، ص 76.

المعنى وهتك الحجاب)[1]، كما يتضح معنى التواصل عند الجاحظ في شرحه للبلاغة التي من معانيها عنده التبليغ والتوصيل وذلك في قوله : «ويكفي من حظ البلاغة أن لا يؤتى السامع من سوء إفهام الناطق ولا يؤتى الناطق من سوء فهم السامع »[2] فهو يعتبر الكلام البشري رسالة تبلغ إلى المخاطب، وهذا ما جعله يغوص بعيدا في قضايا التوصيل وشروط التأدية ويعد ما قدمه الجاحظ في هذا المجال قريب من اللسانيات الحديثة [3].

ب–مفهوم التواصل عند المحدثين :

1–مرحلة التأسيس: رغم أن "دي سوسير" لم يتناول التواصل اللغوي كمبحث خاص، وإنما من خلال حديثه عن ثنائية اللغة والكلام وعما أسماه بمدار الكلام، فانه يعد مؤسس التواصل اللساني من خلال ما جاء به من آراء وأفكار حول التواصل انطلاقا من تصوره لشخصين(أ) و(ب) يتواصلان ويتحاوران فيما بينهما، فتبدأ عملية التواصل من دماغ المتكلم(أ) على شكل تصورات مشكلة من متوالية من الأصوات (الصورة السمعية) لتصل إلى أذن المخاطب (ب) عبارة عن رموز وأصوات غير مفهومة، ثم يبدأ المتلقي بتأويلها في ذهنه، فيحولها من دال إلى مفهوم

1 –ينظر سليم حمدان، "أشكال التواصل في التراث البلاغي العربي" دراسة في ضوء اللسانيات التداولية، رسالة ماجستير قسم اللغة العربية وآدابها، جامعة باتنة، السنة الجامعية 2009/2008، ص 7.

2 –الجاحظ، "البيان والتبيين"، ج1، ص 2/87 .

3 –ينظر : محمد الصغير بناني، "النظريات اللسانية والبلاغية والأدبية عند الجاحظ من خلال البيان والتبيين "، ص 9.

مؤول ذهنيا ومتفق عليه جماعيا وهنا نكون ازاء مدلول دال عن وظيفة تواصلية، وبذلك يكون دي سوسير أول بنيوي يؤسس لنظرية التواصل.

2-مرحلة التنظير : لقد كان البحث الذي نشره "رومان جاكبسون" في حلقة براغ 1929 والذي تناول فيه الوظائف المتعددة للغة بداية لاحتلاله مصاف المنظرين الكبار لمفهوم التواصل مستفيدا من التطور الحاصل في المجال العلمي عامة ومن أبحاث مهندسي التواصل السلكي واللاسلكي لاسيما "ماكاي Mackay وشانون Chanoun" فلم يجد صعوبة في التأقلم مع مفاهيمهم العلمية كالشفرة والرسالة والقناة والتشويش لأنها كانت متداولة في اللسانيات وقد أوضح " جاكبسون" عناصر التواصل اللغوي من خلال الخطاطة التالية:

سياق

مرسل.....رسالة.....مرسل اليه

اتصال

سنن

ويربط "جاكبسون" وظائف اللغة بالعوامل المكونة للتواصل اللغوي، وفي حالة التركيز على عنصر معين من عناصر الخطاطة اللسانية المذكورة يلاحظ هيمنة وظيفة ملازمة لهذا الطرف أو ذاك . فالوظيفة التعبيرية تتمحور حول المرسل باعتباره الطرف الذي يسعى إلى إيصال الخبر إلى الطرف الثاني، وترتبط الوظيفة الشعرية

بالرسالة الحاملة للمعنى، أما الوظيفة المرجعية فتتصل بالسياق (المرجع) لذلك أسماها جاكبسون المرجعية، وترتبط الوظيفة الانتباهية بالصلة (القناة)، والوظيفة الافهامية مرتبطة بالمرسل إليه بغرض لفت انتباهه والتأثير عليه، ووظيفة اللغة الواصفة مرتبطة بالسنن (الشفرة) وهي لغة مفسرة وواصفة للغة ذاتها[1].

وإذا أردنا تعريفا للتواصل فإننا سنجد مفاهيم متعددة بتعدد العلوم ويمكن أن نأتي بهذا التعريف لعمر أوكان :"التواصل هو تبادل أدلة بين ذات مرسلة وذات مستقبلة حيث تنطلق الرسالة من الذات الأولى نحو الذات الأخرى وتقتضي العملية جوابا ضمنيا أو صريحا عما نتحدث عنه، ولنجاح العملية يتطلب إشراك المرسل والمرسل إليه في السنن، كما تقتضي العملية قناة تنقل الرسالة من الباث إلى المتلقي، ويمكن تلخيص التعريف بطريقة رياضية :

من (أ) إلى (ب)ترسل (ج) التي تتحدث عن(د) وتخضع لقوانين (هـ) وتنتقل من (أ) إلى(ب) عبر(و) حيث أن (أ)=المرسل و(ب)=المرسل إليه و(ج)=الرسالة و(د)=المرجع ة(هـ)=السنن و(و)=القناة [2].

1 -ينظر: محند الركيك، " نظرية التواصل في ضوء اللسانيات الحديثة"، عدد خاص بالتواصل الإنساني وأشكاله، مجلة علامات، العدد 24، 2005، موقع سعيد بنكراد، ص 65 وما بعدها:

saidbengrad.free.fr/al/n%2024/6-24

2 -ينظر: عمر أوكان، www.aljabriabed.net/n36_08ukan.htm.

وبعد أن رأينا مفهوم التواصل عبر المحطات الثلاثة (التأصيل، التأسيس، التنظير) يمكن القول أن :

«للغة وظيفة تواصلية تضطلعبها، ولذا فإن محدداتها موقوفة على البعد التداولي الذي ينصرف إلى قصد المتكلم وإرادته في توجيه الخطاب للآخر بغية تسويق هذا القصد أو تبليغ معتقداته تبليغا حجاجيا، ولا تحصل له هذه المزية إلا إذا توافرت الشروط الزمانية والمكانية وحضور المتخاطبين ووجود مسافة تسمح بتلقي الخطاب,أي أن اللغة ذات طبيعة تداولية تتطلب شروطا لتحقيق الخطاب تحقيقا اعتياديا,وتتمثل هذه في الاستعمال والسياق»[1] وهي عامل أساسي في نجاح عملية الاتصال .

2-نظرية الاتصال:

وهي نظرية رغم حداثتها إلا أنها ذات أبعاد قديمة تتعلق بالبلاغة والمنطق والمجادلة والمناظرة، وقد نشأت في المحاورات السياسية والقضائية عند اليونان،وتمثلت عند العرب في البلاغة، ولها ارتباط وثيق بالمجتمع وبحقل السياسة في التاريخ القديم والحديث،لأنها ذات أبعاد سياسية، فالاتصال بث معلومات وتحقيق مقاصد,وهدفه

1- عبد الرحمان يوسف، التداولية والخطاب المسرحي، رسالة ماجستير،كلية الآداب والعلوم الإنسانية،جامعة تشرين،سوريا،2010-2011 ص ص أ-ب.

البحث عن وسائل الإقناع الممكنة والإقناع أهم مقاصد الخطاب السياسي ورجال السياسة هم أحرص الناس على نجاح اتصالهم بالجماهير وإقناعهم بمقاصدهم[1].

3-الاتصال السياسي:

يعرف الاتصال السياسي في معجم المصطلحات السياسية بأنه:"عملية نقل المعاني ذات الدلالة السياسية المرتبطة بعمل النظام السياسي, وفي موسوعة السياسة يعرف على أنه "تفاعل بين طرفين من خلال قناة معينة حول قضية معينة ". إذا نظرنا إلى التعريف الأول نتبين أن لفظ "عملية" يعني تَتمُ عن قصد وتوحي بالتخطيط والتفاعل والحركة, أما التعريف الثاني فإنه اهتم بعملية التفاعل وقناة الاتصال وموضوع الرسالة، ويتكون الاتصال السياسي من رسالة ومرسل ومُتلق وقناة ومقصد[2] .

4-مفهوم الخطاب السياسي:

وهو الخطاب الموجه عن قصد إلى متلق مقصود بقصد التأثير فيه وإقناعه بمضمون الخطاب الذي يتضمن أفكارا أساسية,فالملاحظ أن المرسل يعتني بالفكرة التي هي مقصده أكثر من عنايته بالألفاظ[3] «والخطاب السياسي كما يقول

1- ينظر: محمود عكاشة، لغة الخطاب السياسي (دراسة لغوية تطبيقية في ضوء نظرية الإتصال) دار النشر للجامعات،مصر، ط1، 2005، ص8 .

2- ينظر: المرجع نفسه، ص ص 23- 24.

3- ينظر: نفسه، ص ص 45- 46.

"غجليون" Ghiglione في 1989 هو خطاب التأثير، حيث أن الهدف هو التأثير على الآخر وجعله يبادر إلى العمل ويفكر ويعتقد...»[1] وقد عرف الغرب قديما الخطبة السياسية(المشورية)كما عرف العرب أيضا هذا النوع من الخطب في صدر الإسلام وبعده.

5-الخطاب السياسي في التراث العربي :

رغم قلة المعلومات عن الخطاب السياسي العربي قبل الإسلام إلا أنه من المؤكد أن العرب عرفوا الخطابة السياسية.«وهي التي قيلت في شرح المسائل السياسية وعلاقة المسلمين بالأقوام المجاورة من روم وفرس وأحباش ويهود ونصارى، وكاستحقاق الخلافة وولاية العهد»[2]، وقد استخدم رسول الله صلى الله عليه وسلم إلى جانب الخطبة أنواعا أخرى من الخطاب كالمناظرة والرسالة والتعليم ويمكن النظر إلى بعض آيات القرآن الكريم بوصفها خطابا شبه سياسي خاصة ما تعلق ببعض مسائل الحكم والعلاقة مع ولي الأمر وأخلاقيات الحرب وقوانينها والعلاقة مع الأقليات، كما عرف المسلمون في صدر الإسلام أشكالا من التفاوض السياسي كما يظهر في حادثة سقيفة بني ساعدة التي أعقبت وفاة النبي صلى الله عليه وسلم وشهدت جدلا بين المهاجرين والأنصار حول أحقية كل منهما في تولي الخلافة [3].

1- ذهبية حمو الحاج، التحليل التداولي للخطاب السياسي، مجلة الخطاب، منشورات مخبر تحليل الخطأ، جامعة تيزي وزو، العدد، 2 ، ص239.

2- عبد الكريم إبراهيم الجنابي، تاريخ الخطابة العربية إلى القرن الثاني الهجري، ص100.

3- ينظر: عماد عبد اللطيف، تحليل الخطاب السياسي في العالم العربي، التاريخ والمناهج والآفاق، مجلة البلاغة وتحليل الخطاب، المغرب، عدد6، 2015،ص ص 112- 113.

ثانيا: الدراسة التطبيقية:خطب حادثة السقيفة(مقاربة تداولية)

1-مناسبة الحدث الخطابي:

لما قبض النبي صلى الله عليه وسلم اجتمعت الأنصار في سقيفة* بني ساعد فقالوا: نولي هذا الأمر بعد محمد عليه الصلاة والسلام سعد بن عبادة، وأخرجوا سعدا إليهم وهو مريض فخطب فيهم، ووصل خبر اجتماعهم إلى الصحابة من المهاجرين فانطلق أبو بكر وعمر وأبو عبيدة بن الجراح إلى السقيفة ولما وصلوا كان سعد قد أنهى كلامه، فخطب أبو بكر بعده ثم الحباب بن المنذر ثم عمر بن الخطاب ثم الحباب بن المنذر ثانية ثم تكلم أبو عبيدة ثم بشير بن سعد ثم تمت البيعة لأبي بكر الصديق رضي الله عنهم أجمعين[1]

2-السياق:

ينصب اهتمام الدرس التداولي كله في بحث مدى ارتباط الخطاب بالسياق[2]، وقد تفاوت العلماء في التعبير في تحديد مفهوم السياق فمنهم من يرى «أنه علامات شكلية تكون في المحيط اللساني الفعلي..." ويشمل مدلول المحيط اللساني مستخدم اللغة (المتكلم والسامع)، الحدث الذي ينجزه النظام اللغوي المستخدم،

*-هي سقيفة بني ساعدة، من بني كعب بن الخزرج، رهط سعد بن عبادة، والسقيفة: الصفة، وكل بناء مسقوف،الجاحظ، البيان والتبيين، ج3 ، ص296.

1- ينظر: أبو جعفر محمد بن حزيم الطبري، تاريخ الطبري، (تاريخ الرسل والملوك)، ج3، تح:محمد أبو الفضل إبراهيم، دار المعارف، مصر، ط2، صمن 218 إلى 221.

2- ينظر : خليفة بوجادي، في اللسانيات التداولية، ص114 .

مواقع مستخدمي اللغة، أنظمة المعايير الاجتماعية والعادات... إلى غيرها من العناصر التي تحدد بنية المنطوق وتفسره »[1].

ومن العلماء من يرى أن السياق يتمثل في مجموعة الظروف التي تحيط وتحف حدوث فعل التلفظ بموقف الكلام[2]، ولعل أدق تحديد لمفهوم السياق ما يراه بعضهم في أنه هو «الغرض الذي ينتظم به جميع ما يرتبط بالنص من القرائن اللفظية والحالية»[3]، فإذا نظرنا إلى هذه المفاهيم فإنها لا تخرج عن المعنى العام للسياق الذي يتضمن كل ما نحتاجه لفهم الخطاب، وفي هذا الحدث الخطابي الهام سنكتشف مجموعة من الظروف والقرائن التي ستعين في فهمه ودراسته:

– ففي الثاني عشر من ربيع الأول من السنة الحادية عشرة للهجرة، الموافق للثامن من يونيو سنة أربع وثلاثون وستمائة ميلادية، وبعد نحو ساعة أو أكثر قليلا من وفاة النبي صلى الله عليه وسلم، اجتمع الأنصار (الأوس والخزرج) في سقيفة بني ساعدة لاختيار خليفة للمسلمين من بينهم، وأجمعوا أمرهم على سعد بن عبادة الأنصاري الخزرجي وهو يومئذ مريض لا يقوى على إسماع صوته.

وقد اختلفت الروايات لوقائع حادثة السقيفة مما أنتج فهما مختلفا وتأويلات متعددة لها مما يجب الانتباه إليه. ومما يساعد في فهم هذا هذه الحدث الخطابي

1- خليفة بوجادي، في اللسانيات التداولية، ص ص114- 115 .

2 -ينظر : عبد الهادي بن ظافر الشهري، استراتيجيات الخطاب، مقاربة لغوية تداولية، ص 41.

3 -محمد ربيعة، علم السياق القرآني، (مفهوم السياق عند العلماء)، مقال الكتروني، موقع ملتقى أهل التفسير.

الحاجة إلى المعرفة بتاريخ الإسلام في تلك الحقبة المبكرة خاصة مكة والمدينة.ثم عدم إغفال العوامل غير اللفظية التي أسهمت في توجيه هذا الحدث الخطابي[1].

وبعد ذكرنا لبعض الظروف المحيطة بخطب السقيفة سنحاول شرحها والنظر إليها من جوانب مهمة لا يمكن تجاهلها ومنها:

أن زمن الحدث الخطابي بنحو ساعة من وفاة النبي فقط قد يثير تساؤلات طرحت بالفعل من قبيل لم العجلة والنبي صلوات الله عليه لم يدفن بعد، ربما كان الجواب أن الحكمة في الإسراع حتى لا تأتي الصلاة القادمة والناس متفرقون غير مجتمعين على إمام واحد يوحدهم في الصلاة، والغرض قطع الطريق أمام أي محاولة من خصوم الإسلام في الداخل أو الخارج لإحداث الفرقة والشقاق بين المسلمين ولصد أي هجوم محتمل من الأعداء المتربصين .

أما إسراع الأنصار لتحديد خليفة من بينهم رغبة في الاستئثار بالخلافة فلأنهم يرون أنهم الأنسب والأجدر والأحق بها، كيف ولا وهم المناصرون وعاصمة الخلافة موطنهم[2]، وهذا يعني أن الصحابة كان لهم وعي كبير بإقامة الدولة والدين معا، إذ لا يتصور إقامة دين لله دون دولة تقوم بهذه المهمة فهم أفضل من يعلم

1 -ينظر : عماد عبد اللطيف، تحليل الخطاب السياسي،(نموذج ارشادي)، مقال في كتاب بلاغة النص التراثي (مقاربات بلاغية حجاجية)، إشراف : محمد مشبال، دار العين للنشر، ط1، 2013، ص ص 25-28 .

2- ينظر:راغب السرجاني، أبو بكر الصديق ويوم السقيفة .مقال إلكتروني،موقع قصة الإسلام.

ويفهم طبيعة الإسلام وأنه دين ودولة[1]، أما دلالة مكان اجتماعهم في سقيفة بني ساعدة فهو مقر اجتماع الخزرج ومجاور لدار سعد بن عبادة الذي ارتضوه خليفة للمسلمين وهو ما يبين نيتهم في أن يتم هذا الأمر بينهم فقط دون إشراك المهاجرين. وإلا لكان اجتماعهم في المسجد أو في مكان عام يجمع جميع الناس,وهذا ما تدعمه رواية الطبري في أن أبا بكر وعمر وأبا عبيدة مضوا مسرعين إلى السقيفة فلقيهم عاصم بن عدي وعويم بن ساعدة فقالا لهم : ارجعوا فإنه لا يكون ما تريدون، فقالوا: لا نفعل, فجاؤوا وهم مجتمعون[2], ولكي نفهم بيان هذا الحدث لابد لنا من معرفة الروايات التي ذكرت الواقعة وما وجه الاختلاف فيها وهل يؤثر على فهم الخطاب؟ من هذه الروايات ما ركزت على الفاعلين المشاركين في ساحة السقيفة وتعاملت مع الأحداث بوصفها محاولة لتأسيس شورى إسلامية لتداول السلطة يتم فيها التفاوض السياسي ودفع الحجة بالحجة بغية الوصول إلى حل يضمن للدولة الإسلامية وحدتها واستمراريتها.

ومنها ما تراوح بين مشهد السقيفة وما كان يحدث في بيت النبي صلى الله عليه وسلم هذه الفترة التي انشغل فيها علي بن أبي طالب وعمه العباس بتجهيز رسول الله صلى عليه وسلم ولم يشاركا في أحداث السقيفة مما أنتج عن هذه الرواية

1- ينظر لحاكم المطيري، الحرية أو الطوفان، دراسة تاريخية لمراحل الخطاب السياسي الإسلامي، دار النشر غير مذكورة، ط 2، ص14 .

2- ينظر:أبو جعفر محمد بن جرير الطبري، تاريخ الطبري، ج3، ص219.

فهما مختلفا للأحداث عن الرواية الأولى[1], وهذا إن دل على شيء فإنما يبين الأهمية البالغة لفهم شروط إنتاج الخطاب .

وزيادة على ما ذكرنا فإن فهم حادث السقيفة يحتاج إلى معرفة تاريخ صدر الإسلام في المناطق المرتبطة بهذا الحدث ونقصد بها مكة موطن المهاجرين والمدينة معقل الأنصار فثمة إشارات نصية لا يمكن الإحاطة الكافية بها دون معرفة جيدة بهذه الفترة التاريخية كالإشارة إلى معاناة المهاجرين في مكة قبل الهجرة، والحالة التي كانوا عليها عند قدومهم إلى المدينة، ثم ما قدمه لهم الأنصار من صنيع قلما نجد مثله في التاريخ، إضافة إلى العلم بعادات العرب وتقاليدها في نقل السلطة،لأن بعض الحجج التي احتج بها أبو بكر وعمر على أحقية المهاجرين بتولي هذا الأمر تستند إلى هذه التقاليد والعادات القبلية.[2]

ولفهم الخطاب وإدراك مغزاه علينا ألا نكتفي بالعناصر اللفظية والعلاماتية بل يجب الاهتمام بالعوامل غير اللفظية في توجيه هذا الحدث الخطابي الهام مثل الصراع بين الأوس والخزرج الذي ساهم في إسراع الأوس لمبايعة أبي بكر علما أن سعد بن عيادة خزرجي، ثم الاستعراض الحشدي لقبيلة "أسلم" التي امتلأت بها

1- ينظر: عماد عبد اللطيف، إطار مقترح لتحليل الخطاب التراثي تطبيقا على خطب حادثة السقيفة، مجلة الخطاب، منشورات مخبر تحليل الخطاب، جامعة تيزي وزو، عدد 14، ص 197 .

2- ينظر : المرجع نفسه، الصفحة نفسها.

الطرقات تأييدا لأبي بكر، والحالة الصحية لسعد بن عبادة الأنصاري التي تجعل أمر الخلافة شاقا عليه[1].

ومن عناصر السياق التي لا مندوحة عنها لفهم المدونة الخطابية المرسل والمرسل إليه والقصد, ولذلك يرى د."ليتش": «أن في المنهج التداولي حلا لفهم النص من وجه نظر كل من المرسل والمرسل إليه، فالمرسل يبحث عن أفضل طريقة لينتج خطابا يؤثر به في المرسل إليه، كما أن المرسل إليه يبحث عن أفضل كيفية للوصول إلى مقاصد المرسل كما يريدها عند إنتاج خطابه لحظة التلفظ وهذه الإجراءات لا تتبلور عبر منظومة خوارزمية تجريدية كما هو الحال في النحو، بل عبر تقدير ذهني عام، ومحتمل وفقا لعناصر السياق»[2]

المرسل: «يرى أرسطو أن الخطيب الذي تتوفر في الفضيلة والفطنة والتلطف للسامعين يوحي بالثقة إلى ما يسمعونه »[3], فالمرسل هو الذات المحورية في إنتاج الخطاب فهو يتلفظ به ليعبر عن مقاصد معينة معتمدا على استراتيجية خطابية تمتد من مرحلة تحليل السباق ذهنيا والاستعداد له، لما في ذلك اختيار العلامة اللغوية الملائمة وتوظيف كفاءته للنجاح في نقل أفكاره بتنوعات مناسبة ما يضمن تحقيق منفعته الذاتية، كما أن أهلية المرسل هي التي يرتكز عليها الإنجاز الفعلي للغة

1- ينظر : عماد عبد اللطيف، إطار مقترح لتحليل الخطاب التراثي تطبيقا على خطب حادثة السقيفة، ص 194.

2- عبد الهادي بن ظافر الشهري، إستراتيجيات الخطاب، ص24.

3- محمد العمري، في بلاغة الخطاب الإقناعي، ص31.

كالموقع الوظيفي, وحصول الإرادة للتلفظ بالخطاب في السياق المناسب، لأن إرادة المرسل تظل ركنا أساسيا في تداوليته[1].

ولمعرفة من المرسل في هذا الحدث الخطابي-الذي هو سلسلة مكونة من ستة خطب- كان علينا أن نعرف بهؤلاء الخطباء جميعا.

1-**الخطيب الأول**: سعد بن عبادة الخزرجي الأنصاري، يكنى أبا ثابت كان سيدا جوادا وهو صاحب راية الأنصار في المشاهد كلها فقد كان وجيها قي الأنصار ذا رياسة وسيادة، لما توفي النبي صلى الله عليه وسلم اجتمع الأنصار في سقيفة بني ساعدة ليبايعوه خليفة للمسلمين .توفي بالشام رضي الله عنه[2] .

2-**الخطيب الثاني**: أبو بكر الصديق القرشي المهاجري واسمه عبد الله بن أبي قحافة ولقبه "عتيق"(جميل الوجه) أعلم قريش بأنسابها،أول من آمن من الرجال، قالت عنه عائشة "ما أسلم أبو أحد من المهاجرين إلا أبو بكر" صاحب رسول الله وأحب الرجال إليه يعتبر من أخطب خطباء الصحابة مع علي بن أبي طالب رضي الله عنهما وكانت خلافته سنتين ومائة يوم .توفي وله ثلاث وستون سنة[3] .

1-ينظر: عبد الهادي بن ظافر الشهري، إستراتيجيات الخطاب، ص ص 45- 46- 47.

2- ينظر: إبن الأثير عز الدين بن محمد الجزري، أسد الغابة في معرفة الصحابة، دار ابن بيروت، ط1، 2012، ص ص468- 469.

3-ينظر: شمس الدين الذهبي، سير أعلام النبلاء سير الحلفاء الراشدون تح: بشار عواد معروف، مؤسسة الرسالة الرسالة، بيروت ط1، 1996.

الخطيب الثالث: الحباب بن المنذر بن الجموح الأنصاري الخزرجي، وكنيته أبو عمر وقيل أبو عمرو يقال له ذو الرأي، وهو صاحب رأي مشهور يوم بدر لما أشار على رسول الله صلى الله عليه وسلم بأن يغير مكان الجيش واستجاب النبي لمشورته، شهد المشاهد كلها مع النبي وهو القائل يوم السقيفة : "منا أمير ومنهم أمير"، توفي في خلافة عمر بن الخطاب رضي الله عنهما [1] .

الخطيب الرابع: عمر بن الخطاب القرشي المهاجري الملقب بالفاروق، أسلم في السنة السادسة من النبوة وله سبع وعشرون سنة، سأل النبي صلى الله عليه وسلم الله أن يعز الإسلام به، وقال عنه ابن مسعود : "ما زلنا أعزة منذ أسلم عمر"، يعد وزيرا للنبي صلى الله عليه وسلم مع أبي بكر، يفرق منه الشيطان ويهرب، يقول عنه النبي أن الله وضع الحق على لسانه وقلبه، استشهد رضي الله عنه في أواخر ذي الحجة سنة ثلاث وعشرين للهجرة[2].

الخطيب الخامس: أبو عبيدة بن الجراح القرشي المهاجري، شهد بدرا وسائر المشاهد مع رسول الله صلى الله عليه وسلم كان ممن هاجر إلى الحبشة، توفي في الطاعون سنة ثماني عشرة هجرية من المبشرين بالجنة [3]، حضر السقيفة ولم يلق خطبة، لكنه نطق بكلمة مؤثرة هزت الحاضرين .

1 -ينظر : ابن الأثير، أسد الغابة في معرفة الصحابة، ص ص 241-242.

2 -ينظر : شمس الدين الذهبي، سير أعلام النبلاء، ص 71 وما بعدها .

3 -ينظر : ابن الأثير، أسد الغابة في معرفة الصحابة، ص 1362.

الخطيب السادس:بشير بن سعد بن ثعلبة الأنصاري الخزرجي، وكنيته أبو النعمان، شهد العقبة الثانية وبدرا وأحدا والمشاهد بعدها، يقال أنه أول من بايع أبي بكر الصديق رضي الله عنهما من الأنصار يوم السقيفة، استشهد سنة اثنتي عشرة للهجرة [1].

وإذا ما نظرنا إلى أدوار المتكلمين فإننا نجد أن أبا بكر وعمر يتحدثان بلسان جماعة المهاجرين وأحقيتهم بالخلافة، أما في حالة سعد بن عبادة فلأنه كان طريح الفراش فإن متكلما آخر غيره كان ينقل كلامه وهو يتحدث بلسان الأنصار مع الحباب بن المنذر لصالح أحقية الأنصار في الحكم [2].

المرسل إليه: هو الطرف الآخر الذي يوجه إليه المرسل خطابه بالقصد، وقد نظر أرسطو في حديثه عن عناصر بناء الخطاب إلى الخطيب (المرسل) والمستمع (المرسل إليه) والخطبة (الرسالة)، وقد خصص للمرسل إليه الكتاب الثاني، كتاب الجمهور الذي عالج فيه عددا من الأهواء والانفعالات وكذا بعض البراهين بحسب تلقيها [3]. وبناء الخطاب وتداوله عند البلاغيين العرب مرهون بمعرفة حال المرسل إليه أو

1 -ينظر: ابن الأثير، أسد الغابة في معرفة الصحابة، ص 121.

2 -ينظر: عماد عبد اللطيف، إطار مقترح لتحليل الخطاب التراثي، مجلة الخطاب، العدد 14، ص 198.

3 -ينظر: محمد العمري، في بلاغة الخطاب الاقناعي، ص 22.

بافتراض ذلك الحال، إذ العناية في المقام المسبق موجهة إلى المرسل إليه، وهذا ما يدل عل أنه حاضر في ذهن المرسل عند إنتاج الخطاب [1].

ففي هذه المدونة نجد أن المتكلمين من المهاجرين وجهوا خطابهم إلى الأنصار كما في قول أبي بكر : "يا معشر الأنصار"، وفي رواية أخرى وجه خطابه إلى الناس عامة والى الأنصار خاصة، فهم الخصوم في الرياسة والخلافة، وفي خطبة عمر بن الخطاب كان خطابه موجها إلى الأنصار خاصة كما في قوله:"لا ترضى العرب أن يؤمروكم، ونبيها من غيركم "، وكذلك الأمر عند أبي عبيدة بن الجراح في قولته الوجيزة المركزة التي استهلها ب : " يا معشر الأنصار " وهي الصيغة التي استخدمها من جانب الأنصار سعد بن عبادة والحباب بن المنذر وبشير بن سعد في مخاطبة الحاضرين [2].

الموضوع : الحاجة إلى تحديد الموضوع الرئيس والموضوعات الفرعية التي يتناولها الحدث الخطابي المدروس كبيرة, فما الانشغال العام المهيمن على هذه السلسلة الخطابية، وكيف كان الانتقال بين الموضوع الرئيسي والمعاني الفرعية داخل الخطبة، وما طبيعة الموضوعات المسكوت عنها وعلة هذا السكوت .

تعد خطب السقيفة ذات موضوع واحد وهو احتجاج طرفين متخاصمين لأحقية كل منهما بتولي السلطة، وقد اتبعوا طريق التفاوض السياسي عبر الخطابة

1 -ينظر : عبد الهادي بن ظافر الشهري، استراتيجيات الخطاب، ص ص 47، 48.

2 -ينظر:عماد عبد اللطيف، إطار مقترح لتحليل الخطاب التراثي، مجلة الخطاب، العدد 14، ص ص 198، 199.

ولم يتعمقوا في ماهية السلطة التي يتنازعونها ولم يشر أي من الطرفين إلى أحقية أطراف أخرى في هذا الأمر، وينطوي السكوت عن هذه المواضيع تضمينات متنوعة، لعل أهمها هو إدراك المتحاجين لأهليتهما وكفايتهما لحسم النزاع على السلطة كل لصالح نفسه أو الطرف الذي يمثله [1].

-دراسة أغراض الخطاب وآثاره والاستجابات المرتبطة به :

أ.**القصد** : هو أحد المقومات الأساسية للخطاب باعتبار أن لكل منتج خطاب غاية يسعى إلى بلوغها أو نية يريد تجسيدها .

ويستمد مفهوم القصد شرعية وجوده في الدراسات اللسانية القديمة والحديثة من أن كل فعل كلامي يفترض منه وجود نية التوصيل والإبلاغ [2]، وقد ارتبط القصد بالمتكلم في الدرس البلاغي والدرس العربي عموما إذ يقول القاضي عبد الجبار: " أن المكلم لغيره إنما يحصل مكلما له بأن يقصده بالكلام دون غيره وهم لا يختلفون عن النحاة ففائدة الكلام مرتبطة بالقصد وقد أشار "تشوسكي" إلى هذه الفكرة حين انتقد البنيويين وأكد الاعتداد بالمتكلم في دارسة اللغة ، لأنه وحده الذي يملك تحديد الأدلة ، وللقصد عموما مفهوم تداولى يرتبط أساسا باستعمال اللغة [3] فمن أسباب ودواعي توسع الدراسات التداولية هو سعيها أن لا

1 -ينظر : عماد عبد اللطيف، إطار مقترح لتحليل الخطاب التراثي، ص202.

2 ينظر: محمد الأخضر الصبيحى، مدخل إلى علم النص ، ص 96 .

3 ينظر: خليفة بوجادي في اللسانيات التداولية، ص ص 167- 168.

يكون المعنى الحرفي للغة هو معنى الخطاب الوحيد[1]. ولعل من أحسن التعريفات اللغة التي ربطتها بالاستخدام والأداة الفعلى لها من المتكلمين المبنى على إرادتهم ، هو قول ابن خلدون [2] « اعلم أن اللغة في المتعارف عليه هي عبارة المتكلم عن مقصوده وتلك العبارة فعلى لساني ناشئ عن القصد بإفادة الكلام » [3] ويجب على دارس الخطاب أن لا يكتفى بالبحث في مقصد المتكلم والأغراض التي يسعى إلى تحقيقها وإغفال تفاعله مع المخاطب ، فوراء كل تلق هناك أغراض يسعى المخاطب إلى تحقيقها بتفاعله مع المتكلم .

وفي هذا الحدث الخطابي الدائرة أحداثه في سقيفة بنى ساعده يمكن القول أن هناك متكلمان رئيسان من جانب الأنصار هما سعد بن عبادة والحباب بن منذر, ومتكلمان رئيسيان في جانب المهاجرين هما: أبو بكر الصديق وعمر بن الخطاب، ويشكلان فريقين ذوي أغراض ومقاصد متعارضة فالتفاوض على السلطة بهدف الاستحواذ عليها وإنهاء النزاع المشتبك بشأنها، يبدو هو المقصد للفاعلين الأساسيين في هذا الحدث الخطابي [4].

ب.دراسة الأثر الخطابي والاستجابات المرتبطة به :

1 ينظر: عبد الهادي بن ظافر الشهري، استراتيجيات الخطاب، ص 78 .

2 ينظر: خليفة بوجادي، في الليسانيات التداولية، ص 170 .

3 -المرجع نفسه، ص 170.

4 -ينظر: عماد عبد اللطيف، إطار مقترح لتحليل الخطاب التراثي، مجلة الخطاب، العدد ، 14 ص 208 وما بعدها.

تعد دراسة الأثر الخطابي مكونا جوهريا من مكونات تحليل الخطاب يتمثل في النتائج المادية والخطابية للخطبة وتتضمن استجابة الجمهور والتغيرات في القيم والاتجاهات والسلوكيات التي تسببها الخطبة والتغيرات المادية على أرض الواقع وفي إطار ذلك تدرس قائمة من الاستجابات الخطابية مثل المقاطعة والتشويش الذي صاحب الخطب وإعادة نفس الخطاب حرفيا أو بصيغ مختلفة أو إنتاج خطاب مضاد، وكل هذا حدث في خطاب السقيفة. والاستجابات غير الخطابية مثل إقدام المخاطبين على مبايعة أبي بكر ، وتغيير ولاءاتهم الأولية في نفس الحدث . فإقدام بشير بن سعد الخزرجي الأنصاري على مبايعة أبي بكر فور اقتراح عمر مبايعته ، لا يمكن رده إلى الكفاءة الإقناعية للخطيب فقط لأنه لا يمكن أن نغفل علاقة التنافس بين بشير وسعد بن عبادة وهما أبناء عمومة، وهو ما جعل الحباب بن المنذر يعاتب سعدا[1].

والأمر نفسه يصدق على الأوس نظرا لما كان بينهم وبين الخزرج من عداوة في الجاهلية وهذا ما جعلهم يسرعون إلى مبايعة أبي بكر الذي أفلح في استدعاء هذا التاريخ محاولة لتفتيت جبهتهم حيث أوضح لهم أن هذا الأمر إن تطاولت له الأوس لم تقصر عنه الخزرج، وقد كان بين الحيين قتلى لا تنسى وجرحى لا تداوى.[2] وهذا ما جعل بعضهم يقول « والله لئن وليتها الخزرج عليكم مرة لا زالت

1 – ينظر: عماد عبد اللطيف، إطار مقترح لتحليل الخطاب التراثي، ص 210. وأبو جعفر محمد بن جرير الطبري، تاريخ الطبري،ج 3، ص 221.

2 – ينظر: عماد عبد اللطيف، إطار مقترح لتحليل الخطاب التراثي، ص 210.

لهم عليكم بذلك فضيلة، ولا جعلوا لكم معهم فيها نصيبا ابدأ فقوموا فبايعوا أبي يكر، فقاموا إليه فبايعوه »[1]. فدراسة آثار الكلام وما يحدث من تغيرات في الواقع أمر شديد الأهمية لفهم ما يتعلق بالخطاب وما يصاحبه وينتج عنه .

3-وضعيات المتخاطبين وتبادل أدوار الكلام:

تتميز الخطابة بالطابع التواصلي والتفاعلي خاصة في هذا الحدث الخطابي الذي تميز بالتفاوض والحوار بين الخصمين الأساسيين الأنصار والمهاجرين ما يسمح ببروز دائرة للتخاطب تتشكل من مجموعة من الوضعيات المتعلقة بالمخاطبين والتي تسمح بتبادل الكلام وفاعليته مع تغيير تلك الوضعيات الخطابية [2]. ولقد نقلت إلينا الروايات التاريخية صورا شبه حية لخطب السقيفة وهو ما يتيح لنا دراسة ظواهر مهمة في تحليل الخطاب مثل طرق افتتاح الكلام وتبادله بين المتكلمين والمقاطعة والصمت واستراتيجيات إنهاء الكلام وغيرها، لقد أظهرت بعض الروايات أن الطرفين المتنازعين على السلطة كانا يتبادلان ادوار الكلام دون اللجوء إلى المقاطعة والتشويش المتعمد أو الإكراه على الصمت فحين توقف أبو بكر عن الكلام بدأ الحباب في الدفاع عن وجهة نظره المضادة، ثم شرع عمر في تفنيد مقالة الحباب، فرد الحباب بدوره مفندا رأي عمر، وهكذا استمرت نفس آلية تبادل الكلام مع ابي

1- المرجع نفسه، و وأبو جعفر محمد بن جرير الطبري، تاريخ الطبري، ج 3، ص 221.

2 -ينظر : عائشة قدوري، بلاغة الخطابة وآلياتها التداولية، الخطابة القضائية أنموذجا، رسالة ماجستير، جامعة وهران، 2013، ص 96.

عبيدة وبشير بن سعد . إن هذه الأريحية في تداول أخذ الدور في الكلام – كما تعكسها هذه الرواية – تعكس الطابع التفاوضي السلمى لهذا الحدث الخطابي، وقد أوجد الأنصار مساحة للتفاوض منذ البداية في قولهم من قبل وصول ابي بكر وعمر وابي عبيدة، فقد انتهوا إلى إمكانية قبول التشارك في الحكم (منا أمير ومنهم أمير)، وقد أدرك سعد بن عبادة أن هذه البداية غير حاسمة فبدل الإصرار على موقفهم القاضي بالاستئثار بالسلطة، هاهم يقبلون التفاوض عليها ومشاركتها [1] قائلا: "هذا أول الوهن"، ويبدو أن هذا الوهن مرتبط أساسا بالوهن الجسدي الذي يشكو منه كما نفهم من قوله مخاطبا عمر بن الخطاب بعد أن رأى الأنصار يبايعون أبا بكر الصديق :« أما والله لو أن بي قوة على النهوض لسمعت مني في أقطارها وسككها زئيرا يجحرك وأصحابك »[2].

ويمكن أن نلاحظ في تبادل أدوار الكلام ما جرى بين عمر وأبي بكر حيث أن عمرا أراد أن يكون البادئ في الكلام لكن أبا بكر طلب منه التريث حتى يكون هو أول من يخاطب القوم، والاثنان على موقف واحد لكن أبا بكر يختلف عن عمر في أنه صاحب رفق ولين، بينما عمر معروف عنه الشدة والغلظة، فلما فرغ أبو بكر ثم خطب الحباب بن المنذر بخطاب صارم حاد رافضا التنازل تصدى له

1 -ينظر:عماد عبد اللطيف، إطار مقترح لتحليل الخطاب التراثي، ص ص 200- 201 .

2 - المرجع نفسه، ص 200.

عمر بخطاب يماثله صرامة وحدة ، وحينما بدا الأفق مسدودا في الوصول إلى حل وازداد تأزما، تدخل أبو عبيدة بن الجراح ليعيد توجيه الكلام نحو مسار التفاوض[1].

4-الأفعال الكلامية في خطب حادثة السقيفة :

لقد أحدثت اللسانيات التداولية نقلة نوعية حيث تجاوزت في دراسة الانتاج اللغوي البنية الصوتية والنحوية والدلالية الى البحث في الآثار الاجتماعية والإنجازية للغة ، فأصبحت اللغة في ظل هذا التحول فضاء للإنجاز والممارسة والفعل حيث الأمر والاستفهام والنهي وغيرها ما يمثل انجازات لغوية . ومنه فنظرية أفعال اللغة تعد دراسة نسقية للعلاقة بين العلامات ومؤوليها . وقد كان أوستين "Austin" قد طرح هذه الفكرة في كتابه :"كيف ننجز الأشياء بالكلمات "، ثم طورها اكثر العلماء الذين جاؤوا من بعده مثل "سيرل Searle" و"ديكرو Ducrot" و"بروندونر Berrendonner" و"غرايس Grice" وغيرهم .

وقد بين "أوستين" أن كل قول يعبر عن عمل ، فأقر الطبيعة الإنجازية للعبارات اللغوية، فعندما ننطق أفعالا معينة، فإننا نقوم بأفعال كلامية وهي في حقيقتها أفعال لغوية ذات صيغة اجتماعية معينة تتحدد بالسياق الذي ترد فيه، فحينما يقول الزوج لزوجته في عقد القران "قبلتك زوجة لي" فإنه يكون قد أنجز فعلا اجتماعيا وعقد الزواج مع زوجته .[2]

1- ينظر: عماد عبد اللطيف، إطار مقترح لتحليل الخطاب التراثي، ص 201.

2-ينظر: عبد الحليم بن عيسى، المرجعية اللغوية في النظرية التداولية، ص 12 .

وفي هذا القسم من الدراسة التطبيقية سأحاول أن أوظف الأفعال الكلامية بعدها أهم مستويات التحليل التداولي في قراءة خطب السقيفة متبعا ترتيب الخطب حسب الإلقاء سعيا مني إلى الإجابة عن بعض التساؤلات من قبيل : إلى أي مدى يمكن أن ننجح في فهم مقاصد وأغراض المشاركين في هذا الحدث الخطابي من خلال تطبيق نظرية أفعال الكلام حسب تصنيف "سيرل " Searle .

أفعال الكلام حسب تصنيف "سيرل"

أ-الفعل الإخباري في خطب السقيفة :

الإخباريات ASSERTIVES: وغرضها الإنجازي وصف المتكلم واقعة معينة من خلال قضية وهي أفعال تحتمل الصدق والكذب ، واتجاه المطابقة فيها من الكلمات إلى العالم وشرط الإخلاص فيها يتمثل في النقل الأمين للواقعة والتعبير الصادق عنها [1] .

الخطبة	الملفوظ	الفعل الإخباري	الغرض التداولي
خطبة سعد بن عبادة	فما آمن من قومه إلا رجال قليل	ما آمن	الإنكار
	وما كانوا يقدرون على أن يمنعوا رسول الله	ما كانوا	التقرير:بيان ضعف أتباع النبي قبل الهجرة

1- -ينظر : محمود نخلة، آفاق جديدة في البحث اللغوي المعاصر، ص 49.

	ولا أن يعزوا دينه	ولا أن يعزوا	الغرض ذاته
	ولا أن يدفعوا عن أنفسهم ضيما	ولا أن يدفعوا	الغرض ذاته
	ساق إليكم الكرامة	ساق	مدح الأنصار بأن الله خصهم بنصرة النبي
	وخصكم بالنعمة	خصكم	المدح، الغرض ذاته
	فرزقكم الإيمان	رزقكم	المدح، الغرض ذاته
	استقامت العرب لأمر الله	استقامت	الكفاءة الختامية:وهي نشر الإسلام
	ودانت بأسيافكم له العرب	دانت	الغرض ذاته
	توفاه الله	توفاه	التقرير للحقيقة الثابتة وهي وفاة النبي
	وهو عنكم راضٍ	راضٍ	المدح ويقصد به الزيادة في مؤهلات الأنصار للخلافة من خلال رضا النبي عنهم
الخطبة	**الملفوظ**	**الفعل الإخباري**	**الغرض التداولي**
خطبة أبي بكر الصديق (رواية)	فعظم على العرب أن يتركوا دين أبائهم	عظم – أن يتركوا	الإنكار
	فخص الله المهاجرين	خص	المدح وغرضه بيان أهليه

	...بتصديقه		المهاجرين للأمر
	يستوحشوا لقلة عددهم وشنف الناس لهم	يستوحشوا	المدح و الثناء
	و إجماع قومهم عليهم	شنف – إجماع	الإنكار فهو يستنكر كره قومهم للمهاجرين الأولين
	هم أول من عبد الله في الأرض وآمن بالله ورسوله	عبد–آمن	المدح و الثناء وغرضه بيان حقيقتهم وأهليتهم للخلافة
	ولا ينازعهم ذلك إلا ظالم	لا ينازعهم	الإنكار
	لا ينكر فضلهم	لا ينكر	المدح إشادة بفضل الأنصار
	رضيكم الله أنصار لدينه	رضيكم	إعلاء شان الأنصار وبيان مكانته
	جعل إليكم هجرته	جعل	الغرض ذاته
	لا تقضى دونكم الأمور	لا تقضى	إعلاء شان الأنصار و الوعد باستشارتهم

الخطبة	الملفوظ	الفعل الإخباري	الغرض التداولي
خطبة الحباب بن المنذر 1	ولن يجترئ مجترئ على خلافكم	لن يجترئ	غرضه التحدي فلن يقبل الأنصار بغير الخلافة

	و لن يصدر الناس إلا عن رأيكم	لن يصدر	غرضه التشجيع على المضي قدما في طلب الخلافة
	إنما ينظر الناس إلى ما تصنعون	ينظر، تصنعون	غرضها الإشادة بصنيع الأنصار مع رسول الله والمهاجرين والإسلام عامة
	فمنا أمير ومنهم أمير	نقول (فعل مقدر	غرضه الوصول إلى حل وسط يرضى الطرفين

الخطبة	الملفوظ	الفعل الإخباري	الغرض التداولي
خطبة عمر بن الخطاب	هيهات لا يجتمع اثنان في قرن	هيهات – لا يجتمع	وغرضهما الإنكار
	والله لا ترضى العرب أن يؤمروكم	لا ترضى، أن يؤمروكم	وغرضه بيان عدم أحقية الأنصار للخلافة

	لكن العرب لا تمتنع أن تولي أمرها من كانت النبوة فيهم ولنا بذلك على من أبى من العرب الحجة الظاهرة	لا تمتنع، أن تولي كانت أبى	غرضه بيان أهلية المهاجرين للخلافة غرضه التقرير بالحقيقة التي تؤكد حق المهاجرين بالخلافة الإنكار فهو يستنكر أن يكون في العرب من يوافق الأنصار ويتبعهم ويرفض قريشا والمهاجرين

الخطبة	الملفوظ	الفعل الإخباري	الغرض التداولي
خطبة الحباب بن المنذر 2	فيذهبو بنصيبكم	يذهبوا	وغرضه إظهار الخشية والخوف من ضياع الخلافة من أيديهم
	فان أبوا عليكم ما سألتموه	أبوا، سألتموه	الإنكار, يستنكر معارضة المهاجرين لهم
	فأنتم و الله أحق بهذا الأمر منهم	الفعل المقدر " أقول"	التأكيد على أحقية الأنصار للخلافة

الخطبة	الملفوظ	الفعل الإخباري	الغرض التداولي
خطبة عبيدة بن الجراح	إنكم أول من نصر و آزر	نصر – آزر	غرضهما المدح و الإشادة

الخطبة	الملفوظ	الفعل الإخباري	الغرض التداولي
خطبة بشير بن سعد	ما أردنا به إلا رضا ربنا	ما أردنا	غرضه التقرير بالحقيقة
	فما ينبغي لنا أن نستطيل على الناس بذلك	ما ينبغي، أن نستطيل	غرضهما التحذير من التطاول على الناس بسبب نعمة الله على الأنصار
	لا نبتغي من الدنيا عرضا	لا نبتغي	غرضه الزهد والترفع عن الدنيا
	و أيم الله يراني الله أنازعهم هذا الأمر أبدا	لا يراني – أنازعهم	التأكيد على أنه يعترف بحق المهاجرين في الخلافة و يعد ضمينا بمبايعتهم

ب-الفعل التوجيهي في خطب السقيفة :

التوجيهات DIRECTIVES: وغرضها الإنجازي في محاولة المتكلم توجيه المخاطب إلى فعل شيء معين واتجاه المطابقة فيها من العالم إلى الكلمات وشرط الإخلاص فيها يتمثل في الرغبة الصادقة [1].

الخطبة	الملفوظ	الفعل الإخباري	الغرض التداولى
خطبة سعد بن عبادة	يا معشر الأنصار استبدوا بهذا الأمر دون الناس	أنادي (النداء) استبدوا	لفت انتباه الانصار لما سيقوله التحريض على الاستئثار بالخلافة دون المهاجرين

الخطبة	الملفوظ	الفعل الإخباري	الغرض التداولى
خطبة أبي بكر الصديق (رواية الطبري)	يا معشر الأنصار	أنادي (فعل مقدر)	لفت انتباه الانصار إلى خطابه

1 ينظر محمود نحلة، آفاق جديدة في البحث اللغوي المعاصر، ص ص 49 – 50.

الخطبة	الملفوظ	الفعل الإخباري	الغرض التداولي
خطبة الحباب بن المنذر 1	يا معشر الأنصار	أنادي (فعل مقدر)	لفت انتباه الانصار إلى خطابه
	أملكوا عليكم أمركم	أملكوا	أمر غرضه الاصرار والتحريض على ثبات الرأي
	ولا تختلفوا فيفسد عليكم رأيكم	لا تختلفوا	نهي غرضه النصح والإرشاد بأن يتحدوا لأجل تحقيق الهدف (الخلافة)

الخطبة	الملفوظ	الفعل الإخباري	الغرض التداولي
خطبة عمر بن	من ذا ينازعنا سلطان محمد وإمارته	من	استفهام، غرضه النفي، أي لا أحد من العرب بإمكانه أن ينافسنا وينازعنا الإمارة والمقصود (الأنصار)

الخطبة	الملفوظ	الفعل الإخباري	الغرض التداولي
خطبة الحباب بن المنذر 2	يا معشر الأنصار	أنادي (النداء)	لفت انتباه السامعين
	أملكوا على أيديكم	أملكوا	أمر غرضه الإصرار والتحريض على البقاء في نفس الموقف
	ولا تسمعوا مقالة هذا وأصحابه	لا تسمعوا	نهي غرضه الإنكار
	فاجلوهم عن هذا البلاد	اجلوهم	أمر غرضه تهديد ووعيد
	وتولوا عليهم هذه الأمور	تولوا	أمر غرضه التهديد والوعيد والتحدي

الخطبة	الملفوظ	الفعل الإخباري	الغرض التداولي
مقولة أبي عبيدة	يا معشر الأنصار	النداء (أنادي)	لفت انتباه السامعين
	فلا تكونوا أول من بدل وغير	لا تكونوا	نهي غرضه النصح والارشاد

الخطبة	الملفوظ	الفعل الإخباري	الغرض التداولي
خطبة بشير بن سعد	يا معشر الأنصار	النداء	لفت انتباه السامعين
	فاتقوا الله	اتقوا	أمر غرضه النصح والإرشاد
	ولا تخالفوهم	لا تخالفوهم	نهي غرضه الدعوة إلى الوحدة والإقرار بأحقية المهاجرين بالخلافة
	ولا تنازعوهم	لا تنازعوهم	نهي غرضه الاعتراف بحق المهاجرين في الخلافة (التقرير)

ج-الفعل الالتزامي في خطب السقيفة :

الالتزاميات COMMISSIVES :وغرضها الإنجازي هو التزام المتكلم بفعل شيء في المستقبل واتجاه المطابقة فيما من العالم إلى الكلمات وشرط الإخلاص هو القصد[1].

الخطبة	الملفوظ	الفعل الإخباري	الغرض التداولي
بشير بن سعد	وأيم الله لا يراني الله أنازعهم	لا يراني —	وعد بمبايعة من ارتضاه
	هذا الأمر أبدا	أنازعهم	المهاجرون خليفة

1 ينظر: محمود نحلة، آفاق جديدة في البحث اللغوي المعاصر، ص 50.

5- التقنيات الحجاجية في الحدث الخطابي (خطب السقيفة):

إن الخطابة بما هي فن قولي يهدف إلى إقناع الجمهور واستمالته والتأثير فيه لا يمكن أن نتخيلها بدون حجاج بل هما وجهان لعملة واحدة، فالخطيب حينما يلقي خطبته فهو لا يهدف إلى إمتاع السامعين بل إقناعهم ولذلك تراه يتوسل إلى تحقيق هذا الهدف بتوظيف تقنيات الحجاج المختلفة.

وتعد خطب سقيفة بني ساعدة من أليق الخطب لإبراز مختلف هذه الآليات، إذا علمنا أن موضوعها التنافس على خلافة النبي صلى الله عليه وسلم ، وهو حوار بين الأنداد يسعى كل طرف فيه إلى بيان أحقيته بهذا الأمر من خلال إقناع خصمه. وسأعتمد في هذا الجزء من الدرس التطبيقي على تقنيات بيرلمان وتيتيكا الحجاجية ثم الحجاج اللغوي عند "ديكرو" و"أنسكومبر".

- تقنيات الحجاج عند "بيرلمان وتيتيكا":

الحجاج عندهما هو درس تقنيات الخطاب التي من شأنها أن تؤدي إلى استمالة المتلقين بما يعرض عليهم من القضايا أو أن تزيد في تلك الاستمالة[1]، وقد جعلا هذه التقنيات الحِجاجية على نوعين من الطرائق: طرائق الوصل أو الاتصال Procédés de liaison وطرائق الفصل أو الانفصال Procédés de dissociation، ويقصد بالأولى الطرائق التي تقرب بين العناصر المتباينة في الأصل ومحاولة توحيدها وإقامة ضربا من التضامن بينها، أما تقنيات الفصل فهي

1- ينظر: محمد العبد، "النص الحجاجي العربي"، ص 242.

التي تستخدم لإحداث القطيعة وإفساد الترابط بين عناصر تشكل في الأصل نظام فكري واحد[1].

ومن الآليات الحجاجية في هذا الحدث الخطابي نجد:

I) الطرائق الاتصالية:

1. الحجج شبه المنطقية: التي تعتمد البنى المنطقية ومن أنواعها:

أ) **التناقض وعدم الاتفاق Incompatibilité**: التناقض Contradiction يحدث داخل النظام الواحد في نطاق مشكلتين إحداهما نفي للأخرى نحو: "المطر ينزل ولا ينزل"، أما التعارض أو عدم الاتفاق فيحدث في علاقة الملفوظات بالمقام مثل: موقف من يمنع قتل الكائن الحي، لكنه يوافق في علاج المرضى باستخدام البينيسيلين Pénicilline، الذي يقضي على الجراثيم وهي كائنات حية؛ فعلى الخطيب في هذه الحالة تحرّي عدم الوقوع في مأزق التعارض بين المقال والمقام[2].

وفي هذا الحدث الخطابي نجد التناقض الذي أوجده أبو عبيدة بن الجراح في قوله: «يا معشر الأنصار: إنكم أول من نصر وآزر، فلا تكونوا أول من بدّل وغيّر»[3]. فحسب رأي أبي عبيدة أن ما قام به الأنصار تبديل وتغيير لا يرضي

1- ينظر: عبد الله صولة، "الحجاج أطره ومنطلقاته وتقنياته من خلال مصنف في الحجاج (الخطابة الجديدة) لبيرلمان وتيتيكا"، ص 324.

2- ينظر: عبد الله صولة، ص ص 325- 326.

3- أحمد زكي صفوت، "جمهرة خطب العرب"، ج1، ص 65.

رسول الله والمسلمين، فالتناقض نشأ من كونهم أول من ساند الإسلام وهم أول من أراد أن يبدل فيه، بل إن هذا التناقض الذي أوجده أبي عبيدة في خصومه الأنصار قد كان الفيصل في تغيير مجرى الحوار من الحِدَّة والجِدال إلى الإذعان والتسليم، عبارة موجزة غيّرت رأي الأنصار من اليسار إلى اليمين وهذه قوة الحجاج التي تتمثل في إماطة اللثام عن التعارض في أطروحات الخصم.

وفي خطبة أبي بكر الصديق نتأمل قوله: «وهم يعبدون من دونه آلهة شتى، ويزعمون أنها لهم عنده شافعة ولهم نافعة، وإنما هي من حجرٍ منحوت وخشب منجور»[1]. فيتبين لنا أن هناك تناقض وتعارض، فأما التناقض فيتجلى في اعترافهم بوجود الله وضرورة عبادته ومع ذلك يعبدون آلهة شتى لتقربهم إليه هو أصلاً لم يأمرهم بهذا، وأما التعارض فيتضح في أن هذه الآلهة التي يعبدون ويقدسون ويقدمون لها أغلى القرابين إنما صنعوها بأيديهم من مواد تتعرض للتآكل وعوادي الزمن المختلفة من حجر منحوت وخشب منجور، فقد كان الصديق ذكيا بحيث أماط اللثام عن التعارض في أطروحة قريش، والسؤال المطروح: كيف يخدم ما أتى به أبو بكر القضية الرئيسية وهي النزاع حول من هو أحق بالخلافة بين المهاجرين والأنصار؟ نقول: إن التعارض والتناقض الذي أظهره الصدّيق في عبادة قريش يبين أنه رغم إصرار قريش على رفض الدين الجديد وتشبثهم بما كان يعبد آباؤهم إلا أن المهاجرين يظلون هم السابقون في الإيمان والإسلام حيث تحدّوا جميع الصعوبات والعراقيل وشتى أنواع التعذيب فاستحقوا القُرب من الله عزّ وجل. وهذا الحديث

1- أحمد زكي صفوت، "جمهرة خطب العرب"، ج1، ص 62.

يدخل في سياق المقارنة بين فضل المهاجرين وفضل الأنصار في الإسلام . ولننتقل إلى خطبة عمر بن الخطاب في قوله: «والله لا ترضى العرب أن يؤمروكم ونبيها من غيركم»[1]. فعدم الاتفاق والتعارض يظهر في أن الأنصار تطلب الخلافة والإمارة ولكن من سيخلفونه وهو النبي محمد صلى الله عليه وسلم ليس منهم، وفي نفس الخطبة نجد قوله: «هيهات لا يجتمع اثنان في قرن»[2]. ردّاً على قول الحباب بن المنذر: «فمنا أمير ومنهم أمير»[3].

فالخطيب أظهر التناقض في أطروحة خصمه بحيث لا يمكن أن تكون الإمارة برأسين وإلا فتلك بداية النهاية. فالملاحظ إذن في كل هذه الأمثلة هو سعي الخطيب لإضعاف أطروحة خصمه عن طريق الكشف عن ما فيها من تناقض وعدم اتفاق.

ب) التماثل والحد في الحجاج: ويقوم من حيث هو تعبير عن التماثل بين المعَرَّف والمعَرِّف وليس المعَرَّف تمام المعَرِّف على الحقيقة كقولنا: المرأة هي المرأة أو لرجل هو الرجل فهذه الصيغ من قبيل تحصيل الحاصل ولا يمكن أن تكون لها دلالتها الحجاجية إلا في مقام بعينه، فهذا المقام هو الذي يعطي لهذه العبارات دلالتها المخصوصة [4].

1- أحمد زكي صفوت، "جمهرة خطب العرب"، ج1، ص 64.

2- المرجع نفسه، الصفحة نفسها.

3- نفسه.

4- ينظر: عبد الله صولة، "الحجاج أطره ومنطلقاته وتقنياته"، ص ص 327- 328.

وفي خطبة أبي بكر الصديق نجد الخطيب يختتم خطبته قائلا: «فنحن الأمراء، وأنتم الوزراء»[1]؛ أي المهاجرون هم المهاجرون والأنصار هم الأنصار ولا داعي لأن يفكر أي طرف بأن يغير الواقع ويعقد الأمور بتغليب الأهواء والمطامح على العقل.

2. **الحجج شبه المنطقية**: التي تعتمد العلاقات الرياضية، ومنها:

– **تقسيم الكل إلى أجزائه المكونة له**: وهو تصور الكل على أنه مجمل أجزائه، تبنى عليه طائفة من الحجج يمكن تسميتها حجج التقسيم أو التوزيع كقولنا: الكلام: اسم وفعل وحرف. والغاية الأساسية منها حسب "بيرلمان" البرهنة على وجود المجموع ومن ثم تقوية الحضور، بمعنى إشعار الغير بوجود الشيء موضوع التقسيم من خلال التصريح بوجود أجزائه[2]، ومثال ذلك في خطبة سعد بن عبادة نجده يذكر المجموع أو الكل لتقوية الحضور في ذهن السامع عن طريق التقسيم والتصريح بوجود أجزائه وقد تمثل المجموع في وصف الأنصار بأنهم أصحاب فضيلة: «حتى إذا أراد بكم الفضيلة»[3].

ولما أحسّ بأنه قد يكون هناك من يرى رأياً آخر، أردف تقسيم الفضيلة إلى أجزاء، وهي: «فرزقكم الله الإيمان به وبرسوله، والمنْعَ له ولأصحابه، والإعزاز له ولدينه، والجهاد لأعدائه»[4].

1- أحمد زكي صفوت، "جمهرة خطب العرب"، ج1، ص 63.

2- ينظر: عبد الله صولة، "الحجاج أطره ومنطلقاته وتقنياته"، ص 331.

3- أحمد زكي صفوت ، "جمهرة خطب العرب"، ج1، ص 61.

4- المرجع نفسه، الصفحة نفسها.

كما نرى هذه التقنية الحجاجية في خطبة أبي بكر الصديق في قوله: «وأنتم يا معشر الأنصار من لا ينكر فضلهم في الدين»[1]. فالصديق اتبع نفس ما اعتمد عليه خصمه سعد بن عبادة في إبراز فضل الأنصار في تقسيم الكل إلى أجزائه المكونة له، ولهذا نجده يورد الكل (فضل الأنصار في الدين) ثم يحتج بتقسيمه إلى أجزائه قائلا: «رضيكم الله أنصارا لدينه ورسوله وجعل إليكم هجرته، وفيكم جلّة أزواجه وأصحابه»[2]. لكن احتجاج أبي بكر لبيان فضل الأنصار لم يكن من أجل موافقتهم في رأيهم بل حتى تطمئن نفوسهم ويهدأ بالهم ويعلمون أن المسلمين لا ينكرون فضلهم الذي خصهم الله به ولذلك فمكانتهم محفوظة حتى وإن لم تكن الخلافة من نصيبهم.

3. الحجج المؤسسة على بنية الواقع: وتستخدم الحجج شبه المنطقية للربط بين أحكام مسلم بها، وأحكام يسعى الخطاب إلى تأسيسها وتثبيتها وجعلها مقبولة مسلما بها ومن هنا كان التسليم بالأولى يؤدي إلى التسليم بالأخرى ما يجعلها حجة اتصالية، ومن ضروب الترابط بين هذه الأحكام:

أ.**الاتصال التتابعي**: الذي يكون بين ظاهرة ونتائجها والاتصال التواجدي، الذي يكون بين شخص وبين أعماله وعموما بين الجوهر وتجلياته كأن يقال عن طفل أنه عظيم باعتبار أن أباه فلان (قياس العرض على الجوهر). ومن وجوه الاتصال

1- أحمد زكي صفوت ، "جمهرة خطب العرب"، ج1، ص 63.

2- المرجع نفسه، الصفحة نفسها.

التتابعي نجد: الوصل السببي والحجاج في خطبة سعد بن عبادة وخطبة الحباب بن المنذر الثانية وخطبة بشير بن سعد.

يقول سعد بن عبادة: «فكنتم أشد الناس على عدوكم من غيركم، حتى استقامت العرب لأمر الله طوعا وكرها»[1]. وهو حجاج يرمي إلى الربط بين حدثين متتابعين بواسطة رابط سببي، فالحدث الأول (الشدة على الأعداء)، والحدث الثاني الذي يتبعه (استقامة العرب وامتثالهم لأمر الله طوعا وكرها)، والرابط السببي (حتى). وفي موضع آخر من الخطبة يقول: «وتوفاه الله وهو عنكم راضٍ، وبكم قرير العين، استبدوا بهذا الأمر دون الناس، فإنه لكم دون الناس»[2]. فالحدث الذي وقع، وفاة النبي صلى الله عليه وسلم وهو راض عن الأنصار, والحدث الثاني –وهو نتيجة للأول– يتمثل في أحقية الأنصار بخلافته من باب شرعية رضا رسول الله عنهم وهو حجاج يرمي إلى أن يستخلص من حدث ما وقع سبب أحدثه وأدى إليه.

وفي خطبة الحباب بن المنذر الثانية يقول: «فأنتم والله أحق بهذا الأمر منهم، فإنه بأسيافكم دان لهذا الدين من دان»[3]. فالنتيجة وهي دخول الناس في دين الله كانت بسبب الحدث الذي وقع قبله وهو استعمال سيوف الأنصار في نصرة الدين ونشر الإسلام وهي حجة لصالح الأنصار وفي خطبة بشير بن سعد يقول: «ألا إن

1- أحمد زكي صفوت ، "جمهرة خطب العرب"، ج1، ص 61.

2- المرجع نفسه،الصفحة نفسها.

3- نفسه، ص ص 64-65.

محمدا صلى الله عليه وسلم من قريش، وقومه أحق به وأولى»[1]. فالاتصال التتابعي يتمثل في كون النبي عليه الصلاة والسلام من قبيلة قريش لذلك فهم عشيرته ولهم حق خلافته. وفي الوصل أو الربط السببي بين الحدثين يكون المرور في الاتجاهين من السبب إلى النتيجة ومن النتيجة إلى السبب وهذا ما يدعى عند "بيرلمان" بالحجة البراغماتية L'argument pragmatique، وهي الحجة التي يحصل بها تقويم عمل ما باعتبار نتائجه الإيجابية أو السلبية، ومن هنا كان لهذه الحجة تأثير مباشر في توجيه السلوك وعدّت من أهم وسائل الحجاج[2].

وإذا كنا قد تحدثنا في الحجج المؤسسة على بنية الواقع عن وجوه الاتصال التتابعي فإننا سنتطرق كذلك إلى وجوه الاتصال التواجدي .

ب.الاتصال التواجدي: ومنه :

الشخص وأعماله : يعد عمل الانسان موضوع تقويم من قبل الآخرين فعلم الأخلاق والقضاء يحكمان على العمل وعلى صاحبه فأعمال الشخص تجليات جوهره، وقد استعمل سعد بن عبادة هذه التقنية في سرد أعمال الانصار وفضائلهم ليبين أحقيتهم في الحكم، ونفس الأمر قام به أبو بكر الصديق لما ذكر أن المهاجرين أول من عبد الله في هذه الأرض وغيرها من الأعمال .

1- أحمد زكي صفوت ، "جمهرة خطب العرب"، ج1، ص 65.

2- ينظر: عبد الله صولة، "الحجاج أطره ومنطلقاته وتقنياته"، ص 333.

– **حجة السلطة Argument d'autorité**: تختلف السلطة في حجة السلطة وتتعدد فقد تكون حجج تغذيها هيبة المتكلم ونفوذه، وقد تكون الإجماع، أو العلماء، أو الأنبياء، وقد تكون هذه السلطة غير شخصية Impersonnelle مثل الفيزياء أو العقيدة أو الكتاب المقدس[1]. ومثال السلطة الشخصية مكانة أبي بكر الصديق وهيبته التي خولته أن يخاطب الأنصار في هذا الوضع المتأزم والمتشنج وفي معقلهم طالبا منهو أن يتخلوا عن الخلافة لصالح المهاجرين،أما مثال السلطة غير الشخصية يتمثل في الاحتجاج بالقرآن الكريم في خطبة أبي بكر الصديق في قوله تعالى: « ويعبدون من دون الله ما لا يضرهم ولا ينفعهم، ويقولون هؤلاء شفعاؤنا عند الله ، وقالوا ما نعبدهم إلا ليقربونا إلى الله زلفى »[2]. وقد ساق الصديق هذه الآية لدعم فضل المهاجرين ففي الوقت الذي أصرّت قريش على دين آبائهم وأجدادهم دين الشرك والوثنية، ها هم صحابة رسول الله الأوائل يتمردون على أعراف مكة ومعتقداتها لما علِموا أنه دين الحق ولم يثنهم عن ذلك صنوف العذاب فهم السابقون المقربون.

– **الاتصال الرمزي La liaison symbolique**: إن الوصل الرمزي يقوم على انتقال من الرمز إلى ما يرمز إليه مثلما ينتقل من العَلَم إلى الوطن ومن الصليب إلى المسيحية ومن شخص العاهل إلى الدولة ، فعلاقة المشاركة والتبرير بين الرمز والمرموز إليه هي ما تثير العاطفة الدينية أو الوطنية في الأمثلة السابقة، ولكن يجب

1- عبد الله صولة، "الحجاج أطره ومنطلقاته وتقنياته"، ص 335.

2- المرجع نفسه، ص 336.

الإشارة إلى أن الرمز يؤثر في الذين يدركون وجود الاتصال بين طرفية أما الذين لا يدركون العلاقة الترابطية بين طرفية فلا يؤثر فيهم، فهو خاص بقوم ما.

ومثال الاتصال الرمزي نجده في خطبة عمر بن الخطاب: «من ذا ينازعنا سلطان محمد»[1]. فمحمد رسول الله يرمز إلى الدين الإسلامي وسلطة محمد تعني إمارة المسلمين جميعا. فالخطاب وجه إلى المسلمين وهم يدركون العلاقة بين ذكر هذا الاسم وما يمثله من بعد روحي وعاطفي لديهم.

4. الحجج المؤسسة لبنية الواقع: ومنها:

أ) تأسيس الواقع بواسطة الحالات الخاصة: ومن هذه الحالات الخاصة المثل L'exemple والشاهد أو الاستشهاد l'illustration والنموذج modèle.

ب) الاستدلال بواسطة التمثيل Analogie: وهو من الحجج القائمة على الاتصال المؤسس لبنية الواقع، ويرى "بيرلمان وتيتيكا" أن التمثيل في الحجاج ينبغي أن تكون له مكانته باعتباره أداة برهنة وتظهر قيمته الحجاجية باعتباره قائم على تشابه العلاقة وهذا ما يميزه عن مفهوم علاقة المشابهة، ومعنى ذلك أن التمثيل مواجهة بين بنى متشابهة وإن كانت من مجالات مختلفة[2].

1- أحمد زكي صفوت، "جمهرة خطب العرب"، ج1، ص 64.

2- ينظر: عبد الله صولة، "الحجاج أطره ومنطلقاته وتقنياته"، ص ص 336- 338- 339.

وفي خطبة الحباب بن المنذر الثانية نتأمل قوله: «أنا جُذيلها المحَكّك، وعذيقُها المرجّب*»[1].

فالتمثيل هنا قائم على تشابه العلاقة بين الخطيب "أنا" والجذيل، أي العود الذي ينصب للإبل لتحتك به، ويقصد أن الأنصار تستشيره في الأمور المختلفة؛ و"عذيقها المرجّب"؛ أي النخلة التي تبنى عليها دعامة من الحجارة تحيط بها، وهو نفس المعنى، فالأنصار تحيط به لرجاحة عقله وقيمته بينهم، فالحباب بن المنذر معروف بأنه صاحب الرأي والمشورة في معركة بدر وتلجأ إليه الأنصار للاستشارة والرأي فلا غنى عنه في المجتمع وقيمته ثابتة تماما كعود الإبل الذي لا يمكن لمن أصابه الجرب منها الاستغناء عنه، فتشابه العلاقة يتمثل في عدم الاستغناء عن الخطيب في الظروف الصعبة تماما كالإبل الجربي التي لا تستغني عن عود الاحتكاك، فالترابط هنا بين أشياء ما كان لها أن تكون مترابطة، وهذا شرط أساسي في التمثيل الحجاجي[2]. ولا يقتصر الاستدلال بواسطة التمثيل على التشبيه فقط، إذ تعد الاستعارة آلية أساسية من آليات الحجاج، ولذا حظيت باهتمام اللغويين والباحثين قديما وحديثا، فميزوا بين نوعين من الاستعارة، فهي عند عبد القاهر الجرجاني

1- أحمد زكي صفوت، "جمهرة خطب العرب"، ج1، ص 65.

*- الجُذيل تصغير الجِذل (بالكسر) وهو أصل الشجرة، وعود ينصب للإبل لتحتك به وتتمرس. والعُذيق: تصغير العَذق (بالفتح) وهو النخلة، والمرجب الذي جعل له رجبة، وهي دعامة تبنى حولها من الحجارة خوفا على النخلة من الرياح، ولتصغير يراد هنا التعظيم وهو مثل، والمراد أنه: رجل يستشهد برأيه.المرجع نفسه، ص 65.

2- ينظر: عبد الله صولة، "الحجاج أطره ومنطلقاته وتقنياته"، ص 340.

مفيدة وغير مفيدة وعند الغربيين استعارة لغوية واستعارة جمالية، أما أبو بكر العزاوي فيرى أنها استعارة حجاجية واستعارة بديعية، فأما كونها حجاجية فلأنها تدخل ضمن الوسائل اللغوية التي يستعملها المتكلم بقصد توجيه خطابه وبقصد تحقيق أهدافه الحجاجية، والاستعارة الحجاجية أكثر انتشارا لارتباطها بمقاصد المتكلمين وبسياقاتهم التخاطبية والتواصلية. أما الاستعارة غير الحجاجية أو البديعية فإنها تكون مقصودة لذاتها ولا ترتبط بالمتكلمين ومقاصدهم الحجاجية وترد في سياق التفنن الأسلوبي والزخرفة اللفظية وليس سياق التواصل والتخاطب، ومثالها قول الشاعر :

فأمْطرت لُؤْلُؤًا مِنْ نَرْجَس وَسقْت وَرْدًا وَعَضَّتْ عَلَى الْعُنَّابِ بِالْبَرِدِ[1]

ومثال الاستعارة الحجاجية قوله تعالى :﴿ **وَاشْتَعَلَ الرَّأْسُ شَيْبًا** ﴾[2].

وما يهمنا في هذه الدراسة هو الاستعارة باعتبارها آلية حجاجية تدخل حسب "بيرلمان" في الاستدلال بواسطة التمثيل ضمن الحجج القائمة على الاتصال المؤسسة لبنية الواقع، ومن أمثلتها في هذه السلسلة الخطابية قول الخطيب سعد بن عباد «يدعوهم الى عبادة الرحمان وخلع الأنداد والأوثان»[3] والحديث هنا عن رسول الله صلى الله عليه وسلم يدعو قومه إلى الإسلام، فالقول المجازي يتمثل في

1 -ينظر : أبوبكر العزاوي، "اللغة والحجاج"، ص ص 108-109.

2 -سورة مريم، الآية 4.

3 -أحمد زكي صفوت، "جمهرة خطب العرب " ج1، ص 61.

(خلع الأنداد والأوثان) حيث شبه الأنداد والأوثان بباب يخلع أو ملابس أو نحوها فحذف المشبه به (الباب) وأبقى على أحد لوازمه (الخلع) على سبيل الاستعارة المكنية، وتظهر القوة الحجاجية في حركة "الخلع" التي تضيف معنى جديدا في النفس وهو قطع الصلة فورا بدون تردد لكل ممارسات الشرك، فالمعنى الذي توحي به لفظة "خلع" الأوثان يختلف عن ما توحي به ترك الأوثان، واستعارة الكلمة من المعنى الحقيقي إلى المعنى المجازي أكسب الكلام طاقة حجاجية هائلة، وقوة الاستعارة الحجاجية تضاهي أقوى حجة في السلم الحجاجي الذي يقوم على تراتبية الحجج ولنأخذ هذه الاستعارة على الترتيب الآتي:

الحجة الأولى : يدعوهم الى عبادة الرحمان.

الحجة الثانية : خلع الأنداد والأوثان

النتيجة : الدخول في الإسلام وقطع الصلة بالكفر

وفي خطبة الحباب بن المنذر مثال آخر للاستعارة الحجاجية في قول سعد بن عبادة كذلك : «فإن الناس في فيئكم وفي ظلكم »[1]، فشبه الأنصار بأشجار كريمة هي النخيل الباسقة يستظل بها المسلمون، وفي هذا ايحاء قوي بأنهم هم من سيكون منهم الأمير، فالقول المجازي أعطى معنى جديدا اتسم بالقوة الحجاجية عن طريق ذكر المشبه وحذف المشبه به، وتشابه العلاقة بين المختلفين (الناس) و(النخيل)

1 – أحمد زكي صفوت، "جمهرة خطب العرب " ج1، ص 64.

يتمثل في (الحاجة)، فحيث أن حاجة الناس إلى ظل الأشجار من الحرارة وغيرها تشبه حاجتهم إلى الأمير في التدبير والتسيير والرعاية .

II) الطرائق الانفصالية في الحجاج:

إذا كانت الطرائق الاتصالية السابقة تربط بين عناصر غير مترابطة أصلا فإن الطرائق الانفصالية تفصل بين عناصر يقتضي وجود وحدة بينها ومفهوم واحد لها، وإنما وقع الفصل لأسباب دعا إليها الحجاج ومردّه إلى زوج الظاهر/الواقع أو الحقيقي؛ بمعنى أن الأشياء يمكن أن يكون لها حدّان ظاهر زائف وواقع حقيقي، وهذا ما يدعى الأزواج الفلسفية التي تستمد مظهرها الحجاجي من فصلها داخل المفهوم الواحد.

ومن طرائق الفصل في الأقوال والخطابات: بعض الجمل الاعتراضية مثل: إن هذا البطل —إن صحّ أنه بطل-... وبعض الأفعال مثل: يزعم أو يتوهم[1]. كما نجده في خطبة أبي بكر الصديق: «... ليعبدوا الله ويوحدوه، وهم يعبدون من دونه آلهة شتى، ويزعمون أنها لهم عنده شافعة، ولهم نافعة ...»[2]. فتوظيف هذا الفعل "يزعمون" أدى الفصل في المفهوم الواحد (عبادة الآلهة الشفيعة، النافعة). فبهذا الفعل أصبح المفهوم الظاهري (شافعة نافعة) والواقعي (لا شافعة ولا نافعة)، وهنا

1- ينظر: أحمد زكي صفوت، "جمهرة خطب العرب " ج1، ص ص 343-345.

2- المرجع نفسه، ص 62.

يتمثل دور الفصل الحجاجي بواسطة الطرائق اللغوية والكتابية في حمل السامع على تمثل مظهرين الظاهري الزائف والحقيقي الواقعي[1].

6-الحدث الخطابي (خطب السقيفة) في ضوء نظرية الحجاج اللغوي:

تهدف نظرية الحجاج اللغوي أو اللساني إلى دراسة الجوانب الحجاجية في اللغة انطلاقا من فرضية أننا نتكلم عامة بقصد التأثير، وهي نظرية لسانية تعنى بالوسائل اللغوية الحجاجية التي تتضمنها اللغات الطبيعية[2]. وتقتضي الوظيفة الحجاجية للغة انجاز تسلسلات إنتاجية داخل الخطاب، فيكون الحجاج في اللغة إذن هو إنتاج متواليات من الأقوال بعضها هو بمثابة الحجج، وبعضها الآخر هو بمثابة النتائج، وبهذا فإن الحجاج تؤديه مكونات لغوية هي روابط أو عوامل أو صيغ، وهي إضافة إلى محتواها الإخباري فإنها تصلح لإعطاء توجيه حجاجي للقول وتوجيه المخاطب في هذا الاتجاه أو ذاك[3]، وتقوم مرتكزات هذه النظرية على القرائن الحجاجية والسُّلم الحجاجي:

أ- القرائن الحجاجية Marquets argumentatifs:

وهي نوعان: «ينبغي التمييز حسب ديكرو Ducrot بين الروابط الحجاجية (Les connecteurs) والعوامل الحجاجية (Les opérateurs)، فالروابط

1- ينظر: عبد الله صولة، "الحجاج أطره ومنطلقاته وتقنياته"، ص 346.

2- ينظر: جميل حمداوي، "نظريات الحجاج"، ص ص 32- 33- 34.

3- ينظر: عبد اللطيف عادل، بلاغة الإقناع في المناظرة، ص ص 97- 98.

الحجاجية هي التي تربط بين قولين أو بين حجتين على الأصح أو أكثر وتسند لكل قول دورا حجاجيا محددا حسب السياق التداولي ومن بين هذه الروابط: بل، لكن، حتى، لاسيما، إذن، بما أن، إذ ...الخ، أما العوامل الحجاجية فهي لا تربط بين حجة وأخرى، بل تقوم بدور حصر الإمكانات الحجاجية وتقييدها داخل ملفوظ حجاجي معين، ومن أدواته: ربما، وتقريبا، وكاد، وقليلا، وكثيرا، وما، ... إلا، وجُل أدوات الحصر والقصر»[1]. ولكي تنجح العملية الحجاجية لابد من توفر قواعد عامة مقبولة جماعيا كالمعتقدات والمسلمات المشتركة تدعى المبادئ الحجاجية وعند أرسطو تسمى المواضع الحجاجية[2].

ولننتقل من الترتيب الأفقي للحجج إلى عن طريق الروابط إلى الترتيب العمودي عن طريق السلم الحجاجي.

ب- السلم الحجاجي Echelle argumentatifs:

بعد هذا المفهوم من المفاهيم الأساسية في نظرية الحجاج اللغوي التي تهدف إلى وصف الأقوال وتحديد مراتبها باعتبار وجهتها وقوتها الحجاجيتين، يقول ديكرو: «إن أي حقل حجاجي ينطوي على علاقة ترتيبية (لحجج) نسميه سلّما حجاجيا»[3]، فمن خلال هذا التعريف الموجز يتضح لنا أن السلم الحجاجي يقوم

1- جميل حمداوي، "نظريات الحجاج"، ص 37.

2- ينظر: عبد اللطيف عادل، "بلاغة الإقناع في المناظرة"، ص ص 98- 99.

3- المرجع نفسه، ص 101.

على أساس تتابع الحجج على الترتيب، ويرى طه عبد الرحمن: «أنه مجموعة غير فارغة من الأقوال مزودة بعلاقة ترتيبية ومستوفية للشرطين التاليين:

أ. كل قول يقع في مرتبة ما من السلّم يلزم عنه ما يقع تحته، بحيث تلزم عن القول الموجود في الطرف الأعلى جميع الأقوال الأخرى.

ب. كل قول في السلم كان دليلا على مدلول معين كان ما يعلوه مرتبة دليلا أقوى.

فمثلا الجمل:"حصل زيد على الشهادة الابتدائية"، و"حصل على الشهادة الثانوية"، و"حصل على شهادة الإجازة" تشكل سلما مدلوله كفاءة زيد العلمية».

وأهم قوانين هذا السلم ثلاثة:

أ- قانون الخفض: إذا صدق القول في مراتب معينة من السلم، فإن نقيضه يصدق في المراتب التي تقع تحتها.

ب- قانون تبديل السلم: إذا كان القول دليلا على مدلول معين، فإن نقيض هذا القول دليل على نقيض مدلوله.

جـ- قانون القلب: إذا كان أحد القولين أقوى من الآخر في التدليل على مدلول معين، فإن نقيض الثاني أقوى من نقيض الأول في التدليل على نقيض المدلول[1].

1- طه عبد الرحمن، "في أصول الحوار وتجديد علم الكلام"، المركز الثقافي العربي، الدار البيضاء، ط2، 2000، ص ص 105- 106.

القرائن الحجاجية في خطب حادثة السقيفة:

أ. **الروابط الحجاجية:** يكمن دور الروابط الحجاجية في استثمار دلالاتها في الربط والترتيب بين الحجج[1] لخدمة التوجه الحجاجي عند الخطيب ومن بين هذه الروابط التي أفاد منها خطباء حادثة السقيفة نجد:

– الرابط حتى:

وظف الخطيب سعد بن عبادة "حتى" في ثلاثة مواضع لما لها من دور حجاجي هام ولنأخذ قوله: «فكنتم أشد الناس على عدوه من غيركم، حتى استقامت الغرب لأمر الله طوعا وكرها»[2]. نجد الرابط الحجاجي في هذا المثال يربط بين حجتين لهما نفس التوجه الحجاجي: الحجة الأولى: "أنتم أشداء على العدو"، والحجة الثانية وهي الأقوى:"انتصرتم على العدو" وهما تخدمان النتيجة المضمرة الواحدة المتمثلة في كفاءة الأنصار وأهليتهم لتولي الخلافة بعد وفاة النبي صلى الله عليه وسلم، ويمكن القول أنه لا أثر للإبطال والتعارض في هذا المثال فـ "حتى" تصنف ضمن روابط التساوق والتساند الحجاجي.

– الرابط لكن:

وتأتي الحجة بعد هذا الرابط أقوى من الحجة التي قبله في خدمة النتيجة فهي تتوسط بين قولين مختلفين في النفي والإيجاب، يستدرك بها النفي إيجابا، والإيجاب

1- ينظر: عبد الهادي بن ظافر الشهري، "إستراتيجيات الخطاب"، ص 472.

2- أحمد زكي صفوت، "جمهرة خطب العرب"، ج1، ص 61.

نفيا[1]، وقد استفاد عمر بن الخطاب من هذا الرابط في قوله: «والله لا ترضى العرب أن يؤمروكم ونبيها من غيركم، ولكن العرب لا تمتنع أن تولي أمرها من كانت النبوة فيهم وولي أمورهم منهم»[2]. فقد ربط بين حجتين متعارضين، فالحجة الأولى عدم رضا العرب بإمارة الأنصار فالنبي ليس منهم، والحجة الثانية وهي الأقوى رضا العرب بإمارة المهاجرين لأن النبي منهم. والملاحظ أن الحجتين المتعارضين تخدمان نتيجة واحدة وهي (أحقية المهاجرين بالخلافة).

ب. العوامل الحجاجية: هي وسائل لغوية لا تربط بين متغيرات حجاجية أي بين حجة ونتيجة أو بين مجموعة من الحجج ولكنها تقوم بحصر وتقييد الإمكانات الحجاجية التي تكون لقول ما[3]، ما يجعل للقول إمكانية حجاجية واحدة لا تتعداها إلى سواها من الاحتمالات الأخرى ومنها:

1) الحجاج بالنفي: النفي رد فعل على إثبات فعلي، وعاملية أدوات النفي الحجاجي يمكن إدراكها بإدراك النتيجة التي يريد المخاطب توجيه المتلقي إليها[4]، ونلمس ذلك في قول سعد بن عبادة: «يا معشر الأنصار، لكم سابقة في الدين،

1- ينظر: خالد إسماعيل صاحب، "الطرائق الحجاجية النحوية في الخطابة السياسية"، مجلة كلية التربية للعلوم الإنسانية، جامعة ذي قار، المجلد 5، العدد 1، آذار 2015، ص 158.

2- أحمد زكي صفوت، "جمهرة خطب العرب"، ج1، ص 64.

3- ينظر: أبو بكر العزاوي، "اللغة والحجاج"، العمدة في الطبع، ط1، 2006، ص 90.

4- ينظر: خالد إسماعيل صاحب، "الطرائق الحجاجية النحوية في الخطابة السياسية"، ص 166.

وفضيلة في الإسلام، ليست لقبيلة من العرب»[1]، فالخطيب وهو يعلي من شأن قومه أتى بحجتين "لكم السابقة في الدين" و"الفضيلة في الإسلام"، ولكنه لم يتركها عامة بل وجهها وجهة حجاجية واحدة نحو نتيجة واحدة أيضا باستعمال عامل النفي "ليس" فعندما يأتي بالحجج السابقة لقومه وينفي اتصاف سائر القبائل العربية بها، فقد حصر هذه الإمكانيات الحجاجية وقيدها وهذا ما يزيد من القوة الحجاجية للقول.

وفي قول آخر له في نفس الخطبة: «وما كانوا يقدرون على أن يمنعوا رسول الله ولا أن يعزوا دينه، ولا أن يدفعوا عن أنفسهم ضيما عُمُّوا به»[2]، فتكرار النفي في هذا المثال يهدف به الخطيب إلى إضعاف خصومه المهاجرين السابقين إلى الإسلام لكنهم قلة آنذاك لم يقدروا على حماية رسول الله صلى الله عليه وسلم، ولا حماية أنفسهم فوجّه الحِجَاجَ وجهة واحدة لخدمة نتيجة واحدة وهي إذا كان المهاجرون لم يكن بإمكانهم نصرة الإسلام فإن الأنصار استطاعوا بفضل الله أن يعزوا الإسلام والمسلمين وهذا كافٍ لتوليهم منصب الخلافة.

وفي خطبة أبي بكر الصديق نجد استعمالا متعددا ومتنوعا لعوامل النفي الحجاجية مما يوحي لنا بأنه لم يشأ أن يحتمل قوله احتمالات حجاجية وتأويلات مختلفة بل ركّز جهده على أن يسير في خطابه في اتجاه واحد، وذلك جلي في أقواله

1- أحمد زكي صفوت، "جمهرة خطب العرب"، ج1، ص 61.

2- المرجع نفسه، الصفحة نفسها.

الآتية ذكرها، ففي سياق حديثه عن فضائل المهاجرين وفي هذا رد على ما رماهم به سعد بن عبادة من ضعف، قال:«خص الله المهاجرين الأولين من قومه بتصديقه... وكل الناس لهم مُخالف زارٍ عليهم، فلم يستوحشوا لقلة عددهم وشنف الناس لهم»[1].

فباستعمال عامل النفي"لم" أعطى القول قوة حجاجية هي في صالح المهاجرين تخدم نتيجة واحدة وهي فضلهم في السبق إلى الإيمان رغم كيد عشيرتهم الأقربين لهم وتكذيبهم وأذيتهم فلم يتراجعوا عن نصرة رسول الله ومؤازرته ومواساته مع قلة عددهم وكره الناس لهم ولعمري هذه ميزة عظيمة امتاز بها المهاجرون الأوائل، وفي ذكر مناقب الأنصار يقول الصديق: «وأنتم يا معشر الأنصار من لا ينكر فضلهم في الدين، ولا سابقتهم العظيمة في الإسلام»[2]. وظف النفي بـ"لا" في إشارة منه إلى الاعتراف بفضائلهم العظيمة وأن معارضته لهم في هذا الأمر لا تعني إطلاقا الانتقاص من شأنهم وهذه هي النتيجة التي خدمها النفي حيث حصر الإمكانات الحجاجية في أنه لا أحد ينكر فضلكم، وفي قوله: «فليس بعد المهاجرين الأولين عندنا بمنزلتكم، فنحن الأمراء وأنتم الوزراء، لا تُفْتَاتون بمشورة، ولا تقضى دونكم الأمور»[3].

1- أحمد زكي صفوت، "جمهرة خطب العرب"، ج1، ص ص 62-63.

2- المرجع نفسه، ص 63.

3- نفسه، الصفحة نفسها.

فهاهنا يوجه الحجاج نحو إمكانية واحدة وهي أننا معشر المهاجرين نقدّر منزلتكم التي هي ثانية بعدنا والنتيجة الواحدة وهي نحن الأمراء وأنتم الوزراء وهذا بالاستعانة بعاملي النفي الحجاجيين "ليس" و"لا".

وفي خطبة الحباب بن المنذر الأولى يقول: «فإن الناس في فيئكم وفي ظلكم، ولن يجترئ مجترئ على خلافكم»[1]. فباستعماله لأداة النفي "لن" حصر الحجاج في أنكم معشر الأنصار أقوى من أن يتجرأ غيركم على مخالفتكم وبالتالي النتيجة التي يسعى إليها وهي (أنكم أحق بالخلافة). فالنفي زاد قول الخطيب قوة وثقة. أما عمر بن الخطاب فقد احتج في قوله بتوظيف النفي "لا" قائلا: «هيهات لا يجتمع اثنان في قرن»[2]، ردا على مقولة الحباب بن المنذر: «فمنا أمير ومنكم أمير»[3]. فنفى كل إمكانية أو أي احتمال من أنه قد يكون هناك أمل ولو طفيف في قبول هذا الرأي، فالنفي حصر الحجاج في رفض المشاركة في الحكم رفضا نهائيا. ونفس الأداة "لا" يكرر عمر بن الخطاب استعمالها في قوله: «والله لا ترضى العرب أن يؤمروكم ونبيها من غيركم»[4]، كذلك هنا يحصر الحجاج في نفي أي إمكانية لقبول الأنصار أمراء وأن الرفض سيكون الإمكانية الوحيدة التي تخدم النتيجة (أحقية المهاجرين بالحكم).

1- أحمد زكي صفوت، "جمهرة خطب العرب"، ج1، ص 64.

2-المرجع نفسه، الصفحة نفسها.

3- نفسه.

4- نفسه.

وفي خطبة بشير بن سعد الذي رغم أنه من الأنصار ومن قبيلة الخزرج إلا أنه اعترف للمهاجرين بأحقيتهم في الخلافة وطلب من قومه ما رأى أنه صحيحا، فقد وظف عامل النفي بـ "ما النافية" و"لا النافية" في قوله: «فما ينبغي لنا أن نستطيل على الناس بذلك، ولا نبتغي به من الدنيا عرضا، فإن الله وليُّ المنّة علينا بذلك»[1]. فالخطيب ينفي عن الأنصار أن تكون فضائلهم لغرض نيل متاع الدنيا أو الافتخار وبالتالي عليهم بأن يعطوا لكل ذي حق حقه وهو يقصد التنازل عن مطلب الخلافة لأهلها من المهاجرين عشيرة النبي وقومه وبالتالي فإن إمكانية الحجاج قد حُصِرت في عدم منافسة الخصوم والاعتراف لهم بالأهلية.

2) الحجاج بالقصر: يعد من أقوى العوامل الحجاجية التي يلجأ إليها الخطيب في حصر وتقييد وتوجيه الحجاج الوجهة التي يقصد ويريد خاصة وأن المخاطب الذي يخاطب بهذا العامل الحجاجي يكون منكرا أو شاكا في قبول الحكم، ولذلك كان التوكيد السّمة البارزة لهذا العامل[2]، وقد استعان به سعد بن عبادة بتوظيفه بطريقة النفي والاستثناء قائلا: «فما آمن به من قومه إلا رجال قليل»[3]، وإذا ما علمنا أن سعداً كان المرشح الوحيد من قبل الأنصار للخلافة فإن هذا القول الحجاجي لا يفاجئنا فهو يركز على إضعاف جانب المؤمنين المهاجرين الأوائل الذين كانوا قلّة في مكة قبل الهجرة، فالخطيب يريد أن يوجّه المخاطبين (الأنصار) لوجهة حجاجية

1- أحمد زكي صفوت، "جمهرة خطب العرب"، ج1، ص 65.

2- ينظر: خالد إسماعيل صاحب، "الطرائق الحجاجية النحوية في الخطابة السياسية"، ص ص 166- 167.

3- أحمد زكي صفوت، "جمهرة خطب العرب"، ج1، ص 61.

واحدة وهي أن لا تهتموا كثيرا لمعارضتهم أو خلافهم فأنتم أفضل شأناً وأحقّ منهم فالمهاجرون الذين ينافسونكم في الخلافة أين كانوا لما أوحي إلى النبي صلى الله عليه وسلم ولماذا لم يؤمنوا جميعهم أو معظمهم، أما نحن الأنصار فقد أسلمنا معظمنا وهذا ما يجعلنا الأجدر بخلافة رسول الله صلى الله عليه وسلم وهذه هي النتيجة المضمرة التي يخدمها العامل الحجاجي "القصر بالنفي والاستثناء".

أما أبو بكر الصديق فقد وظف القصر بطريقة النفي والاستثناء قائلا: «ولا ينازعهم ذلك إلا ظالم»[1]. حيث حصر الحجاج في وجهة واحدة متمثلة في أن حقهم في الخلافة واضح لا جدال فيه ولا مجال للمنازعات والمفاوضات، ونجد القصر بالنفي والاستثناء في خطبة الحُباب بن المنذر الأولى إذ يقول: «ولن يصدر الناس إلا عن رأيكم»[2]، حيث جعل الإمكانية الحجاجية الوحيدة وهي عدم خروج الناس عن رأي الأنصار وهذا حتى يقوي من نفسية الأنصار ليثبتوا على رأيهم ولا يتنازلوا عن الخلافة.

ونرى بشيرا بن سعد في خطبته يقول: «ما أردنا به إلا رضا ربنا وطاعة نبينا»[3]، أي ما أردنا بنصرة الإسلام والجهاد ضد الأعداء إلا طاعة الله ورسوله وهو بذلك يسُدُّ الطريق على قومه الذين يرون أن فضيلتهم في الإسلام تبيح لهم المطالبة

1- أحمد زكي صفوت، "جمهرة خطب العرب"، ج1، ص 63.

2- المرجع نفسه، ص 64.

3- نفسه، ص 65.

بالخلافة، وجعل لهذا القول وجهة حجاجية واحدة وهي عدم الطمع في الحكم والسلطة.

أما توظيف القصر بطريقة إنما فقد نال نصيبه كذلك في هذا الحدث الخطابي، فالمقام يقتضي اللجوء إلى مختلف العوامل الحجاجية للإقناع والتأثير، وتوصف "إنما" بأم طرق القصر وهي تفيد في الكلام بعدها إثبات الفعل لشيء ونفيه عن غيره، وفي الحجاج توجه الملفوظ نحو نتيجة محدّدة ضيقة[1]. ومثالها نجده في قول أبي بكر الصديق: «وهم يعبدون من دونه آلهة شتى، ويزعمون أنها لهم عنده شافعة، ولهم نافعة، وإنّما هي من حجر منحوت، وخشب منجور»[2].

فالكلام بعد إنما فيه إثبات بأن ما يعبدون مجرد حجر وخشب ونفي الألوهية عنه وفي هذا توجه حجاجي يخدم نتيجة واحدة أن ما يقومون به ضلال وشرك. وفي خطبة الحُباب بن المنذر الأولى يقول: «وإنّما ينظر الناس إلى ما تصنعون»[3]. فالتوجيه الحجاجي يتمثل في أن صنيعكم في الإسلام هو شرعيتكم في المطالبة بالخلافة.

3) الحجاج بالتوكيد: غاية التوكيد تداولية حجاجية في المقام الأول تتمثل في التأثير عل المتلقي وإقناعه وتستخدم المؤكدات بحسب حالة المخاطب فإذا كان

1- ينظر: عز الدين الناجح، العوامل الحجاجية في اللغة العربية، ص 54.

2- أحمد زكي صفوت، "جمهرة خطب العرب"، ج1، ص 62.

3- المرجع نفسه، ص 64.

خالي الذهن غير متردد في قبول الحكم خلت الجملة من التوكيد فهي إخبار فقط وإن كان السامع متردد في قبول الحكم يتم توظيف أداة توكيد واحدة وإن كان منكرا للخبر يتم توظيف أداتي توكيد فأكثر لإقناعه وتغيير قناعته[1]. ولما لهذه الأدوات من حاجة ملحة للإقناع، فلا غنى للخطيب عنها، ومن أمثلة ذلك عند سعد بن عبادة قوله: «استبدوا بهذا الأمر من دون الناس، فإنه لكم دون الناس»[2]. فالتوكيد بـ"إن" جاء بحسب حال السامعين فالأنصار غير متأكدين تماما أنهم أحق بالخلافة ولكي يقنعهم الخطيب وجهه خطابه وجهة حجاجية واحدة "فإنه لكم دون الناس" وهذا ما يدعى في البلاغة بضرب الخبر الطلبي حيث وظف أداة توكيد واحدة. وفي قول الحباب بن المنذر في خطبته الأولى وهو يرد على أبي بكر الصديق: «يا معشر الأنصار، أملكوا عليكم أمركم، فإن الناس في فيئكم»[3]. فبتوظيفه لأداة التوكيد "إنّ" إثباتا وتأكيداً على أن الناس مع رأي الأنصار، فالخطيب يعلم أن قومه غير واثقين من أنهم يحققون الإجماع لدى الرأي العام عند العرب، أما عمر بن الخطاب فقد وظف القسم ردا على الحباب بن المنذر في قوله: «والله لا ترضى العرب أن يؤمروكم ونبيها من غيركم»[4]. فالقسم قد وجه الحجاج إلى نتيجة واحدة وهي رفض العرب مبايعته الأنصار رفضا مؤكدا، ثم يتولى الحُباب بن المنذر الكلمة

1- ينظر: خالد إسماعيل صاحب، "الطرائق الحجاجية النحوية في الخطابة السياسية"، ص ص 168- 169.

2- أحمد زكي صفوت، "جمهرة خطب العرب"، ج1، ص 61.

3- المرجع نفسه، ص 64.

4- نفسه، الصفحة نفسها.

ثانية فيقول: «فأنتم والله أحقّ بهذا الأمر منهم، فإنّه بأسيافكم دان لهذا الدين من دان ممن لم يكن يدين، أنا خذيلها المحكك، وعذيقها المرجب، أما والله لئن شئتم لنعيدنها جذعة»[1]. وقد عدد استخدام أدوات التوكيد بإنّ والقسم في مرتين ولام التوكيد، وفي هذا إشارة لتغير مجرى الخطاب من الهدوء إلى التوتر والاضطراب "فأنتم والله، فإنه بأسيافكم" هي مؤكدات غايتها إقناع الأنصار بالثبات على رأيهم، أما التوكيد في "أما والله، لنعيدنها" فخرج من الإقناع إلى التهديد والوعيد لما بلغ الشك والاضطراب مبلغه.

ثم تكلم أبو عبيدة بن الجراح قائلا: « يا معشر الأنصار، إنكم أوّل من نصر فآزر »[2]. حيث أرجع الهدوء إلى القوم بالتأكيد على الاعتراف بفضلهم لأنه أحسّ بأنهم اعتقدوا أن المسلمين عامة والمهاجرين خاصة ربما نسوا فضائلهم فلم يدع الشك يتسرب إلى أنفسهم من خلال أداة التوكيد "إنّ" فكان توظيف هذا العامل الحجاجي في محله المناسب. وقد ختم تبادل أدوار الكلام بشير بن سعد حيث استعمل أدوات التوكيد في خطبته لإقناع قومه الأنصار بالعدول عن مطلبهم والتسليم للمهاجرين بالخلافة وذلك في قوله: «يا معشر الأنصار، إنا والله لئن كنا أولي فضيلة في جهاد المشركين، وسابقة في هذا الدين، ما أردنا به إلا رضا ربنا...»[3]. فتوظيفه لأداتي توكيد (إنّ + القسم (والله)) يبين أن الأنصار ربما قد

1- أحمد زكي صفوت، "جمهرة خطب العرب"، ج1، ص ص 64- 65.

2- المرجع نفسه، ص 65.

3- نفسه، الصفحة نفسها.

اعتبروا أن جهادهم وفضائلهم الأخرى أعطتهم الحق على أن يتولوا منصب الخلافة ولكي يغير قناعتهم استعمل الأداتين، ثم أضاف لهم أداة توكيد أخرى ليبعد عنهم الإنكار ويردهم إلى رأيه قائلا: «فإن الله ولي المنة علينا بذلك»[1]. وحتى يظهر صدقه في قوله بدأ بنفسه مؤكدا بالقسم قائلا: «وأيم الله، لا يراني الله أنازعهم هذا الأمر أبدا»[2].

وإذا كان للروابط الحجاجية دورٌ في ترتيب الحجج ونسجها في خطاب حجاجي واحد متكامل من خلال استثمار دلالاتها، فإن وظائفها لا تنحصر في الربط النسقي على المستوى الأفقي، بل تتجاوز ذلك إلى الترتيب العمودي[3]، وهذا ما يصلح عليه في الحجاج اللغوي بالسلم الحجاجي.

ج- السلم الحجاجي:

يعتمد السلم الحجاجي على ترتيب الحجج عموديا من الأضعف حجة إلى الأقوى حجة في فئة حجاجية واحدة[4] موجهة وبالتالي يمكن القول أنه نظام ترتيب للحجج يسهم في عملية الإقناع، ولهذا يلجأ إليه الخطباء للتأثير في جمهورهم ويتجلى ذلك من خلال خطبة سعد بن عبادة التي جاءت في معظمها حججا

1- أحمد زكي صفوت، "جمهرة خطب العرب"، ج1، ص 65.

2- المرجع نفسه، ص 65.

3- ينظر: عبد الهادي بن ظافر الشهري، "إستراتيجيات الخطاب"، ص ص 472- 473.

4- ينظر: خالد إسماعيل صاحب، "الطرائق الحجاجية النحوية في الخطابة السياسية"، ص 171.

متتابعة متدرجة في الترتيب بحسب القوة الطاقة والطاقة الحجاجية لخدمة النتيجة الواحدة في النهاية، حيث يقول: «حتى إذا أراد بكم الفضيلة ... فرزقكم الله الإيمان به وبرسوله، والمنع له ولأصحابه، ... الجهاد لأعدائه، فكنتم أشد الناس على عدوه من غيركم، حتى استقامت العرب لأمر الله طوعا وكرها»[1].

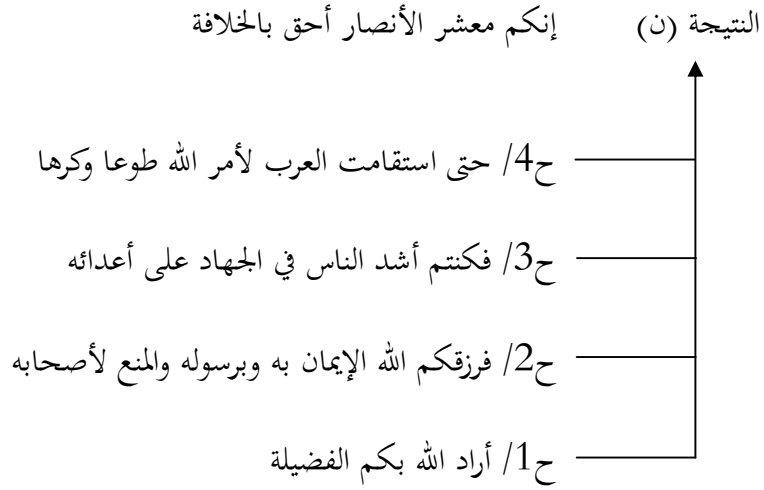

حيث يظهر الانتقال والتدرج من الحجة القوية إلى الأقوى لإقناع قومه الأنصار بأنهم أهل الفضائل ولهم حق الخلافة مستعينا بنفس ترتيب النبي صلى الله عليه وسلم لما بيّن أنه بعد الإيمان بالله ورسوله يأتي ذروة سنامه الجهاد في سبيل الله إضافة إلى دور حرف الفاء في ترتيب الحجج وجعلها أكثر تماسكا وترابطا، ونلمس تراتبية الحجج في نفس الخطبة في قوله: «حتى أثخن الله عزّ وجلّ لرسوله بكم الأرض، ودانت بأسيافكم له العرب، وتوفاه الله وهو عنكم راضٍ، وبكم قرير عينٍ، استبدوا بهذا الأمر دون الناس، فإنه لكم دون الناس»[2].

1- أحمد زكي صفوت، "جمهرة خطب العرب"، ج1، ص 61.

2- المرجع نفسه، الصفحة نفسها

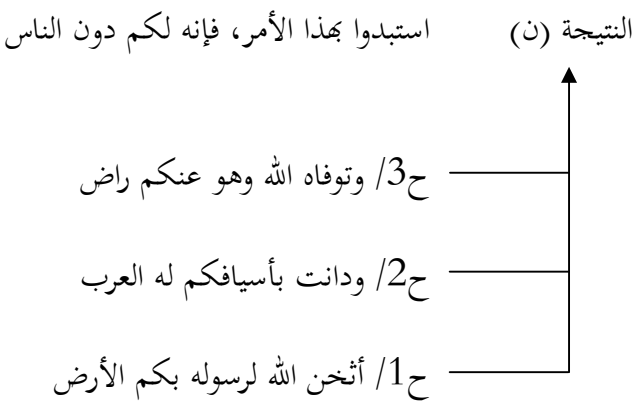

فقد أتى الخطيب بحجج متساندة تقوي بعضها بعضا، حيث ذكر إخضاع الأرض لرسول الله، ودخول العرب في الطاعة بفضل سيوف الأنصار، ثم الحجة الأقوى وهي وفاة النبي صلى الله عليه وسلم وهو راض عنهم. وبفضل قوة حججه لم يجعل النتيجة مضمرة بل صرّح بها فكانت متمثلة في الاستبداد بالخلافة دون الناس، وهذا حتى لا يتمكن الشك من نفوسهم وقد أعان توظيف حرف "الواو" حجاجيا في تقوية ارتباط الحجج بعضها ببعض.

وإذا كان سعد بن عبادة قد سعى إلى أن يقنع قومه (الأنصار) بأحقيتهم في الخلافة عن طريق تراتبية السلم الحجاجي، فهذا ما قام به أبو بكر كذلك في خطبته لإقناع نفس الجمهور (الأنصار) بعدم أحقيتهم في الخلافة وأن يتركوا هذا الأمر للمهاجرين مثل قوله: «إن الله بعث محمدا رسولا إلى خلقه وشهيدا على أمته، ليعبدوا الله ويوحدوه،... فخص الله المهاجرين الأولين من قومه بتصديقه، والإيمان به، والمؤاساة له، والصبر معه، على شدة أذى قومهم له،... فهم أول من عبد الله في الأرض، وآمن بالله وبالرسول، وهم أولياؤه وعشيرته، وأحق الناس بهذا الأمر من بعده»[1].

1- أحمد زكي صفوت، "جمهرة خطب العرب"، ج1، ص 62.

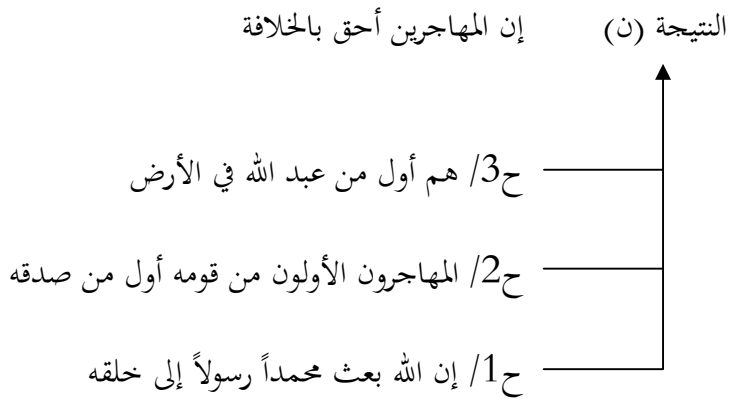

فالحجج متدرجة في الترتيب متساندة بشكل علاقة سليمة بين الأقوال وكانت الحجة الثالثة أقوى من الحجة الثانية والأولى فخدمت النتيجة المضمرة وهي إقناع الأنصار بأحقية المهاجرين بالخلافة[1].

وفي قول أبي عبيدة بن الجراح: «يا معشر الأنصار: إنكم أوّل من نصر وآزر، فلا تكونوا أول من بدّل وغيّر»[2]. نجد أن هذا القول رغم إيجازه إلا أنه استطاع أن يغير مجرى الحوار من الحِدّة والعناد في الرأي والجدال والخصام إلى الهدوء والاقتناع برأي المهاجرين وهذا من خلال الترتيب الحجاجي الذي تمظهر في السلم الحجاجي الآتي:

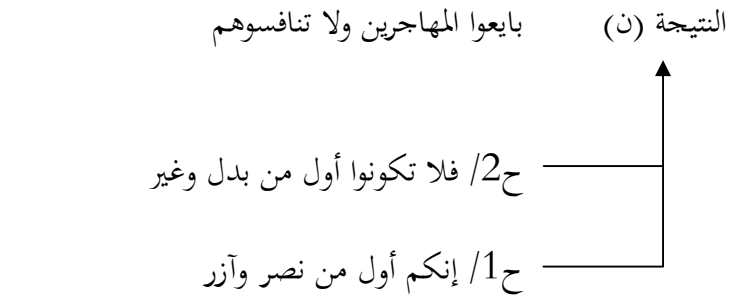

1- ينظر: خالد إسماعيل صاحب، "الطرائق الحجاجية النحوية في الخطابة السياسية"، ص 172.

2- أحمد زكي صفوت، "جمهرة خطب العرب"، ج1، ص 65.

فلقد انتقل من الحجة الأولى التي فيها إشادة بالأنصار إلى الحجة الأقوى وفيها مراجعة شاملة ومحاسبة للنفس يجب على الأنصار أن يقوموا بها بعد سماعهم هذا القول، فكانت حجة قوية زلزلت كيانهم وهيأتهم لقبول ما سيرد من عرضٍ في صالح المهاجرين، أما النتيجة فكانت مضمرة وهي الدعوة المبايعة المهاجرين .

وهذا ما سيأتي في قول بشير بن سعد الأنصاري: «ألا إن محمداً صلى الله عليه وسلم من قريش، وقومه أحق به وأولى، وأيم الله لا يراني الله أنازعهم هذا الأمر أبدا، فاتقوا الله، ولا تخالفوهم ولا تنازعوهم»[1].

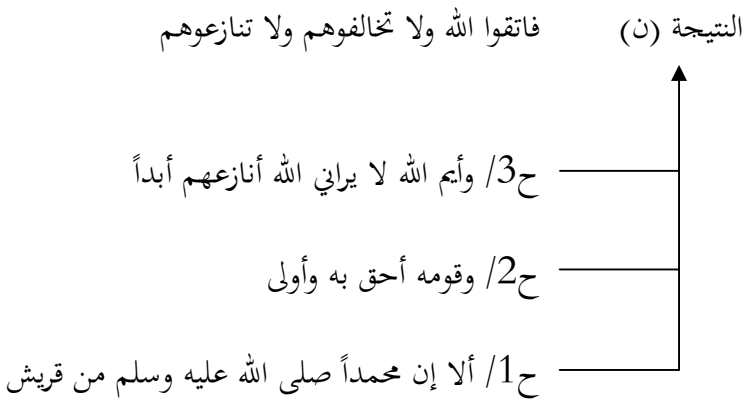

إن بشيرا بن سعد الأنصاري وبعد قول أبي عبيدة المؤثر استطاع أن يقنع قومه ويؤثر في نفسيتهم من خلال حسن ترتيبه للحجج الثلاثة التي خدمت النتيجة المذكورة.

1- أحمد زكي صفوت، "جمهرة خطب العرب"، ج1، ص 65.

ثالثا: الخطابي والبلاغي (الاستعاري) في خطبة الحجاج بن يوسف لأهل الكوفة:

أنتقل في هذا المبحث إلى المقاربة البلاغية "الخطابية والشعرية في خطبة الحجاج بن يوسف الثقفي"، "خطبته إلى أهل الكوفة أنموذجا" سعيا مني إلى إظهار الجانب الآخر من الخطابة خاصة وأنني ركزت إلى الآن على الجانب التداولي، وهذا أمر ليس بالجديد فلطالما اهتم البلاغيون العرب بالكلام وخصائصه بصرف النظر عن الأجناس والأنواع التي يمكن أن يأتي بها ذلك الكلام، فالقوانين والخصائص التي المشتقة من النصوص الأدبية قوانين كلية يمكن أن تكون في الشعر أو النثر (الخطابة) لذا يسمون البلاغة بالعلم الكلي [1].. ومما لاشك فيه أن علاقة البلاغة بالحجاج إشكال لم يخلو من الإثارة والتعقيد لقي اهتماما كبيرا من قبل القدامى (أرسطو) والمحدثين أمثال بيرلمان وغيره . إن ما يشغلني في هذا المبحث ليس استعرض الأساليب البلاغية وجمعها وإنما علاقة مختلف الأساليب البلاغية (الاستعارة خاصة) بحجاجية الخطاب. [2]

1-ضبط مفاهيم : (الخطابة، الشعرية، البلاغة)

« لقد تأسس مفهوم الكلام عند البلاغيين على مبدأين جوهريين ومترابطين لا ينفصلان: مبدأ التداولية ومبدأ الشعرية. ويعني الأول أن الكلام لا ينتج إلا من

1 -ينظر: سامية الدريدي، الحجاج في الشعر العربي القديم، ص 58.

2 -ينظر: المرجع نفسه، ص ص 119- 120 .

أجل تحقيق منفعة. ويعني الثاني أن الكلام لا ينظر إلى مضمونه فقط بل إلى صورته وشكله أيضا، ومعنى هذا أن الخطاب البليغ يشتمل على مظهرين : مظهر حجاجي ومظهر أسلوبي، وليس من السهل دوما التمييز بينهما. [1]» وللوقوف عند هذه المسألة نحاول أولا ضبط بعض المفاهيم الاجرائية التي تدخل في صميم الموضوع وتحتاج إلى توضيح نظرا للغموض والإبهام والتداخل الذي وسم هذه المصطلحات في ذهن الباحثين والقراء فمنهم من يجعل الخطابة مرادفا للبلاغة ومنهم من يطلق البلاغة الجديدة وهو يريد الحجاج فقط وغيرها من الملابسات.

وقد اجتهد بعض الباحثين في البلاغة وتحليل الخطاب ومنهم الدكتور محمد العمري في رفع هذا اللبس موضحا ماهية هذه المفاهيم ، **فالخطابة** تعني كل خطاب يلقيه الخطيب قصد اقناع المتلقي واستمالته بما يلزم ويناسب من الوسائل الممكنة (الخطاب الاقناعي) أما لفظ الريطوريا –rhétorique في المفهوم الأرسطي –والذي لا يعني الخطابة بقدر ما يعني العلم الذي يهتم بها –، فهو ذلك العلم الذي يشتغل على الخطابة ويستخرج مكوناتها وتقنياتها الحجاجية بهدف الاقناع ولقد اقترح العمري أن يطلق مصطلح "الخطابية" على علم الخطابة –rhétorique.أما مفهوم **الشعرية** –poètique أو فن الشعر والمقصود منه العلم الذي يهتم بدراسة الشعر (الخطاب التخييلي) في ذاته بصرف النظر أنواعه

1 –حسن المودن، "الخطاب الاقناعي في البلاغة العربية"، موقع ديوان العرب ص 2 :

www.diwanalarab.com

وأغراضه وخصائصه، وعليه **فالبلاغة** هي ذلك العلم الكلي الذي يتسع للخطاب التداولي الحجاجي (الخطابية) وللخطاب الشعري التخييلي(الشعرية) ما أطلق عليه البلاغة العامة.[1]

2-مسار الخطابية والشعرية عند اليونان والعرب :

إن الحديث عن كلا المفهومين يستوجب ذكر مصدريهما من الناحية التاريخية، فما مصدر الخطابية والشعرية عند اليونان والعرب ؟

أ-عند اليونان :

بدأ مسار **الخطابية** من جزيرة صقلية الاغريقية في القرن الخامس قبل الميلاد أين كانت النشأة الأولى في سياق الدفاع عن الحقوق ثم انتقلت الى آثينا الديمقراطية حيث استكملت نشأتها واستوائها في ظل الحرية فأصبحت سطوتها بادية للعيان وهيمنت على مرافق الدولة والمجتمع ما جعل الفلاسفة يضيقون ذرعا بها وعى رأسهم "أفلاطون" الذي عدها من سقط المتاع مما يجب التخلص منه، الى أن جاء "أرسطو" الذي استطاع أن يخفف من حدة الصراع بين الفلاسفة والبلاغيين بتفكيكه امبراطورية البلاغة الى قسمين : الخطابية والشعرية واعتبرهما معا علمين كليين محافظا بذلك على موقع البلاغة دون أن يلقى تشويشا، فظلت الخطابة مع أرسطو تنمو وتتطور حتى مع من جاء بعده أمثال "شيشرون" الروماني-

1 -ينظر : ادريس جبري، "سؤال البلاغة في المشروع العلمي لمحمد العمري نحو بلاغة عامة"، ضمن كتاب "البلاغة والخطاب"، اعداد : محمد مشبال، منشورات الاختلاف، الجزائر، ط1، 2014 ، ص ص 259- 260.

"cicéron" و"كينثاليانوس" اللاتيني-"quintilien" محافظة على النسق الأرسطي.ومع بداية القرن السادس عشر الميلادي (ق 16 م) بدأت الخطابية في التراجع والانحدار مع ظهور الرومانسية والفلسفة الديكارتية والوضعية وهيمنة المنطق الصوري لتختزل في الوظيفة الجمالية، ومع القرن التاسع عشر الميلادي (ق 19 م) أقصيت البلاغة بجناحيها الخطابي والشعري من البرامج التعليمية بفرنسا واعتبرت من سقط المتاع كذلك .غير أن تغير الأحوال في ستينيات القرن الماضي وتهيؤ الظروف العلمية والتاريخية وفي ظل مخلفات الحرب العالمية الثانية سمح بعودة الخطابية من جديد في ثوب قشيب على يد بيرلمان ونخبة أخرى كل حسب مجال اختصاصه.

أما مسار **الشعرية**-poètique فقد ارتبطت شعرية أرسطو بمفهوم المحاكاة -الذي يقابل التخييل عند العرب-كوسيلة من وسائل الخلق والإبداع في الأدب والفن عامة، ومع تطور النظريات الأدبية والبلاغية واللسانية في العصر الحديث وجهود الشكلانيين الروس ومقترحات جماعة "مو- mu" البلجيكية التي جاءت بكتابين في هذا المجال"البلاغة العامة"، و"بلاغة الشعر" عادت الشعرية إلى الواجهة العالمية مع تركيز جاكبسون على "الأدبية" التي تعني ما يجعل نصا ما نصا أدبيا، أي البحث عن الشعرية العامة.فظل هذا التيار الشعري في منأى عن الخطابية وظل التيار الخطابي بعيدا عن الشعرية في استرجاع واضح للتقسيم الأرسطي اليوناني، غير أن هذا المسار الانفصالي سرعان ما طرح سؤال وحدة البلاغة عن طريق "أوليفي روبول" مقترحا طريقا ثالثا يبحث فيه عن جوهر البلاغة تجمع بين الشعري والحجاجي وتستوعبهما في منطقة تؤسس لبلاغة عامة قادرة على الامتاع والتعليم والتأثير[1].

1 -ينظر : ادريس جبري، "سؤال البلاغة في المشروع العلمي لمحمد العمري نحو بلاغة عامة"، ص 261 وما بعدها .

ب-عند العرب:

نشأت البلاغة العربية في أجواء تخالف نظيرتها الغربية في أجواء يطبعها البداوة والخشونة والعصبية وفي مناخ ثقافي يسيطر عليه الشعر الغنائي وفي أجواء سياسية محتقنة وصراعات مذهبية حادة وتفاعل ثقافي مع أمم مجاورة ذات تراث بلاغي متداول وقبل أن يستوي مفهوم البلاغة كان البيان مع الجاحظ (ت255هـ) مطلبا لتجاوز العنف السياسي والديني واستبداله بالحوار والإفهام والإقناع أي بالخطابة . فمركز البيان عند الجاحظ وهو يضع القواعد الأولى للخطابية العربية هو الفهم والإفهام بالوسائل اللغوية والاشارية خاصة أي كل ما يحقق الاقناع، وقد ربط مفهوم البيان منذ البداية بكلمة بلاغة حتى جعل الخطابة كأنها مرادفة للبلاغة فكان يؤسس بذلك للحجاج أو لبلاغة الخطاب الاقناعي . والى جانب البيان عند الجاحظ ظهر البديع عند عبد الله بن المعتز (ت296هـ) من خلال كتابه الذي جمع فيه الصور البلاغية الشعرية مستقرئا شعر الفحول المتقدمين، وفي القرن الخامس الهجري (ق 5 هـ) انتقلت البلاغة من الملاحظة والاستكشاف إلى بناء النماذج والأنساق لتكون بالفعل والممارسة، اذ يعد عبد القاهر الجرجاني (ت 471 هـ) ومن خلال كتابيه الأسرار والدلائل واضع اللبنات المؤسسة للبلاغة العربية، فاستبعد بعض المصطلحات المتداولة كالبديع والبراعة والطرافة والبيان التي لا تدل على المقصود ولا تنفذ إلى الجوهر ولا تساعد على كشف النسق حيث كان همه بلاغيا صرفا ويظهر ذلك في كتابه الأسرار باستخراج بلاغة الشعر من الكلام العربي البليغ على أساس عنصر الغرابة وما يصاحبه من مفارقة وتخييل وتأويل وغموض وكذب بغرض ابراز تفوق البلاغة القرآنية[1] .

1 – ينظر : ادريس جبري، "سؤال البلاغة في المشروع العلمي لمحمد العمري نحو بلاغة عامة"، ص 266 وما بعدها .

3-بين الشعرية والخطابية :

نشير إلى أن التقاء الشعرية بالخطابية قضية نقدية بلاغية أرسى أسسها أرسطو وبذل الفلاسفة المسلمون جهدا محمودا في إعادة قراءتها تلخيصا وشرحا [1]،، لكن حازم القرطاجني (ت684هـ) يبقى أكثر من استوعب قراءة هؤلاء الفلاسفة الحضارية حيث عرف البلاغة بأنها علم كلي معضود بالمنطق والفلسفة يشمل صناعتي الشعر والخطابة مستوعبا الخطابين التخييلي والاقناعي وبهذا المفهوم العام لها يكون قد تجاوز البلاغات الجزئية السائدة حيث نسج على منوال بلاغة أرسطو محققا التفاعل بين التراث اليوناني والعربي [2]بل أن تكوينه الفلسفي أهله لأن يعيد النظر في المقررات الأرسطية في الموضوع عندما أراد استنباتها في التربة العربية فقد أدخل تعديلات على عميقة على مقولتي الشعر والخطابة عند أرسطو عندما أسقط الحدود الأرسطية بينهما، ولذا فان أهمية ما جا به حازم تزداد نظرا إلى ما أقامه من جسر واصل في البلاغة العربية بين الخطابة والشعرية [3] .

1 -ينظر: الامام العزوزي "أشكال التخييل والاقناع في بلاغة حازم القرطاجني"، ضمن كتاب "البلاغة و الخطاب"، اعداد : محمد مشبال، منشورات الاختلاف، الجزائر، ط1، 2014 ، ص ص 101- 102 .

2 -ينظر : ادريس جبري، "سؤال البلاغة في المشروع العلمي لمحمد العمري نحو بلاغة عامة"، ضمن كتاب "البلاغة والخطاب"، اعداد : محمد مشبال، ص 272.

3 -ينظر : مصطفى الغرافي، "عن البلاغة-دراسة في تحولات المفهوم"، موقع ديوان العرب، ص 12:

www.diwanalarab.com.

وقد وجد حازم في شعر أبي الطيب المتنبي النموذج الأمثل لقدرته على توظيف العناصر الاقناعية في الشعر الذي كان لشعره تأثير عميق في النفوس وأبدع تخييلات جديدة كاشفا عن خبرته بأعماق النفوس ولم ينل من شاعريته استخدامه للقياس والاستدلال بل كان أحد أسرار توهجها، وكان قد دار نقاش حول طبيعة المعاني الشعرية ووجوب ابتعاد الشعر عن الحجاج فالقدامى يرون أن الشعر والإقناع يقعان بين طرفي نقيض بينما يمضي حازم في التنظير لفكرته مبينا أن الشاعر يراوح بين المعاني التخييلية والاقناعية لكن الاقناع لا يعد هدفا وإنما نوع من الحيلة لتنويع الأساليب وهذه مهمة الشاعر لأن النفوس كما يضيف تحب الافتنان في مذاهب الكلام، ولهذا كانت المراوحة بين المعاني الشعرية والخطابية أعون على تحصيل الغرض المقصود[1] .

وما قيل عن حاجة الشعر إلى الاقناع بقدر يقال عن الخطابة حيث اتفق الفلاسفة المسلمون على أن لغة الخطابة تستعمل ما هو شعري لحاجتها إليه في الإقناع لكن بشروط بحيث تظل الحدود الفاصلة بين الخطابة كصناعة تصديقية والشعر كصناعة تخييلية قائمة والأساس أن الخطابة تهدف إلى تحقيق جودة الافهام مع جودة الالذاذ في حين أن الشعر يهدف إلى التخييل[2] "وهناك من يفصل

1 -ينظر: الامام العزوزي، "أشكال التخييل والاقناع في بلاغة حازم القرطاجني"، ضمن كتاب "البلاغة و الخطاب"، إعداد : محمد مشبال،ص ص 97- 99.

2 -ينظر: ألفت محمد كمال عبد العزيز، نظرية الشعر عند الفلاسفة المسلمين من الكندي حتى ابن رشد دراسات أدبية، الهيئة المصرية العامة للكتاب، القاهرة، ص 209.

بينهما وحجته أنه إذا كان كل من الشعر والخطابة يستهدفان المتلقي، فان ما يلتمسه الشعر من المتلقي شيء مختلف تماما عما تلتمسه الخطابة، فالشعر في أجود نماذجه قد يترفع عن مهام الاقناع .ولم يمتدح أبدا الغموض في الخطابة كما امتدح في الشعر، وقلما خطب الخطباء لإمتاع السامعين .وأن ما نعتبره مقومات شعرية في الخطابة هي في الواقع مقومات حجاجية[1] لكن التمييز بين الخطابية والشعرية عند الفارابي يقوم على فكرة الهيمنة حسب مفهومها عند "ياكوبسون" لا على الانفصال والقطيعة، تتمثل في أن هيمنة العناصر التخييلية في الشعر لا تلغي الوظيفة الإقناعية بل تكتفي بالهيمنة عليها، وبالمقابل أن تغلب الأنساق الاقناعية في الخطابة لا يعني إلغاء الوظيفة التخييلية التي من مهامها الكشف عن الجوانب الاقناعية[2].وهكذا لم تكن أصول البلاغة العربية نشأة شعرية فحسب باعتبار الشعر ديوان العرب بل كان لها منبعان رئيسيان أنتجا مسارين كبيرين، مسار البديع (ماذهب إليه ابن المعتز) يغذيه الشعر، ومسار البيان (ما ذهب اليه الجاحظ) تغذيه الخطابة [3].

وفي العصر الحديث اقتفى بعض الباحثين أثر حازم القرطاجني في محاولة لقراءة أعماله والاستفادة من جهوده في سياق التضافر بين الاقناع والإمتاع محاولين ضبط تعريف للبلاغة يصل بين الشعرية والخطابية وعلى رأس هؤلاء محمد العمري

1 -ينظر: محمد الولي "بلاغة الحجاج" موقع سعيد بنكراد، ص 2.

2-ينظر: محمد القاسمي،"قضايا النقد الأدبي المعاصر" ص ص 148،- https://books.google.dz: 152

3 -ينظر: محمد العمري ، "البلاغة الجديدة بين التخييل والتداول"، ص 29 .

الذي يرى أن البلاغة هي «علم الخطاب الاحتمالي الهادف إلى التأثير أو الاقناع أو هما معا»[1] .فموضوع البلاغة هو الخطاب وتحليله شريطة أن يحدث الخطاب تأثيرا في المتلقي، أما كونه احتماليا وهو أن يجافي صرامة العلم وبداهته أي أن تكون طبيعته رخوة يفتح فيها المجال لتعدد وتصارع وجهات النظر وتدافعها دون أن تدعي أي منها امتلاك الحقيقة المطلقة ذلك هو مجال البلاغة بامتياز حيث النسبي والمتوقع والممكن والراجح والمحتمل[2].

فقد بين العمري أن «الشعري والخطابي يلتقيان في منطقة المحتمل ويفترقان من حيث إن نواة الشعرية تتبلور في العلاقة بين كلمات مفاتيح هي الإنتاج والحكي والمحاكاة والحبكة، وبهذا تعارض نواة الخطابية التي هي الحجاج لكن هذا التمييز قد لايصمد حين نستحضر النشأة العربية للبلاغة وحين نستحضر جهود البلاغيين المحدثين في البحث عن منطقة بين التخييل والتداول قصد توسيعهما، كما فعل"أوليفي روبول- olivier revoul " حين يتبنى مفهوما للبلاغة يجمع بين الحجاج والأسلوب، ويشمل كل خطاب تحضر فيه الوظائف الثلاث : المتعة والإثارة مدعمتين بالحجاج»[3] .

1 – محمد العمري ، "البلاغة الجديدة بين التخييل والتداول"، إفريقيا الشرق، الدار البيضاء، 2005، ص 6.

2 – ينظر : ادريس جبري، "سؤال البلاغة في المشروع العلمي لمحمد العمري نحو بلاغة عامة"، ضمن كتاب "البلاغة والخطاب"، اعداد : محمد مشبال ، ص 283.

3 –عبد الرحيم وهابي، "القراءة التداولية للبلاغة العربية" قراءة في المنجز البلاغي لمحمد العمري ، مجلة البلاغة وتحليل الخطاب، العدد 5، 2014 ، ص 77 .

4-إزدواجية الصورة المجازية الاستعارية :

لقد أدرك النقاد والباحثون في مجال الأدب وهم يتعرضون إلى طرق التصوير الفني أن الأدب إذا خلا من الصورة والتصوير لا يخرج عن ضروب الكلام المألوف في حالة الإبلاغ والتواصل، فليس من السهل الاحاطة بمفهوم **الصورة الأدبية** فهو كالسراب يحسبه الظمآن ماء يصعب تحديده لاختلاف وتباين المرجعيات والمناهج والنظريات والآراء والبيئات المعرفية .

أ- الصورة الأدبية :

ترى فرانسوا مورو أنه يجب على الدارسين استخدام المصطلح بفطنة وحذر فهي لفظة غامضة وغير دقيقة، ولهذا كان مفهوم الصورة زئبقي لا يستقر عند حد معين [1], وما يلفت الانتباه أنه إذا كان ملفوظ الصورة في البلاغة الكلاسيكية يضم كل الأشكال البلاغية التصويرية من تشبيه واستعارة وكناية ومجاز ورمز وأسطورة، فان البلاغيين الجدد بحسب "جيرار جينيت – Girard Genette" اختزلوا البلاغة فأصبحت تعني الأسلوب أو فن العبارة بل جزء من الأسلوب فقط وهو الاستعارة [2].ويرى مصطفى ناصف أن مصطلح الصورة يطلق للدلالة على كل ما له

1 -ينظر:نور الدين دحماني،"الوظيفة الجمالية للصورة الفنية "، مجلة الأثر، العدد 22، جوان 2015، ص 18.

2- ينظر: خالد بوزياني، "الصورة الأدبية وخصائصها اللغوية بين البلاغيين والأسلوبيين"، رسالة دكتوراه، جامعة الجزائر يوسف بن خدة، كلية الآداب واللغات، موسم : 2007/2006، ص ص 20-21.

صلة بالتعبير الحسي كما يطلق أحيانا مرادفا للاستعمال الاستعاري للكلمات[1] . بينما يرى "سيسيل دي لويس" بأنها «رسم قوامه الكلمات المشحونة بالإحساس والعاطفة »[2]، «فالمعنى موجود قبل التعبير عنه وأن الخلاف بينه قبل وبعد التعبير محصور فيما يحدث فيه من تحسين وتزيين أو خصوصية وتأثير، هذا التحسين أو التزيين قد يسمى إيجازا أو توكيدا أو قصرا أو تقديما وتأخيرا، وبالجملة ما نسميه تركيبا، كما يسمى في أحيان أخرى مجازا أو تشبيها أو استعارة أو كناية، وبالجملة ما نسميه نحن بالصورة الفنية»[3].

ومن خلال هذا القول يتبين أن الصورة الفنية طريقة خاصة من طرق التغيير تنحصر أهميتها في ما تحدثه في معنى من المعاني من خصوصية وتأثيرا في المتلقي، وتغييرها لا يخص طبيعة المعنى في ذاته وإنما تغير من طريقة عرضه وتقديمه . ومن هنا أجمع أهل البلاغة والنقد في القرنين الثالث والرابع الهجريين على أهمية **المجاز** وفائدته مجمعين على أنه يفيد ما لا تفيده الحقيقة ولولا ذلك لكانت الحقيقة أولى منه[4]، فالحقيقة أصل والمجاز فرع ولا يعدل عن الأصل إلى الفرع إلا لفائدة[5].

1 -ينظر:نور الدين دحماني،"الوظيفة الجمالية للصورة الفنية" ، ص 18 .

2 - سيسيل دي لويس "الصورة الشعرية"، ترجمة أحمد الجنابي، مالك مير، سلمان حسن، دار الرشيد للنشر، بغداد، 1982، ص 23 .

3 -جابر عصفور، "الصورة الفنية في التراث النقدي والبلاغي عند العرب"، المركز الثقافي العربي، بيروت، ط3، 1992، ص ص 322-323 .

4 -ينظر :المرجع نفسه، ص 323 .

5 -ينظر: ضياء الدين ابن الأثير، "المثل السائر في أدب الكاتب والشاعر" ج 1، تقديم وتعليق : أحمد الحوفي وبدوي طبانة، دار نهضة مصر للطبع والنشر، القاهرة، ص 89 .

ب- المجاز :

يعرفه عبد القاهر الجرجاني (ت 471هـ) بقوله: «كل كلمة أريد بها غير ما وقعت له في وضع واضعها لملاحظة بين الثاني والأول»[1] . وقد ذكر له السكاكي ثلاثة مفاهيم منها قوله: «ولك أن تقول **المجاز** هو الكلمة المستعملة في غير ما تدل عليه بنفسها دلالة ظاهرة استعمالا في الغير بالنسبة إلى نوع حقيقتها مع قرينة مانعة عن إرادة ما تدل عليه بنفسها في ذلك النوع »[2].أما ابن الأثير (ت637هـ) فيفصل بين الحقيقة والمجاز بقوله:"فأما الحقيقة فهي اللفظ الدال على موضوعه الأصلي وأما **المجاز** فهو ما أريد به غير المعنى الموضوع له في أصل اللغة، وهو مأخوذ من جاز من هذا الموضع إلى هذا الموضع إذا تخطاه إليه "[3].فإذا قلنا : محمد غزال فالحاصل أن محمد إنسان والغزال هو الحيوان وقد جزنا من الإنسانية إلى الغزالية فعبرنا من هذه إلى هذه لوصلة بينهما وهي صفة الجمال. وقد أرشد ابن رشيق القيرواني (ت463هـ) إلى أهمية المجاز في اللغة قائلا: «المجاز في كثير من الكلام أبلغ من الحقيقة أحسن موقعا في القلوب والأسماع وما عدا الحقائق من جميع الألفاظ ثم لم يكن محالا محضا فهو مجاز لاحتماله وجوه التأويل، فصار التشبيه

1 -عبد القاهر الجرجاني، "أسرار البلاغة"، تح : محمود شاكر، دار المدني، جدة، مطبعة المدني، القاهرة، دط، د ت، ص 351 .

2- أبو يعقوب السكاكي، "مفتاح العلوم"، ضبط وتعليق: نعيم زرزور، دار الكتب العلمية، بيروت، ط 2، 1987، ص ص 359- 360 .

3 - ينظر: ضياء الدين ابن الأثير، "المثل السائر في أدب الكاتب والشاعر" ج 1، ص 84 .

والاستعارة وغيرهما من محاسن الكلام داخلة تحت المجاز »[1] وهنا يعن لنا التساؤل التالي: ما دور الأسلوب في دعم القصد الحجاجي في هذه الخطبة ، فهل يمكن للوسائل البلاغية المختلفة، كالتشبيه والاستعارة والكناية وغيرها، أن تدعَمَ الطاقة الحجاجية للقول، وأن تُثبِت قدرته على الاقناع، فتُعَد حينئذ من وسائل التأثير والاستمالة؟ سنحاول أن نحاور هذا الخطاب انطلاقا من تصور البلاغة الجديدة التي تعتبر الخطاب الإقناعي هو أكثر النصوص بلاغة .

يرى ابن رشيق أن الاستعارة أفضل صور المجاز وأن الشعر لا يحسن إلا بها إذ يقول: « الاستعارة أفضل المجاز وأول أبواب البديع وليس في حلى الشعر أعجب منها وهي من محاسن الكلام إذا وقعت موقعها ونزلت موضعها» [2] .

ج-الاستعارة :

في اللغة من العارية أي ما تم تداوله بينهم، من أعاره الشيء أو أعاره منه، واستعاره الشيء واستعاره منه طلب منه أن يعيره إياه واستعاره ثوبا فأعاره إياه [3] . وقد اجتهد البلاغيون العرب القدامى في وضع مفهوم لها لكن ما جاؤوا به لم يخرج عن المعنى اللغوي للاستعارة، فهي ليست مجرد نقل للفظ من معناه الذي وضع له

1 -ابن رشيق القيرواني، "العمدة في صناعة الشعر ونقده"، ج1، تح: نبوي عبد الواحد شعلان، مكتبة الخانجي، القاهرة، ط1، 2000، ص 430.

2 -المصدر نفسه، ص 435.

3 -ينظر: ابن منظور، "لسان العرب ، المجلد الرابع" ص ص 618- 619 .

في اللغة، فهذا المفهوم لا يؤدي إلى إيضاح الهدف الحقيقي من الاستعارة عند عبد القاهر الجرجاني وهو المبالغة القائمة على الادعاء، ومن هنا فالاستعارة عنده طريقة من طرق الاثبات عمادها الادعاء فقولك:رأيت أسدا فأنت تدعي أنه ليس لرجل وإنما أسد ومرادك اثبات صفة الأسد للرجل وبالتالي فأنت لم تطلق اسم الأسد على الرجل إلا بعد أن أعرته معنى الأسدية وأدخلته في جنس الأسود وهذا هو الادعاء، والى جانب استبعاده لفكرة النقل من مفهوم الاستعارة نراه يؤكد على أنها ليست من قبيل التداخل بين الأشياء أو الخلط بين العوالم إنها محض ادعاء بأن هذا هو ذاك. وسواء كانت الاستعارة نقلا أو ادعاء فان جوهرها واحد فالتمايز بين طرفيها ثابت لا يهتز، فعبد القاهر كان كسابقيه يلح على ضرورة التناسب والمشابهة بين الطرفين في الاستعارة وهي عنده من قبيل الترجمة الحسنة للمعنى وأنها لاتغير المعنى على الاطلاق، إنها طريقة من طرق إثبات المعنى وتأكيده .[1] فهل كانت الصورة عند العرب تعد حجة كذلك ؟ من هنا كان النظر إليها من وجهة نظر حجاجية . « إن الادعاء كفعل حجاجي يستوجب إدخال المستعار له في جنس المستعار منه على وجه الحقيقة، وذلك بخلق عالم ثالث هو العالم الممكن، حيث يمكننا أن نجمع فيه بين عالمين ذي بنيتين ونسقين مختلفين فنصير المستحيل ممكنا عن طريق الخيال .لذلك اعتبره الجرجاني أداة من أدوات الاقناع »[2] إن إشكالية حجاجية الصورة قد

1 -ينظر: جابر عصفور، " الصورة الفنية في التراث النقدي والبلاغي عند العرب"، ص ص 224-226 .

2 -مكلي شاملة، الحجاج في شعر النقائض،" دراسة نصين لجرير والفرزدق"، دار ميم للنشر الجزائر، د ط، 2010، ص 138 .

نالت نصيب من اهتمام عبد القاهر الجرجاني ومن نهج نهجه، فهو يربط التشبيه بالقياس وهذا في قوله : «أما الاستعارة فهي ضرب من التشبيه ونمط من التمثيل والتشبيه قياس، والقياس يجري فيما تعيه القلوب، وتدركه العقول وتستفتى فيه الأفهام والأذهان لا الأسماع والآذان »[1]،وهذا يدخل في الاستدلال بواسطة التمثيل الذي يعني تشكيل بنية واقعية تسمح بإيجاد أو اثبات حقيقة عن طريق تشابه في العلاقات، فهو احتجاج لأمر معين عن طريق علاقة الشبه التي تربطه بأمر آخر وهذا هو مجال التشبيه والاستعارة أو ما عرف عند الفلاسفة بالقياس الشعري وكان تأثر العرب فيه واضحا بأرسطو فقد تطرق ابن سينا (ت1031 م) إلى القياس الشعري في كتابه القياس (القسم الرابع من المنطق) مؤكدا أن قولنا: فلان قمر يرجع في الواقع إلى قاعدة قياسية فالقول المذكور يؤدي إلى البناء التالي:

جملة ثانوية فلان جميل الوجه

جملة أساسية كل جميل الوجه قمر

استنتاج فلان قمر

وبما أن الاستعارة تشبيه حذف بعض أركانه فيمكن صياغة القياس على الشكل التالي:

1 – عبد القاهر الجرجاني، "أسرار البلاغة"، تح : محمود شاكر، دار المدني، جدة، مطبعة المدني، القاهرة، دط، د ت، ص 20.

جملة ثانوية فلان جميل الوجه

جملة أساسية كل جميل الوجه كالقمر

استنتاج فلان كالقمر

فالقياس الماثل أمامنا صريح مبني على مقدمتين صغرى وكبرى تقودان إلى استنتاج . ولكن ما يظهر عادة هو الشكل الضمني من القياس أي الاكتفاء بالاستنتاج الذي يخفي مقدمتين وذاك طبيعي لأن الشكل الصريح يهدم الطاقة الايحائية للاستعارة أو التشبيه مما يضعف من قدرة الصورة على الفعل والتأثير، وقد نبه الفلاسفة العرب إلى أن القياس الشعري يرد في الشعر كما يرد في النثر فللخطيب أن يعتمد الأقاويل الشعرية كما للشاعر أن يستعمل الأقوال الخطابية . فكيف أمكن للاستعارة والتشبيه أن يكونا حجاجيين؟ إن الذي جعلهما يضطلعان بوظيفة استدلالية اقناعية أنهما يمثلان ضربا من القياس كما رأينا، وقوة التشبيه أو الاستعارة تأتي من قدرتهما على التقريب بين عنصرين من نظامين مختلفين مع محاولة طمس ما بينهما من فروق .

وقد ذهب أوليفي روبول إلى أن الاستعارة أكثر إقناعا من القياس بفضل المزج الذي تحدثه بين المستعار والمستعار له، ومن هنا نفهم أن الاستعارة الحجاجية ليست مجرد زخرفة قولية بل هي أداة أساسية في الحجاج . وهذا ما يعيدنا الى ما ذكرناه سابقا من أن القدامى أجمعوا على أن المجاز أبلغ من الحقيقة، فالقول الاستعاري أكثر حجاجية من القول العادي حيث يرى ميشال لوقرن (michel

le guern) أن كلمة حمار إذا أطلقت على حمار طويل الأذنين أقل دلالة على القدح مما إذا استخدمت في حق شخص ما.[1] ومن النقاد الفلاسفة الذين أثروا في الدراسات البلاغية واللسانية المعاصرة "بول ريكور" الذي أولى عناية كبيرة للاستعارة وخاصة في كتابه (الاستعارة الحية) التي اعتبرها أبرز مظاهر العدول تتمتع بثراء وتنوع الدلالة وتفرعها مما يوفر للمحاجين فرصة التنويع في الأساليب والعبارات الشيء الذي يحقق أهدافا كثيرة للمتكلم ابلاغية أم تواصلية أم ابداعية أم حجاجية .

وقد برز الاهتمام بحجاجية البلاغة عامة والاستعارة خاصة عند البلاغيين الجدد الذين استطاعوا أن يحرروا البلاغة من الاختزال والتضييق الذي مورس عليها أمدا طويلا وعلى رأس هؤلاء "شاييم بيرلمان وأولبريخت تيتيكا " فدارت معظم بحوثهم في الطاقات الحجاجية المخبؤة في مفاهيم البلاغة، فبالنسبة لبيرلمان كل تصور لا يلقي الضوء على أهمية الاستعارة لا يشفي غليله، فهو كعالم من علماء الحجاج لم يغفل الطبيعة الشعرية والفلسفية للاستعارة ويعتبر أن اهتمامه هذا ليس حكرا عليه لوحده وإنما هو اهتمام مشترك في الفكر الانساني حيث أن معظم العلوم اللغوية وغيرها تقر بدور الاستعارة الحجاجي.[2] وسنرى كيف تحقق هذا الدور بامتياز وبراعة في خطبة الحجاج بن يوسف الثقفي.

1 -ينظر: سامية الدريدي، " الحجاج في الشعر العربي ' بنيته و أساليبه" ، ص 252 وما بعدها .

2 -ينظر: البشير عزوزي،" حجاجية الاستعارة في الشعر العربي، ديوان المتنبي أنموذجا"، رسالة ماجستير،كلية الآداب واللغات جامعة البويرة، تاريخ المناقشة : 16 جوان 2014، ص 54 وما بعدها .

من الصور التعبيرية الاستعارية البديعة ذات الطاقة الحجاجية الهائلة قوله مخاطبا أهل الكوفة: « إني لأحمل الشر بحمله »[1]، فذكر المشبه (الشر) وحذف المشبه به وأبقى على أحد لوازمه (الحمل) على سبيل الاستعارة المكنية، ووجه بلاغتها يكمن في في روعة التصوير من خلال الباس المعنوي (الشر) ثوب المحسوس (الحمل)، حيث جعل الشر حملا يحمل على الأكتاف كاملا دون أن ينقص منه شيئا أحضره إليهم لينفق منه عليهم مما أثار في قلوب المخاطبين الرعب والخوف فهو لا يبحث عن رضاهم ولا يحتاج إلى قلوبهم وعواطفهم لتكون معه بل إلى حملهم على سلوك معين عن طريق التهديد والترهيب، فما يشغل الخطيب في الحجاج بالقوة هو استسلام المخاطب وانصياعه بصرف النظر عن اقتناعه [2]، كما قال عتبة بن أبي سفيان أحد أشهر خطباء بني أمية : « اعلموا أن سلطاننا على أبدانكم دون قلوبكم، فأصلحوا لنا ما ظهر، نكلكم الى الله فيما بطن، وأظهروا خيرا وان أسررتم شرا، فإنكم حاصدون ما أنتم زارعون، وعلى نتوكل وبه نستعين»[3].

1 -أحمد زكي صفوت، "جمهرة خطب العرب" ج2، ص 275 .

2 -ينظر: مصطفى الغرافي،" خطب كتاب عيون الأخبار أنموذجا"، ضمن كتاب بلاغة النص التراثي، مقاربات بلاغية حجاجية اشراف:محمد مشبال، دار العين للنشر، القاهرة،ط1، 2013، ص 55.

3 -مصطفى الغرافي،" خطب كتاب عيون الأخبار أنموذجا"، ضمن كتاب بلاغة النص التراثي، مقاربات بلاغية حجاجية اشراف:محمد مشبال، ص 55 .

وبالتالي تحققت للخطيب غايته في توجيههم الوجهة التي يريدها وهنا يتضح تأثير الاستعارة وقيمتها الحجاجية، وفي نفس سياق الاستعارة السابقة يردف الحجاج قائلا: «وأحذوه بنعله»[1] مشخصا (الشر)في صورة إنسان يمشي له نعلين وهذه استعارة معطوفة على التي قبلها لاتخرج عن التهديد والوعيد، والمعنى الجديد من وراء هذه الصورة هو أن الحجاج مرادف للشر بل هو الشر بعينه، ولك أن تتخيل حجم خوف المخاطبين لما يوقنون أن أميرهم هو الشر ؟ ثم يقول في صورة استعارية أخرى: « إني لأرى ...رؤوسا قد أينعت »[2]، فذكر المشبه (رؤوس القوم) وحذف المشبه به (الثمار)وأبقى على أحد لوازمه(أينعت) على سبيل الاستعارة المكنية حيث أتى بصورة بليغة تغني عن كل شرح وإيضاح فأهل العراق أهل نخيل وتمر أكثر من يعلم أن الثمار اليانعة تقطف فما بالك إن كانت رؤوسهم هي الثمار اليانعة التي وجب قطفها ؟ إنهم بعد سماعهم لهذه الصورة لا أحد سيقبل أن يكون من هذه الفئة بل سيختار عدم النضوج والاستواء ليحافظ على رأسه ومفاده: طاعة الأوامر في إذعان وتسليم من غير اعتراض، وفي هذه الصورة إشارة إلى قوته وجبروته وتمكنه منهم وهذا مقصده وغرضه .وفي سياق تهديده ووعيده لأهل العراق والكوفة نجده بعد أن أزبد وأرعد يبين لهم سبب اختياره واليا عليهم فإذا عرف السبب بطل العجب إذ يقول:« وإن أمير المؤمنين أطال الله بقائه نثر كنانته بين يديه، فعجم

1 - أحمد زكي صفوت، "جمهرة خطب العرب" ج2، ص 275.

2 -المرجع نفسه، الصفحة نفسها.

عيدانها فوجدني أمرها عودا، وأصلبها مكسرا، فرماكم بي»[1]، ففي قوله (نثر كنانته) شبه رجال الخليفة بالسهام وهي في جعبتها يقلبها الخليفة بين يديه، فحذف المشبه به (الرجال) وصرح بالمشبه به (السهام في الكنانة) على سبيل الاستعارة التصريحية، والملاحظ أن اختيار الحجاج للفظ المشبه به (الكنانة) لا يخرج عن دائرة الحرب والقتال وهذا واضح من وقت دخوله المسجد مرتديا عمامة الحرب الحمراء حتى يفهم القوم أنه لم يأتي بالسلم وإنما بالحرب، فالصورة واضحة تبين براعته في حسن التصوير وانتقاء اللفظ، ثم يجعل نفسه السهم الأكثر قوة وصلابة في : (فوجدني أمرها عودا وأصلبها مكسرا) حيث حذف المشبه(الحجاج) وصرح بالمشبه به (العود الصلب أو السهم القوي)على سبيل الاستعارة التصريحية، وفي قوله (فرماكم بي) شبه الحجاج بالسهم القاتل الذي رماه الخليفة عبد الملك بن مروان على أهل العراق وأصابهم في مقتل فحذف المشبه به وأبقى على أحد لوازمه (رماكم) على سبيل الاستعارة المكنية.وفي قوله: « واضطجعتم في مراقد الضلال»[2] جسد (الضلال) وهو شيء معنوي في صورة حسية(المرقد) على سبيل الاستعارة المكنية والاضطجاع يفهم منه الاستغراق في النوم والراحة التي يجدها أهل الكوفة في مرقد الضلال ووكر الغواية أي أنهم يجدون راحتهم في التمرد والخروج عن أولي الأمر والخليفة.

1 – أحمد زكي صفوت، "جمهرة خطب العرب" ج2، ص 276 .

2 – المرجع نفسه، الصفحة نفسها.

د-التشبيه:

اختلف العلماء في كونه حقيقة أو مجازا فقد ذهبت طائفة منهم إلى أنه ليس مجازا وعلى رأسهم عبد القاهر الجرجاني الذي يرى أن التشبيه الصريح يخلو من نقل اللفظ عن موضوعه لأنه معنى من المعاني وله حروف وألفاظ تدل عليه وتبعه آخرون ومنهم السكاكي، ويرى البعض إنما هو توطئة لمن سلك سبيل الاستعارة والتمثيل لأنه كالأصل لهما وهما كالفرع له، ويذهب فريق آخر إلى أن التشبيه داخل تحت المجاز كما عند الزمخشري وابن رشيق القيرواني وسبب ذلك لأن المتشابهين في أكثر الأشياء إنما يتشابهان بالمقارنة على المسامحة والاصطلاح لا الحقيقة ووجه الاختلاف في إدراجه في المجاز من عدمه يرجع إلى كونه تام الأركان أم لا،فليس كل تشبيه حقيقة وليس كل تشبيه مجازا [1].

إذن يعد التشبيه وجها من أوجه الاستعمال المجازي للغة يأتي ثانيا بعد الاستعارة من حيث درجة الوضوح والغموض والإقناع فإن دلت الاستعارة على المطابقة التامة بين المستعار منه والمستعار له إلى درجة الغموض، فإن التشبيه لا يدل بالضرورة على وجود هذا التطابق، فهو يعتبر وجها من وجوه المقارنة بين الطرفين (المشبه والمشبه به) بإشراك هذا في صفة من صفات ذاك[2].

1 -ينظر: معيد زكري الهاشمي،"المجاز في أساس البلاغة للزمخشري"، رسالة ماجستير،كلية التربية جامعة بغداد، مايس 2005 ، ص 40 وما بعدها .

2 -ينظر : مكلي شاملة، "الحجاج في شعر النقائض"، دراسة نصين لجرير و الفرزدق، ص 144 .

وقد تعددت التشبيهات في خطبة الحجاج التي استهلها بتشبيه بليغ في قوله: «أنا بن جلا»[1]من بيت شعري لسحيم بن وثيل الرياحي وقيل ابن جلا:الصبح لأنه يجلو الظلمة وهو مثل يضرب للمشهور الواضح، وقيل: تعني "الليث" سمي بذلك لوضوح أمره وكان صاحب فتك يطلع في الغارات من ثنايا الجبل وأهل العراق أعرف الناس بفتكه [2]، والقصد من وراء هذا التشبيه أن يعلم القوم أن الحجاج (المشبه) وابن جلا (المشبه به) شيء واحد لا يختلفان وهنا تكمن قوة وبلاغة التشبيه المؤكد المجمل (البليغ) فمن شأن التقريب بين صورتين متباعدتين أن يفضح عن المعنى لإحداث الأثر المطلوب في المخاطب.

ولننتقل إلى القول التالي: «وكأني أنظر إلى الدماء بين العمائم واللحى تترقرق » [3]، ففي هذا التشبيه يعبر الحجاج عن تصوره لرؤى مستقبلية حيث يتخيل منظرهم وهم غارقون في الدماء الجارية بين عمائمهم ولحاهم وهي صورة مرعبة ومفزعة تولدت عن طريق التشبيه التمثيلي الذي تكمن بلاغته في أن وجه الشبه صورة مركبة بحيث أن المخاطب يتخيل الصورة الأولى (الدماء) والصورة الثانية (تجري بين العمائم واللحى) والصورة الثالثة (تترقرق) .وفي قوله: «لا يغمز جانبي كتغماز التين »[4] وهو تشبيه بين صورتين متباعدتين جمع بينهما للدلالة على معنى

1 – أحمد زكي صفوت، "جمهرة خطب العرب"، ج2، ص 274.

2 –ينظر: المرجع نفسه، الصفحة نفسها.

3 –المرجع نفسه، ص 275 .

4 – نفسه، ص 276

جديد هو فطنته لكل حركة قد يقوم بها أحدهم فهو مستعد لمجابهة الفتن والمؤامرات والدسائس.

والنص حافل بالتشبيهات المختلفة ومنها التشبيه من باب إضافة المشبه به إلى المشبه وهو أحد أنواع التشبيه البليغ حيث سيطر على الفقرة التالية:"أما والله لألحونكم لحو العصا، ولأقرعنكم قرع المروة، ولأعصبنكم عصب السلمة، ولأضربنكم ضرب غرائب الإبل "، نلاحظ كيف أن الحجاج كثف من التشبيهات المتتابعة في سياق واحد عن قصد منه وكأنه في هجوم مباغت على عدوه لا يترك له لحظة التقاط أنفاسه فيمطره بوابل من القذائف المتتابعة. ففي قوله: (لألحونكم لحو العصا) صورة تعبيرية جلية مفادها أنه سيسلخ جلودهم، كما ينزع اللحاء أو القشرة عن العصا والمعنى المقصود هو سهولة سلخ جلودهم ما يوحي بالغلظة والقسوة لتخويف المخاطب ودفعه إلى الخضوع والإذعان والتسليم.

ولم يخرج في باقي التشبيهات عن سياق الوعيد والتهديد مثل: (لأقرعنكم قرع المروة) أي أضرب بعضكم ببعض، كما تقرع الحجارة مع بعضها لتولد النار و(لأعصبنكم عصب السلمة) أي أضيق عليكم بالرباط المحكم فأعصبكم، كما تعصب السلمة أغصانها وهي شجر مليء بالأشواك، والقصد أن لامفر مني ولامهرب، وقوله (لأضربنكم ضرب غرائب الإبل) دلالة على التعامل بحزم وشدة دون رأفة أو رحمة[1]، كما اقتبس من القرآن الكريم صورة بلاغية تعبيرية رائعة توضح

1 -ينظر: أحمد زكي صفوت، "جمهرة خطب العرب" ج2، ص 276 .

المعنى وتؤكده، حيث شبه أهل العراق بأهل القرية التي كانت تعيش في نعيم ثم كفرت بأنعم الله عليها فكان جزاؤها الجوع عقابا على ما بدر منهم، وكأن الحجاج يخاطبهم قياسا على ما ورد في الآية : وأنتم يا أهل العراق لقد أرسل إليكم الخليفة الرسل والولاة لرعايتكم فكفرتم بالنعمة وانقلبتم عليه فسلطني الخليفة عليكم لتأديبكم عقوبة على ما بدر منكم فاتقوا شري .

هـ-الكناية:

اختلف البلاغيون في كونها حقيقة أو مجازا ومن الذين أخرجوها من المجاز الرازي وعز الدين بن عبد السلام الذي يرى أنها تستعمل اللفظ فيما وضع له وتريد به الدلالة على غيره، ولم تخرجه من أن يكون مستعملا فيما وضع له، وذهب آخرون الى أنها مجاز ومن هؤلاء السكاكي الذي يرى أنها تنزل من المجاز منزلة المركب من المفرد، وعند ابن الأثير الكناية من الاستعارة، أما القزويني فيرى أنها واسطة بين الحقيقة والمجاز[1]. وقد وردت في لسان العرب : «أن تتكلم بشيء وتريد غيره»[2]، ما يجعلها تدخل في الغموض، إذ أن لجوء الخطيب الى التلميح واجتنابه التصريح المباشر والإفصاح عن المعنى لهو أكثر تشويقا وإثارة للمخاطب وجعله يبحث عن فهم المعاني فلطالما كان الغموض أكثر إثارة للانتباه وإشغالا لذهن المتلقي مما يجعل المعنى راسخا في نفسه.

1 ينظر: معيد زكري الهاشمي،"المجاز في أساس البلاغة للزمخشري"، ص ص 52- 53 .

2 -ابن منظور، "لسان العرب" ،ج 15، ص 233 .

ومن الكنايات التي استعان بها الحجاج ما ورد في مقدمة خطبته: «متى أضع العمامة تعرفوني»[1] كناية عن موصوف (الحرب)، فارتداء العمامة الحمراء إيذانا بالحرب وبداية المعركة ما يعني أنه قدم إلى العراق في مهمة حربية بالأساس وعلى الجميع أن يدرك هذا، فخطاب التهديد حاضر في الكناية كغيرها من الصور الشعرية الأخرى . وفي قوله: «وإن أمير المؤمنين أطال الله بقائه نثر كنانته بين يديه، فعجم عيدانها فوجدني أمرها عودا، وأصلبها مكسرا»[2]، وهنا كناية عن موصوف وهو "الحجاج" فصعوبة اختيار الوالي المناسب لهذه المهمة الصعبة التي توجت في النهاية باصطفاء الحجاج بن يوسف على سائر الأمراء لدليل على قوته ومكانته عند الخليفة. وفي كناية أخرى يقول: «ما يقعقع لي بالشنان»[3]، وتعني القربة البالية التي يقعقع بها للبعير لإخافته حتى يجد في السير ويسرع،كناية عن صفة الشجاعة ورباطة الجأش ونفي الخوف عن نفسه، وفي قوله: «ولقد فررت عن ذكاء»[4] كناية عن نضوجه وخبرته وتجربته في الحياة فلا داعي لاستغفاله أو محاولة اللعب معه، فهو الخبير بالخصوم والأعداء.

ويمكن القول أن الخطبة اتسمت بفصاحة الكلام واجتناب التعقيد والغريب في الألفاظ، وكل ما يكون عقبة في اقتناع المخاطب بصدق الخطيب، حيث كان

1- أحمد زكي صفوت، "جمهرة خطب العرب"، ج2، ص 274 .

2 - المرجع نفسه، ص 276 .

3 - نفسه، الصفحة نفسها.

4 - نفسه.

الحجاج على طبعه وسجيته تتزاحم في رأسه الصور الشعرية فيوجهها وجهة حجاجية، فالصور كما يرى ميشال مايير مهيأة لاكتساب وظيفة حجاجية في مواقف الاختلاف والتوتر، ويعد شاييم بيرلمان أول من أشار إلى العلاقة بين الصورة والحجة فالصورة ليست سوى صيغا مكثفة للإجراءات الحجاجية التي تنطوي عليها [1] كما اعتبر أوليفي ريبول أنه لا مفر من البلاغة لأي حجاج، فأهمية الوسائل البلاغية تكمن فيما توفره من جمالية في القول قادرة على تحريك وجدان المتلقي فإذا انضافت تلك الجمالية إلى حجج متنوعة وعلاقات حجاجية تربط بدقة أجزاء الكلام أمكن للمتكلم توجيه المخاطب وقيادته إلى فكرة أو رأي ما. [2]

1 -ينظر: محمد مشبال،"بلاغة صور الأسلوب وآفاق تحليل الخطاب " ضمن كتاب البلاغة والخطاب، إعداد: محمد مشبال ص ص 109- 110 .

2 -ينظر: سامية الدريدي، الحجاج في الشعر العربي القديم، ص 120 .

خـاتمة

خاتمة

وفي الأخير يمكن القول أن ما خرجنا به من هذا البحث يتمثل في ذكر أهم النتائج المتوصل إليها وهي: فضل دي سوسير في الدرس اللساني الحديث حيث يعتبر مؤسس اللسانيات في الثقافة الإنسانية المعاصرة في كونه أول من دعا إلى دراسة المنهج الوصفي في اللسانيات بديلا عن المنهج التاريخي، إضافة إلى دور تشومسكي في التخلص من سيطرة المدرسة الوصفية البنيوية حيث أصبحت المادة اللسانية وسيلة لا غاية وهي عنده إبداع وليست قوانين ثابتة وبنى جامدة. وفي سياق انتقاد البنيوية و التحولات الجديدة شهد الدرس اللساني الحديث

بروز اتجاهات جديدة وظيفية واجتماعية في دراسة اللغة تدعو إلى عدم إغفال أبعاد اللغة الثقافية والاجتماعية والنفسية، وكان موضوع اللسانيات في النحو الوظيفي هو وصف القدرة التواصلية لدى المتكلم والسامع . كل هذه الاتجاهات كانت عاملا أساسيا في ظهور التداولية التي تمثل تطوراً لما كان يدعى (الدلالة التوليدية) والنظرية الوظيفية والنحو الوظيفي.

وقد شهد مفهومها تعددا لتعدد مصادرها المعرفية ما جعل بعضهم يسميها بالتداوليات وهي حسب مسعود صحراوي مذهب لساني يدرسُ علاقة النشاط اللغوي بمستعمليه وطرق وكيفية استخدام العلامات اللغوية بنجاح والسياقات والطبقات المقامية المختلفة التي يُنجز ضمنها الخطاب. ولعل أوجَزَ تعريف للتداولية هو: "دراسة اللغة في الاستعمال أو في التواصل". وقد أولت عناية فائقة للقصد

الذي يعد في مقدمة البحث التداولي ,فالمقصود دراسة المعنى الذي يَرمي اليه المتكلم وليس المعنى التركيبي الحرفي، والمعنى ليس شيئا متأصِلاً في الكلمات وحدها، ولا يرتبط بالمتكلم وحده ولا السامع وحده ,فصناعة المعنى تتمثل في تداول اللغة بين المتكلم والسامع في سياق محدد (مادي، اجتماعي ولغوي) وصولاً إلى المعنى الكامن في كلام ما.

وترجع عوامل ظهور التداولية إلى تيار الفلسفة التحليلية (غوتلوب و فريجه) ثم سار على دربهما (لودفيغ فيتغنشتاين) مؤسس فلسفة اللغة العادية، ويعد أوستين ويرل أبرز من تأثر بتيار الفلسفة التحليلية وفلسفة اللغة العادية التي نشأت في أحضانها الأفعال الكلامية، وقد اكتشف فلاسفة التحليل ظواهر لغوية أخرى من وجهة نظر تداولية ودرسوها كالاستلزام الحواري والافتراضات المسبقة.

وللتداولية صلة قوية بتحليل الخطاب حيث يهدف هذا الأخير في النظرية التداولية إلى وصف خصائص العبارات اللغوية وتفسيرها وربطها بسياقات إنتاجها وبأغراضها التواصلية ,وهذا ما يؤدي دوراً فعالاً في عملية تأويل الخطاب. حيث تُعدُ الخطابة أكثر أنواعه التصاقاً بالتداولية وآلياتها ويَرجِعُ الاهتمام المتزايد بهذه الصناعة الكلامية منذ القدم في إطار البحث عن الكيفية المناسبة لتوصيل الأفكار إلى الآخر والبحث عن مختلف الوسائل المساعدة في التبليغ التي تحقق المقاصد والأهداف والوسائل الكلامية ويمكن فهم هذه المقاصد وقراءتها من خلال استثمار بعض الآليات التداولية. وقد جعلها أرسطو صناعة إقناعية، فاختلاف الناس في آرائهم ومعتقداتهم يدفعهم إلى الجدل ومحاولة بعضهم إقناع البعض الآخر

واستمالتهم ولذالك عرَّفوها بأنها "فن مشافهة الجمهور وَإقناعه واستمالته"، ويرجع إنتاج الإقناع عند أرسطو إلى اجتماع الأركان الثلاثة للخطابة (الإيتوس، الباتوس واللوغوس). وإذا عدنا إلى نشأتها الغربية نجد أن ميلادها كان استجابة لحاجة حجاجية فالقصد الأول للخطابة كان مطالبة بالملكية ودفاعاً عنها.

وقد عمل "شاييم بيرلمان" و"اولبريخت تيتيكا" في العصر الحديث على إحياء بلاغة الإقناع من خلال تطوير نظرية الحجاج حيث يربطان بين الخطابة والحجاج من خلال رأيهما انه لا حجاج بدون جمهور يرمي إلى جعله يقتنع .

وعند العرب نجد الجاحظ يربط الخطابة بأهداف إقناعية "فالخطيب مطلوب منه الإفصاح بالحجة والبصر بها " ويتجلى هذا من خلال العناية الخاصة التي افردها لوظيفتي الإفهام والإقناع في القول الخطبي ثم من خلال تركيزه على عنصري المقام والمستمع، ومن بين أنواع الخطب الأكثر تداولية نجد الخطابة السياسية التي هي خطاب التأثير على الآخر وجعله يبادر إلى العمل ويفكر ويعتقد.كما يرى "غجليون " higlione. وتدخل ضمن الاتصال السياسي وهو تفاعل بين طرفين من خلال قناة معينة حول قضية معينة بلغة وظيفية تواصلية ذات بعد تداولي ينصرف إلى قصد المتكلم وإرادته في توجيه الخطاب للآخر بغية تسويق هذا القصد.

وما وَصَلَنا عن الخطابة السياسية في التراث العربي كان يدور في استحقاق الخلافة وولاية العهد وتُعد خُطب حادثة السقيفة التي شهدت جدلاً بين المهاجرين والأنصار حول أحقية كل طرف في الخلافة من أبرز مشاهد التفاوض السياسي في صدر الإسلام بعد وفاة النبي صلى الله عليه وسلم.

وتبدو قيمة التحليل التداولي لهذا الحدث الخطابي في كونه يسعى إلى الكشف عن جميع الظروف السياقية المحيطة به كمعرفة أطراف هذا الحدث المشاركين فيه (المتكلم والمستمع) ووضعياتهم وتبادل أدوار الكلام ومساهمة العوامل اللغوية وغير اللغوية في توجيه هذا الحدث الخطابي والتأثير فيه والتقنيات الحجاجية الموظفة للوصول إلى القصد والهدف التداولي .

إن زمن الحدث الذي كان بعد ساعة من وفاة النبي (ص) له دلالات متعددة كل يُفسرها حسب توجهه ومرجعيته وثقافته، أما المكان الذي هو سقيفة بني ساعدة معقل الخزرج يكشف عن نية الأنصار في هذا الأمر .

ومن حيث مستويات اللغة نجد أن النصوص القديمة يندر فيها التحول من الفصحى إلى العامية أو من اللغة الوطنية إلى الأجنبية والظاهرة الوحيدة التي قد نصادفها هي وجود تنوع في مستويات الفصحى ومع ذالك يصعب الوصول إلى استنتاج مهم ,لأنها قد ترجع إلى آثار تحول النص من الشفهي إلى الكتابي فالنصوص العربية القديمة لم تدون إلا بعد عشرات أو مئات السنين. وقد تغلبت طبيعة الخُطب الإقناعية على الجانب الإمتاعي الذي لم يكاد يبين سواء تعلق الأمر بالبيان أم البديع .

إن الأطراف المشاركين في الحدث كلهم أصحاب مكانة في قومهم، وفي الإسلام فهم صحابة النبي (ص) يأخذ بآرائهم ومشورتهم ويتنافسون من أجل نصرة الإسلام. وقد تميزت هذه الخطب باختلاف المرسل وتنوعه بين (المهاجرون والأنصار) ووحدة المرسل إليه (جمهور الأنصار)، وفي تبادل أدوار الكلام نجد أبا

بكر يخاطب الأنصار بأسلوبه اللين أما عمر بن الخطاب فيستعمل الصرامة والحدة رداً على خطاب الحباب بن المنذر الذي كان يتميز بالحدة كذالك. ولتحقيق الغرض المنشود الذي يسعى المتكلم إلى تحقيقه نجده يلجأ إلى تنوع الأساليب اللسانية التداولية كأفعال الكلام، حيث كانت الإخباريات هي المهيمنة على خطب المشاركين وأكثر الأغراض التداولية كانت بين الإنكار والتقرير والمدح، ثم الأفعال التوجهية وأكثر صيغها النداء في مستهل كل خطبة، ثم الأوامر و النواهي وغرضها الإصرار والتهديد والوعيد والنصح والإرشاد والتقرير. كما يلجأ المتكلم الى توظيف التقنيات الحجاجية المتنوعة ومنها الحجاج بطرائق الوصل والفصل عند "بيرلمان" و"تيتيكا" ونظرية الحجاج اللغوي عند" ديكرو" و"انسكومبر" وغيرها، وقد كان لهذه الآليات الحجاجية أثرا كبيرا في اقناع المخاطبين واستمالتهم .

ومن العوامل غير اللفظية التي أثرت في مجرى الأحداث : مرض سعد بن عبادة الذي كان مقترحا لتولي الخلافة من قبل الأنصار ,وخروج قبيلة "أسلم" إلى الشوارع تأييدا لأبي بكر الصديق حتى قال عمر : "ما هو إلا أن رأيت أسلم حتى أيقنت بالنصر". إضافة إلى الصراع القديم بين الأوس والخزرج الذي كان في صالح أبي بكر في الختام . ثم أن الصراع بين بشير بن سعد الخزرجي وابن عمه سعد بن عبادة جعل بشير بن سعد يسرع الى مبايعة أبي بكر.

ورغم تغلب الطابع الإقناعي للخطب العربية القديمة على الجانب الإمتاعي إلا أن هناك خطبا حضر فيها ازدواج الجانبين معا مما جلى أكثر دور الصورة الحجاجي في الخطبة، وهذا ما لمسناه بقوة في خطبة الحجاج بن يوسف الثقفي

لأهل الكوفة . فتعانق الأسلوب مع الحجاج كفيل بالتأثير على المتلقي وتوجيهه إلى رأي الخطيب وفكره .

ولصعوبة الإلمام بجميع قضايا الدرس التداولي لم نستطع إدراجها جميعا إلا أن البحث في دراسة الخطابة وفق المقاربة التداولية يبقى دائما مفتوحا لقراءات أخرى تُنتج مفاهيم أخرى وتثير تساؤلات جديدة .فالبحث في تداولية الخطابة اعتبره صالحا لكل زمان ومكان، فإذا كنا بحاجة لفهم الخطابات القديمة، فإننا أحوج إلى التداولية في فهم الخُطب السياسية وغيرها في وقتنا الحالي، فإلى أي مدى تساهم التداولية بنظرياتها الغنية في أن تكون مفتاح الكشف عن مقاصد الخطباء المعاصرين؟

الملحق

الملحق: خطب حادثة السقيفة

خطبة سعد بن عبادة رضي الله عنه:

قال بعد أن حمد الله وأثنى عليه :

"يامعشر الأنصار، لكم سابقة في الدين، وفضيلةٌ في الإسلام، ليست لقبيلة من العرب، إن محمدا عليه الصلاة و السلام لبث بضع عشرة سنة في قومه يدعوهم الى عبادة الرحمن، وخلع الأنداد والأوثان، فما آمن به من قومه إلا رجال قليل وما كانوا يقدرون على أن يمنعوا رسول الله (ص) ولا ان يعزوا دينه، ولا أن يدفعوا عن أنفسهم ضيما عُمُّوا به، حتى إذا أراد بكم الفضيلة ساق اليكم الكرامة، وخصكم بالنعمة، فرزقكم الله الايمان به وبرسوله، والمنع له ولأصحابه والإعزاز له ولدينه، والجهاد لأعدائه فكنتم أشد الناس على عدوه من غيركم حتى استقامت العرب لأمر الله طوعا وكرها، وأعطى البعيد المقادة صاغرا داخرا، حتى أثخن الله عز وجل لرسوله بكم الأرض ودانت بأسيافكم له العرب وتوفاه الله وهو عنكم راضٍ، وبكم قرير عين استبدوا بهذا الأمر دون الناس، فإنه لكم دون الناس".[1]

[1]- أحمد زكي صفوت، "جمهرة خطب العرب"، ج1، ص 61.

خطبة ابي بكر رضي الله عنه:

حمد الله واثنى عليه ثم قال :

"ان الله بعث محمد رسولاً الى خلقه وشهيدا على أمته، ليعبدوا الله ويوحدوه وهم يعبدون من دونه آلهة شتى، ويزعمون أنها لهم عنده شافعة ولهم نافعة، وإنما هي من حجر منحوت وخشب منجور ثم قرأ " ويعبدون من دون الله مالا يضرهم ولا ينفعهم، ويقولون هؤلاء شفعاؤنا عند الله "، وقالوا:"مانعبدهم الا ليقربونا الى الله زلفى"، فعظُم على العرب أن يتركوا دين آبائهم فخص الله المهاجرين الاولين من قومه بتصديقه والإيمان به والمؤاساة له، والصبر معه على شدة اذى قومهم لهم، وتكذيبهم إياهم، وكل الناس لهم مخالف,زار عليهم, فلم يستوحشوا لقلة عددهم وشنف الناس لهم، وإجماع قومهم عليهم، فهم أول من عبد الله في الأرض وآمن بالله وبالرسول، وهم أولياؤه وعشيرته، وأحق الناس بهذا الأمر من بعده، ولا ينازعهم ذلك إلا ظالم، وأنتم يا معشر الأنصار، من لا ينكر فضلهم في الدين ولا سابقتهم العظيمة في الاسلام، رضيكم الله أنصارا لدينه ورسوله, وجعل اليكم هجرته وفيكم جلة أزواجه وأصحابه، فليس بعد المهاجرين الأولين عندنا أحد بمنزلتكم، فنحن الأمراء وأنتم الوزراء، لا تفتاتون بمشورة، ولا تقضى دونكم الأمور".[1]

[1]- أحمد زكي صفوت، "جمهرة خطب العرب"، ج1، ص ص 62- 63.

خطبة الحباب بن المنذر رضي الله عنه

ثم قام الحباب بن المنذر بن الجموح فقال :

" يامعشر الأنصار: املِكوا عليكم أمركم، فإن الناس في فَيئِكم وفي ظلكم، ولن يجترئ مجترئ على خلافكم، ولن يصدر الناس إلا عن رأيكم، أنتم أهل العز والثروة، وأولو العدد والمنعة والتجربة، وذوو البأس والنجدة، وإنما ينظر الناس إلى ما تصنعون، ولا تختلفوا فيفسد عليكم رأيكم وينتقض عليكم أمركم، فان أبى هؤلاء إلا ما سمعتم، فمنا أمير ومنهم أمير [1].

[1] – أحمد زكي صفوت، "جمهرة خطب العرب"، ج1، ص 64.

خطبة عمر بن الخطاب رضي الله عنه

فقال عمر: "هيهات لا يجتمع اثنان في قرن، والله لا ترضى العرب أن يؤمروكم ونبيها من غيركم، ولكن العرب لا تمتنع أن تولي أمرها من كانت النبوة فيهم ووليُّ أمورهم منهم، ولنا بذالك على من أبى من العرب الحجة الظاهرة والسلطان المبين، من ذا ينازعنا سلطان محمد وإمارته، ونحن أولياؤه وعشيرته إلا مُدْلٍ بباطل، أو مُتجانف لإثم أو متورط في هلكة ؟[1]

[1]- أحمد زكي صفوت، "جمهرة خطب العرب"، ج1، ص 64.

خطبة أخرى للحباب بن منذر

قام الحباب بن المنذر، فقال :

"يامعشر الأنصار أملكوا على أيديكم، ولا تسمعوا مقالة هذا وأصحابه، فيذهبوا بنصيبكم من هذا الأمر، فإن أبو عليكم ما سألتموه، فأجلوهم عن هذه البلاد وتولوا عليهم هذه الأمور، فأنتم والله أحق بهذا الأمر منهم، فإنه بأسيافكم دان لهذا الدين من دان، ممن لم يكن يدين، أنا جُذَيلها الـمُحكَّك، وعُذَيقُها الـمُرَجَّب، أما والله لئن شئتم لنعيدنها جذعَةً "[1] .

قال أبو عبيدة :"يا معشر الأنصار إنكم أول من نصر و آزر، فلا تكونوا أول من بدل وغير"[2]

[1] – أحمد زكي صفوت، "جمهرة خطب العرب"، ج1، ص ص 64- 65.

[2] –المرجع نفسه، ص 65 .

خطبة بــشير بن ســـعد رضي الله عنه

– فقام بشير بن سعد – أبو النعمان بن بشير– فقال :

"يا معشر الأنصار، إنا والله لئن كنا أولِي فضيلة في جهاد المشركين وسابقة في هذا الدين، ما أردنا به إلا رضا ربنا وطاعة نبينا و الكدح لأنفسنا فما ينبغي لنا أن نستطيل على الناس بذالك، ولا نبتغي به من الدنيا عَرَضاً، فإن الله ولي المنة علينا بذلك، ألا إن محمداً صلى الله عليه وسلم من قريش وقومه أحق به و أولى، و أيم الله لا يراني الله أُنازعهم هذا الأمر أبداً، فاتقوا الله و لا تخالفوهم و لا تنازعوهم ".[1]

[1] – أحمد زكي صفوت، "جمهرة خطب العرب"، ج1، ص65 .

خطبة الحجّاج بن يوسف حين ولي العراق سنة 75هـ:

حدّث عبد الملك بن عمير الليثي قال:

بينما نحن في المسجد الجامع بالكوفة، وأهل الكوفة يومئذ ذوو حال حسنة، يخرج الرجل منهم في العشرة والعشرين من مواليه، إذ أتى آت، فقال : هذا الحجاج قد قدم أميرا على العراق، فإذا به قد دخل المسجد معتمًّا بعمامةٍ قد غطى بها أكثر وجهه متقلدًا سيفًا، متنكبًا قوسًا، يؤمّ المنبر، فقام الناس نحوه حتّى صعد المنبر, فمكث ساعةً لا يتكلم، فقال الناس بعضهم لبعض : قبح الله بني أمية، حيث تستعمل مثل هذا على العراق! حتى قال عمير بن ضابئ البرجمي: ألا أحصبه لكم؟ فقالوا: أمهل حتى ننظر، فلما رأى عيون الناس إليه حسر اللثام عن فيه ونهض، فقال:

"أنَا ابنُ جَلَا وطَلَّاعُ الثَّنَايَا متَى أضَعِ العِمامَةَ تَعرِفُوني

ثم قال: يأهل الكوفة أما والله إني لأحمل الشرّ بحمله، وأحذوه بنعله ، وأجزيه بمثله ، وإني لأري أبصارا طامحة، وأعناقا متطاولة، ورءوسا قد أينعت وحان قطافها ، وإني لصاحبها ، وكأني أنظر إلى الدماء بين العمائم واللّحى تترقرق ثم قال

هذَا أَوَانُ الشَّدِّ فَاشْتِدِّي زِيَمْ قَدْ لَفَّهَا اللَّيْلُ بِسوّاقٍ حَطَمْ

لَيْس برَاعِي إِبلٍ ولاَ غَنمْ وَلَا بِجزَار عَلَى ظَهْر وَصمْ

ثمّ قال:

قَدْ لَفهَا اللَيْل بِعَصْلَبيّ أَرْوَع خَرَّاج مِن الدَّوِيّ

مُهَاجِر لَيْس بِأَعْرَابي

ثم قال:

قَدْ شَمَّرْتِ عَنْ سَاقِهَا فَشدوا وجدتِ الْحَرْب بِكمْ فَجدُّوا

وَلَيْسَ الْقَوْسُ فِيهَا وَتر عرد مِثْل ذِراعِ البَكرِ أَوْ أَشَدّ

لَا بدّ مِمَّا لَيْسَ مِنْه بدُّ

إني والله يأهل العراق، ومعدن الشقاق والنفاق، ومساوي الأخلاق، ما يُقعقع لي بالشّنان، ولا يُغمز جانبيّ كتَغماز التين، ولقد فررت عن ذكاء، وفتشت عن تجربة، وجَريت إلى الغاية القصوى، وإن أمير المؤمنين ـ أطال الله بقاءه ـ نثر كِنانته بين يديه، فعجم عيدانها، فوجدني أمرها عودا، وأصلبها مكسرا، فرماكم بي، لأنكم طالما أوضعتم في الفتن، واضطجعتم في مراقد الضلال، وسننتم سنن الغي، أما والله لألحوَنّكم لحوَ العصا ، ولأقرعنّكم قرعَ المرْوَة، ولأعصِبَنّكم عصبَ السلَمة، ولأضربنّكم ضربَ غرائب الإبل ، فإنّكم لكأهل قرية كانت آمنة مطمئنة، يأتيها رزقها رغدًا من كل مكان، فكفرت بأنعم الله ، فأذاقها الله لباس الجوع والخوف بما كانوا يصنعون، وإني والله لا أعد إلّا وفّيت، ولا أهم إلا أمضيت، ولا أخلق إلا

فَريت ، فإياي وهذه الشفعاء، والزرافات والجماعات، وقالًا وقيلًا، وما تقول؟ وفيم أنتم وذاك؟ أما والله لتستقيمن على طريق الحق، أو لأدعنّ لكلّ رجلٍ منكم شغلًا في جسده، وإنّ أمير المؤمنين أمرني بإعطائكم أعطياتكم، وأن أوجهكم لمحاربة عدوّكم مع المهلب بن أبي صفرة، وإنّي أقسم بالله لا أجد رجلا تخلف بعد أخذ عطائه بثلاثة أيام إلا سفكت دمه، و أنهبت ماله، وهدمت منزله".[1]

[1] -أحمد زكي صفوت، "جمهرة خطب العرب"، ج 3 ، ص 274 وما بعدها .

قائمة المصادر والمراجع

قائمة المصادر والمراجع

القرآن الكريم برواية ورش عن نافع

أولا– المصادر:

1. ابن الأثير عز الدين بن محمد الجزري، أسد الغابة في معرفة الصحابة، دار ابن بيروت، ط1، 2012 .

2. ابن رشيق القيرواني، "العمدة في صناعة الشعر ونقده"، ج1، تح: نبوي عبد الواحد شعلان، مكتبة الخانجي، القاهرة، ط1، 2000.

3. ابن منظور أبو الفضل جمال الدين ابن مكرم ، لسان العرب، مج1، دار صادر، بيروت، د ط.

4. أبو الفتح عثمان بن جني، "الخصائص"، ج1، تح : محمدعلي النجار، المكتبة العلمية، ط2، د ت.

5. أبو الوليد بن رشد (520–595هـ)، تلخيص الخطابة، تحقيق وشرح: د. محمد سليم سالم، الكتاب الرابع عشر، يشرف على إصدارها محمد توفيق عويضة، القاهرة، 1967.

6. أبو جعفر محمد بن جرير الطبري، تاريخ الطبري، (تاريخ الرسل والملوك)ج3، تح:محمد أبو الفضل إبراهيم، دار المعارف، مصر، ط2 .

7. أبو يعقوب السكاكي، "مفتاح العلوم"، ضبط وتعليق: نعيم زرزور، دار الكتب العلمية، بيروت، ط 2، 1987 .

8. أرسطو طاليس، "الخطابة"، الترجمة العربية القديمة، تحقيق وتعليق: عبد الرحمن بدوي، دار القلم، بيروت، لبنان، 1979.

9. الجاحظ، البيان والتبيان،ج1، تحقيق وشرح: عبد السلام هارون، دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع، ط2.

10. الزمخشري أبو القاسم جار الله محمود بن عمر بن أحمد,أساس البلاغة,ج1 ، تحقيق: محمد باسل عيون السود، ، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، ط1، 1998.

11. شمس الدين الذهبي، سير أعلام النبلاء سير الحلفاء الراشدون تح: بشار عواد معروف، مؤسسة الرسالة الرسالة، بيروت، ط1، 1996.

12. ضياء الدين ابن الأثير، "المثل السائر في أدب الكاتب والشاعر" ج 1، تقديم وتعليق: أحمد الحوفي وبدوي طبانة، دار نهضة مصر للطبع والنشر، القاهرة

13. عبد القاهر الجرجاني، "أسرار البلاغة"، تح: محمود شاكر، دار المدني، جدة، مطبعة المدني، القاهرة، دط، د ت .

ثانيا– المراجع

1. أبوبكر العزاوي ، "اللغة والحجاج"، العمدة في الطبع، ط1، 2006 .

2. أحمد المتوكل، اللسانيات الوظيفية –مدخل نظري–، دار الكتاب الجديدة المتحدة، 2010.

3. ـــــــــــــــ، الوظائف التداولية في اللغة العربية، دار الثقافة، الدار البيضاء، المغرب، ط1، 1985.

4. أحمد الهاشمي، جواهر الأدب في أدبيات وإنشاء لغة العرب، ج2، مؤسسة المعارف، بيروت.

5. أحمد حساني، مباحث في اللسانيات، ديوان المطبوعات الجامعية، الجزائر، 1994.

6. أحمد حسن الزيات، تاريخ الأدب العربي، دار نهضة مصر للطبع والنشر، القاهرة، د ط، دت.

7. أحمد زكي صفوت، جمهرة خطب العرب في عصور العربية الزاهرة، ج1، شركة مكتبة ومطبعة مصطفى الباني الحلبي أولاده بمصر، ط1، 1923.

8. ـــــــــــــــ، جمهرة خطب العرب في عصور العربية الزاهرة، ج2، شركة مكتبة ومطبعة مصطفى الباني الحلبي و أولاده بمصر، ط1، 1933.

9. أحمد محمد الحوفي، فن الخطابة، دار نهضة مصر للطباعة والنشر والتوزيع، القاهرة، 1996.

10. أحمد محمد قدور، مبادئ اللسانيات، دار الفكر، دمشق، ط3، 2008.

11. أحمد مومن، اللسانيات النشأة والتطور، ديوان المطبوعات الجامعية، بن عكنون، الجزائر، ط2، 2005.

12. ادريس جبري، "سؤال البلاغة في المشروع العلمي لمحمد العمري نحو بلاغة عامة"، ضمن كتاب "البلاغة والخطاب"، اعداد : محمد مشبال، منشورات الاختلاف، الجزائر، ط1، 2014 .

13. الأزهر الزناد، "نسيج النص" بحث فيما يكون به الملفوظ نصا، المركز الثقافي العربي، بيروت، الدار البيضاء، ط1، 1993.

14. ألفت محمد كمال عبد العزيز،"نظرية الشعر عند الفلاسفة المسلمين من الكندي حتى ابن رشد"، الهيئة المصرية العامة للكتاب، 1984.

15. الامام العزوزي "أشكال التخييل والاقناع في بلاغة حازم القرطاجني"، ضمن كتاب "البلاغة و الخطاب"، اعداد : محمد مشبال، منشورات الاختلاف، الجزائر، ط1، 2014.

16. جابر عصفور، "الصورة الفنية في التراث النقدي والبلاغي عند العرب"، المركز الثقافي العربي، بيروت، ط3، 1992.

17. الجيلاني دلاش، مدخل إلى اللسانيات التداولية، ديوان المطبوعات الجامعية، الجزائر، 1992

18. حاكم المطيري، الحرية أو الطوفان، دراسة تاريخية لمراحل الخطاب السياسي الإسلامي، ط2 ، دار النشر غير مذكورة.

19. حبيب مونسي، "نقد النقد، المنجز العربي في النقد الأدبي، دراسة في المناهج"، منشورات دار الأديب، وهران، 2007 .

20. حمادي صمود " أهم نظريات الحجاج في التقاليد الغربية من أرسطو إلى اليوم"، اعداد : فريق البحث في البلاغة و الحجاج، كلية الآداب، منوبة، تونس.

21. حنا الفاخوري، الجامع في تاريخ الأدب العربي، الأدب القديم، دار الجيل، بيروت، لبنان، ط1، 1986.

22. خالد جليل،"الدلاليات والتداوليات علاقة وإشكاليات"، "التداولية في البحث اللغوي والنقدي"، مؤسسة السياب، لندن ط1، 2012.

23. خليفة بوجادي، في اللسانيات التداولية، مع محاولة تأصيلية في الدرس العربي القديم، بيت الحكمة العلمة، الجزائر،ط1، 2009.

24. رامي منير، الخطابة عند العرب، دار الفكر العربي، بيروت، لبنان، ط1، 2005.

25. سامية الدريدي، " الحجاج في الشعر العربي ، بنيته وأساليبه "، عالم الكتب الحديث، اربد، الأردن، ط2، 2011.

26. سعيد يقطين، انفتاح النص الروائي، المركز الثقافي العربي، الدار البيضاء، بيروت، ط1، 1991.

27. ـــــــــــ، انفتاح النص الروائي، المركز الثقافي العربي، الدار البيضاء، د ط، 1988.

28. سند تكويني أ ت أ، السنة1، اللغة العربية وآدابها، اللسانيات، الارسال1.

29. شوقي ضيف، تاريخ الأدب العربي، دار المعارف، ط20، 2002.

30. الشيخ علي محفوظ، فن الخطابة، وإعداد الخطيب، دار الاعتصام، دط دت.

31. طه حسين وأحمد أمين وعبد الوهاب عزام ومحمد عوض، التوجيه الأدبي، وزارة المعارف العمومية، المطبعة الأميرية بالقاهرة، 1948.

32. طه عبد الرحمان، في أصول الحوار وتجديد علم الكلام، المركز الثقافي العربي، الدار البيضاء، ط2، 2000.

33. عبد السلام عشير، عندما نتواصل نغير، مقاربة تداولية معرفية لآليات التواصل والحجاج، افريقيا الشرق، المغرب، 2006.

34. عبد الكريم الجنابي، تاريخ الخطابة العربية إلى القرن الثاني الهجري، مكتبة الثقافة الدينية، القاهرة، ط1، 2005 .

35. عبد اللطيف عادل، بلاغة الإقناع في المناظرة، دار الأمان، الرباط، المغرب، ط1، 2013.

36. عبد الملك مرتاض، نظرية البلاغة، دار القدس العربي، ط2، 2010.

37. عبد الهادي بن ظافر الشهري، استراتجيات الخطاب مقاربة لغوية تداولية، دار الكتاب الجديد، بيروت، ط1، 2004.

38. عز الدين الناجح، "العوامل الحجاجية في اللغة العربية، صفاقس تونس، 2011.

39. عماد عبد اللطيف، بلاغة النص التراثي مقاربات بلاغية حجاجية، إشراف: محمد مشبال، دار العين للنشر، القاهرة، ط1، 2013.

40. فاطمة تجور، وعبد الرحمن عبد الرحيم، الأدب في صدر الإسلام، منشورات جامعة دمشق، كلية الآداب والعلوم الإنسانية، 2011/2010.

41. لويس شيخو، كتاب علم الأدب، ج2، في علم الخطابة,مطبعة الأباء اليسوعيين، بيروت, لبنان, ط3، 1926.

42. محمد أبو زهرة، الخطابة أصولها-تاريخها في أزهر عصورها عند العرب، دار الفكر العربي، القاهرة، دط، دت.

43. محمد الأخضر الصبيحي، مدخل إلى علم النص ومجالات تطبيقه، منشورات الاختلاف، الجزائر، ط1، 2008.

44. محمد الصغير بناني، "النظريات اللسانية والبلاغية والأدبية عند الجاحظ من خلال البيان و التبيين "ديوان المطبوعات الجامعية الجزائر، 1994.

45. محمد العمري، "البلاغة الجديدة بين التخييل والتداول"، إفريقيا الشرق، الدار البيضاء، 2005.

46. ـــــــــــ، البلاغة العربية أصولها وامتداداتها، افريقيا الشرق، المغرب، دط، 1999.

47. ـــــــــــــ، في بلاغة الخطاب الإقناعي، مدخل نظري وتطبيقي لدراسة الخطابة العربية، الخطابة في القرن الأول أنموذجا، إفريقيا الشرق، المغرب، ط2، 2002.

48. محمد خطابي، "لسانيات النص" مدخل إلى انسجام الخطاب، المركز الثقافي العربي، الدار البيضاء، بيروت، ط1، 1991.

49. محمد عبد السميع جاد وآخرون، محاضرات في علم الخطابة النظرية والعلمية، مطبعة الفجر الجديد، د ط، د ت.

50. محمد محمد يونس علي، مدخل إلى اللسانيات، دار الكتاب الجديد المتحدة، بيروت، لبنان،ط1، 2004.

51. محمد مشبال، "البلاغة و الخطاب"، منشورات الاختلاف، الجزائر، ط1، 2014 .

52. محمود أحمد نحلة، آفاق جديدة في البحث اللغوي المعاصر، دار المعرفة الجامعية، مصر، 2002.

53. محمود عكاشة، "لغة الخطاب السياسي" دراسة لغوية تطبيقية في ضوء نظرية الإتصال" دار النشر للجامعات، مصر، ط1، 2005.

54. ـــــــــــــــ، النظرية البراغماتية اللسانية (التداولية)، دراسة المفاهيم والنشأة والمبادئ، مكتبة الآداب، القاهرة، ط1، 2013 .

55. محمود محمد رسلان، الخطابة، نشأتها وميادينها، دار التقوى للنشر والتوزيع، ط2، 2006.

56. محمود محمد عمارة، "الخطابة بين النظرية والتطبيق"، مكتبة الايمان للنشر والتوزيع المنصورة مصر ط1، 1997.

57. مزيد بهاء الدين، تبسيط التداولية، من أفعال اللغة إلى بلاغة الخطاب السياسي، شمس للنشر والتوزيع، القاهرة، ط1، 2010.

58. مسعود صحراوي، التداولية عند العلماء العرب، دراسة تداولية لظاهرة أفعال الكلام في التراث اللساني العربي، دار الطليعة للطباعة والنشر، بيروت، ط1، 2005.

59. مصطفى الغرافي،" خطب كتاب عيون الأخبار أنموذجا"، ضمن كتاب بلاغة النص التراثي، مقاربات بلاغية حجاجية اشراف:محمد مشبال، دار العين للنشر، القاهرة،ط1، 2013.

60. مكلي شاملة، الحجاج في شعر النقائض،" دراسة نصين لجرير والفرزدق"، دار ميم للنشر الجزائر، د ط، 2010 .

61. نعمان بوقرة، "المصطلحات الأساسية في لسانيات النص وتحليل الخطاب" جدار للكتاب العالمي، عمان ، الأردن، ط1، 2009.

62. ـــــــــــ، المدارس اللسانية المعاصرة، مكتبة الآداب، القاهرة، مصر.

63. نقولا فياض، الخطابة، دار الهلال، مصر، ط2.

ثالثا: الكتب المترجمة

1. جاك موشلر وآن ريبول: القاموس الموسوعي للتداولية، تر: مجموعة من الباحثين بإشراف عز الدين المجدوب، منشورات دار سيناترا، المركز الوطني للترجمة، تونس، ط2، 2010 .

2. جوليا كريسنتيفا، علم النص، ترجمة: فريد الزاهي، مراجعة عبد الجليل الناظم، دار توبقال للنشر، المغرب، ط2، 1997.

3. جون لاينز، اللغة والمعنى والسياق، تر: د. عباس صادق الوهاب، مر: د. يوئيل عزيز، دار الشؤون الثقافية العامة، وزارة الثقافة والإعلام، بغداد، العراق، ط1، 1987.

4. دومينيك مانغونو، المصطلحات المفاتيح لتحليل الخطاب، تر: محمد يحياتن، منشورات الاختلاف ، ط1، 2008.

5. سيسيل دي لويس "الصورة الشعرية"، ترجمة أحمد الجنابي، مالك مير، سلمان حسن، دار الرشيد للنشر، بغداد، 1982 .

6. سيلفان أورو وجاك ديشان وجمال كولوغي، تر: د. بسام كوسة، فلسفة اللغة، مركز دراسات الوحدة العربية، بيروت، لبنان، ط1، 2012.

7. فرانسوا مورو، البلاغة، المدخل لدراسة الصور البيانية، تر: محمد الولي وعائشة جرير، إفريقيا الشرق، الدار البيضاء، المغرب، ط2، 2003.

8. فرانسواز أرمينكو، المقاربة التداولية، ترجمة: سعيد علوش، مركز الإنماء القومي، بيروت، دط، دت.

9. فردينان دي سوسير، تر: د. يوئيل يوسف عزيز، علم اللغة العام، سلسلة كتب شهرية تصدر عن دار آفاق عربية، بغداد العراق، د.ط، 1985.

10. فيليب بلانشيه، التداولية من أوستين إلى غوفمان، ترجمة: صابر الحباشة، دار الحوار للنشر والتوزيع، اللاذقية، سوريا، ط1، 2007.

رابعا– المجلات والدوريات :

1. إدريس جبري، حكايات من أجل الإقناع في كتاب "بلاغة الحجاج، الأصول اليونانية" للحسين بنو هاشم، مجلة البلاغة وتحليل الخطاب، المغرب، عدد 06، 2015.

2. ألفا أوصمان باري، تحليل الخطاب: أسسه النظرية، تر: لحسن بوتكلاي، مجلة البلاغة وتحليل الخطاب، المغرب، العدد 5، 2014.

3. بشير أبرير، "مفهوم النص في التراث اللساني العربي"، مجلة جامعة دمشق، المجلد 23، العدد الأول، 2007.

4. خالد اسماعيل صاحب، "الطرائق الحجاجية النحوية في الخطابة السياسية"، مجلة كلية التربية للعلوم الانسانية، جامعة ذي قار، المجلد 5، العدد (1)، آذار، 2015.

5. ذهبية حمو الحاج، التحليل التداولي للخطاب السياسي، منشورات مخبر تحليل الخطاب، دار الأمل، العدد الأول، ماي 2006، جامعة تيزي وزو .

6. عبد الحليم بن عيسى، المرجعية اللغوية في النظرية التداولية، دورية الدراسات الأدبية،جامعة وهران, العدد 1، ماي 2008 .

7. عبد الرحيم وهابي، "القراءة التداولية للبلاغة العربية" قراءة في المنجز البلاغي لمحمد العمري، مجلة البلاغة وتحليل الخطاب، العدد 5، 2014.

8. عز الدين لعناني، تحولات الدرس اللساني،مجلة الممارسات اللغوية، جامعة تيزي وزو، العدد30، 2014.

9. عماد عبد اللطيف، تحليل الخطاب السياسي في العالم العربي,التاريخ والمناهج والآفاق، مجلة البلاغة وتحليل الخطاب، المغرب، عدد6، 2015 .

10. ـــــــــــــــــ، إطار مقترح لتحليل الخطاب التراثي تطبيقا على خطب حادثة السقيفة، مجلة الخطاب، منشورات مخبر تحليل الخطاب، جامعة تيزي وزو، عدد 14.

11. ـــــــــــــــــ، تحليل الخطاب السياسي،(نموذج ارشادي)، مقال في كتاب بلاغة النص التراثي (مقاربات بلاغية حجاجية)، إشراف : محمد مشبال، دار العين للنشر، ط1، 2013، ص ص 25-28 .

12. محمد العبد، "النص الحجاجي العربي" جذور، ج 21، مج 9، سبتمبر 2005 .

13. محمد الولي، "بناء الخطبة وترتيب الحجج عند أرسطو"، مجلة البلاغة وتحليل الخطاب، عدد 04، 2014.

14. نور الدين دحماني،"الوظيفة الجمالية للصورة الفنية "، مجلة الأثر، العدد 22، جوان 2015 .

خامسا– الرسائل الجامعية :

1. البشير عزوزي،" حجاجية الاستعارة في الشعر العربي، ديوان المتنبي أنموذجا"، رسالة ماجستير،كلية الاداب واللغات جامعة البويرة، تاريخ المناقشة : 16 جوان 2014 .

2. خالد بوزياني، "الصورة الأدبية وخصائصها اللغوية بين البلاغيين والأسلوبيين"، رسالة دكتوراة، جامعة الجزائر يوسف بن خدة، كلية الآداب واللغات، موسم: 2007/2006.

3. سليم حمدان، "أشكال التواصل في التراث البلاغي العربي" دراسة في ضوء اللسانيات التداولية، رسالة ماجستير قسم اللغة العربية وآدابها، جامعة باتنة، السنة الجامعية 2009/2008.

4. عائشة قدوري، بلاغة الخطابة وآلياتها التداولية، الخطابة القضائية أنموذجا، رسالة ماجستير، جامعة وهران، 2013.

5. عبد الرحمان يوسف، التداولية والخطاب المسرحي،رسالة ماجستير،كلية الآداب والعلوم الإنسانية، جامعة تشرين، سوريا، 2010-2011.

6. معيد زكري الهاشمي,"المجاز في أساس البلاغة للزمخشري"، رسالة ماجستير,كلية التربية جامعة بغداد، مايس 2005 .

سادسا–المواقع الإلكترونية:

1. جميل حمداوي، نظريات الحجاج، شبكة الألوكة، الموقع الالكتروني: www.alukah.net.

2. حبيب مونسي، " النقد الأدبي و مزاعم الحداثة، الأدب واللسانيات "، روضة الآداب، مدونة أ د حبيب مونسي الإلكترونية.

3. حبيب مونسي،" مقاربة مقارنة بين علم المقاصد العربي وأفعال الكلام، التداولية ومقاصد الخطاب الأدبي البراغماتي "، المدونة الإلكترونية:اللسانيات اللغة التواصل والتفاعل مع المجتمع .

4. حسن المودن، "الخطاب الاقناعي في البلاغة العربية"، موقع ديوان العرب،ص2 www.diwanalarab.com.

5. راغب السرجاني، أبوبكر الصديق ويوم السقيفة، مقال إلكتروني، موقع قصة الإسلام

6. عمرأوكان،اللسانيات والتواصل، www.aljabriabed.net/n36_08ukan.htm.

7. محمد القاسمي،"قضايا النقد الأدبي المعاصر" https://books.google.dz.

8. محمد الولي "بلاغة الحجاج" موقع سعيد بنكراد، مجلة علامات، العدد 05، 1996، www.saidbengrad.net/al/n5/8.htm

9. محمد ربيعة، علم السياق القرآني، (مفهوم السياق عند العلماء)، مقال الكتروني، موقع ملتقى أهل التفسير.

10. محند الركيك، " نظرية التواصل في ضوء اللسانيات الحديثة"، عدد خاص بالتواصل الانساني وأشكاله، مجلة علامات، العدد 24, 2005، موقع سعيد بنكراد، saidbengrad.free.fr/al/n%2024/6-24.

11. مصطفى الغرافي، "عن البلاغة–دراسة في تحولات المفهوم"، موقع ديوان العرب، www.diwanalarab.com.

الفهرس

الفهرس

مقدمة.....أ

الفصل الأول: اللسانيات التداولية

توطئة.....**3**

أولا: مبحث لساني من البنيوية إلى التداولية.....**5**

1-تعريف اللغة.....**5**

2-تعريف اللسانيات.....**7**

3-المبادئ العامة للسانيات عند دي سوسير وتشومسكي.....**11**

أ- لسانيات دي سوسير.....11

ب- نظرية تشومسكي التحويلية والتوليدية.....15

جـ-نقد الاتجاهين البنيوي والتوليدي التحويلي.....17

ثانيا: التداولية (النشأة والمفهوم).....**22**

1- المصطلح.....**22**

2- المفهوم.....**24**

3-نشأة التداولية.....**28**

4-جوانب البحث التداولي.....**33**

5-علاقة التداولية بتخصصات أخرى.....**52**

أ- علاقتها باللسانيات واللسانيات البنيوية.....53

ب- علاقتها بعلم الدلالة.....55

جـ- علاقتها بالنحو الوظيفي.....56

د- علاقتها باللسانيات الاجتماعية.....57

هـ- علاقتها باللسانيات النفسية.....58
و- علاقتها باللسانيات التعليمية.....58
ز- علاقتها بتحليل الخطاب واللسانيات النصية.....59
ح- علاقتها باللسانيات النصية.....60
6-التداولية والخطابة.....62

الفصل الثاني:الخطابة (المفاهيم ، النشأة والتطور)

أولا: النص والخطاب.....68
1-مفهوم النص.....68
أ-مفهوم النص في التراث العربي.....68
ب-مفهوم النص في الدراسات الحديثة.....69
2-مفهوم الخطاب.....71
أ-الخطاب في التراث العربي.....71
ب-الخطاب في الدراسات الحديثة.....72
3-بين النص والخطاب.....74
ثانيا: الخطابة (دراسة نظرية في المفاهيم والنشأة والتطور).....77
1-الخطابة لغة واصطلاحا.....77
2-الخطابة (نظرة تاريخية) 80
أ-الخطابة في الثقافة الغربية (عند ليون والرومان).....80
ب-الخطابة عند العرب.....82
3-أجزاء الخطبة: (ترتيب أجزاء القول) 91
أ-المقدمة.....91
ب-العرض.....92

جـ- التدليل.....92
د- الخاتمة.....93
4-أجناس الخطابة (أنواعها) 94
5-عناصر بناء الخطابة (أصولها) 97
6-مقومات الخطابة.....99
7-أهمية الخطابة وفائدتها وغايتها.....103
8-علاقة الخطابة بغيرها من العلوم.....106
أ-علاقة الخطابة بغيرها من العلوم.....106
ب- علاقة الخطابة بعلم النفس.....107
جـ- علاقة الخطابة بعلم الاجتماع.....108
9-الخطابة والحجاج.....108

الفصل الثالث:الدراسة التطبيقية

أولا: الإتصال والخطاب السياسي.....114
1- مفهوم التواصل بين التأصيل والتأسيس والتنظير 114
أ-مفهوم التواصل في التراث العربي.....114
ب-مفهوم التواصل عند المحدثين 115
2-نظرية الاتصال 118
3-الاتصال السياسي 119
4-مفهوم الخطاب السياسي.....119
5-الخطاب السياسي في التراث العربي 120
ثانيا:الدراسة التطبيقية:خطب حادثة السقيفة(مقاربة تداولية) 121
1- مناسبة الحدث الخطابي.....121

2–السياق 121

3–وضعيات المتخاطبين وتبادل أدوار الكلام.....134

4–الأفعال الكلامية في خطب حادثة السقيفة 136

5–التقنيات الحجاجية في الحدث الخطابي (خطب السقيفة) ..147

– تقنيات الحجاج عند "بيرلمان وتيتيكا".....147

6–الحدث الخطابي (خطب السقيفة) في ضوء نظرية

الحجاج اللغوي.....161

أ– القرائن الحجاجية 161

ب– السلم الحجاجي 162

ثالثا:الخطابي والبلاغي (الاستعاري) في خطبة الحجاج بن يوسف

لأهل الكوفة..... 179

1–ضبط مفاهيم: (الخطابة، الشعرية، البلاغة) 179

2–مسار الخطابية والشعرية عند اليونان والعرب.....181

أ–عند اليونان 181

ب–عند العرب.....183

3–بين الشعرية والخطابية 184

4–إزدواجية الصورة المجازية الاستعارية 188

أ– الصورة الأدبية 188

ب– المجاز 190

ج–الاستعارة 191

د–التشبيه.....199

هـ–الكناية.....202

خاتمة.....206
الملحق.....213
قائمة المصادر والمراجع.....223
الفهرس.....240

الملخص :

التداولية ليست علما لغويا محضا بالمعنى التقليدي، علما يكتفي بوصف وتفسير البنى اللغوية ويتوقف عند حدودها وأشكالها الظاهرة، ولكنها علم جديد للتواصل يدرس الظواهر اللغوية في مجال الاستعمال، فهي أداة للتفسير والنقد معا يمكن الاستعانة بها في فهم وتحليل نصوص وخطابات من أجناس أدبية مختلفة ومن بينها الخطابة التي هي فن قولي بالأساس، يلجأ فيه الخطيب الى استمالة الجمهور والتأثير فيهم واقناعهم، وهي خطاب يستجيب لمختلف النظريات التداولية كأفعال الكلام ومتضمنات القول و الحجاج، انها ذات طابع تواصلي تداولي كما يرى "جيفري ليتش " . وهذا ما نلمسه بوضوح في تعريف شوبنهاور للخطابة في جعلها ملكة مشاركة الآخرين لآراءنا وطريقة تفكيرنا وايصال عواطفنا اليهم وجعلهم يتعاطفون معنا، ولا يتحقق ذلك الا بغرس أفكارنا في أذهانهم بواسطة الكلمات.

الكلمات المفتاحية: التداولية، التواصل، الخطابة، الاقناع، الحجاج، أفعال الكلام.

Résumé

Le pragmatique pas noter le sens linguistique purement traditionnel, De ce fait, elle s'intéresse à l'étude du contexte à travers les circonstances de temps et de lien qui l'entourent ainsi que tout ce qui entoure l'acte discursif pour élucider l' intention de l'orateur et le sens à communiquer au récepteur.

Le discours de L'Art Oratoire "EL KITABA est l'**art** de convaincre, d'émouvoir par la parole, IL se veut donc de convaincre les personnes à agir d'une manière donnée ou à prendre une décision.

Il forme un terrain fertile aux études pragmatiques, en effet, il contient beaucoup de valeurs sociales proches du vécu quotidien. De même, il est très riches en valeurs pragmatiques tels que la déictique, les présuppositions, les actes de la parole et l'argumentation. Il est dans la nature pragmatisme, communicative comme il voit Jeffrey Leach.

La définition de Schopenhauer de L'Art Oratoire c'est une Compétence, à partager avec les autres nos points de vue, et de notre façon de penser, et la livraison de nos émotions à eux, et leur faire sympathisent avec nous, et ce là se produit, comme but de nos pensées dans leur esprit par des mots.

Mots clés: Le pragmatique, la communication, L'Art Oratoire.